طبعة ثانية

الهيئة العامة لقصور الثقافة

مكتبة الدراسات الشعبية

حكايــة... اليهــود

تأليف : زكريـا الحجـاوى

الهيئة العامة لقصور الثقافة
GENERAL ORGANIZATION for CULTURE CENTERS

٢٧
مكتبة
الدراسات الشعبية

حكاية اليهود

تأليف : زكريا الحجاوى

يونيه ١٩٩٨

* تصميم الغلاف :
للفنان محمد بغدادى

الطبعة الأولى ١٩٦٨
دار الكاتب العربى
الطبعة الثانية مايو ١٩٩٨
الهيئة العامة لقصور الثقافة (مكتبة الدراسات الشعبية)

المراسلات باسم مدير التحرير على العنوان التالى

١٦ شارع أمين سامى قصر العينى - القاهرة رقم بريدى ١١٥٦١

الفهرس

هذا الكتاب

حكاية .. حكاية اليهود

كنا نتوقع منذ البداية أن كتابا لزكريا الحجاوى لابد أن يحظى باهتمام كبير من القراء. ذلك أن هذا الرجل صاحب تاريخ طويل حافل مع التراث الشعبى المصرى، والعربى، أنفق عمره كله فى تجميع عناصره ومفرداته وتسجيل ملامحه الأصيلة. وكانت دراساته عن الفنون الشعبية من الرقص إلى الغناء إلى الألعاب إلى الآلات الموسيقية إلى المشغولات الذهبية والمنسوجات والنقوش، وحتى الرسوم التى يطبعها أهل الحجاج على واجهات بيوتهم وجد فيها الحجاوى مدخلا لدراسة روح الشخصية المصرية. وكذلك الوشم الذى يدقه الريفيون على ظهور أيديهم وسواعدهم وصدورهم، لها مداليل يستكشفها الدارس فتضئ له الشخصية فى علاقتها بالكون وبالخالق وبالحياة. قبل زكريا الحجاوى لم يكن بين المثقفين من

ينتبه إلى مثل هذه الأشياء الأصيلة فى مكونات الشعب المصرى .

وربما كانت دراسات الحجاوى ومقالاته الوفيرة فى جريدة المصرى وكثير من الجرائد والدوريات ، هى التي خلقت مناخا شعبيا فى الثقافة المصرية ، وفرضت علي المثقفين الاهتمام بالفنون الشعبية كرافد أساسى للإبداع المصرى، بل كمصدر يستقى منه المبدعون.

وقد كتب زكريا الحجاوى كتابه (حكاية اليهود) فى وقت مبكر ، ليكشف لعامة الناس وللمثقفين علي السواء حقيقة علاقة اليهود بنا منذ قرون طويلة ، وكيف تسللوا إلى بلادنا وعاثوا فسادا فى الوجدان وفى مجريات الأمور ، يكشف عن طبيعتهم العدوانية ونواياهم السيئة تجاه المصريين الذين استضافوهم ذات يوم بعيد فانقلبوا علي أهل البلاد، يكشف أيضا عن فهم الشعب المصرى لحقيقتهم، ومدى حذره منهم إن هذا الكتاب باختصار وضِع ليكون أشبه بموسوعة عن اليهود ومحاولاتهم المتكررة لاستلاب التاريخ والتراث والأرض.

وما كاد الكتاب يُطرح لدى الباعة حتي نفدت نسخه فى ظرف ساعات قليلة، وإذا بنا مطالبين من شركة التوزيع بمزيد من النسخ

تلبى احتياجات قراء كثيرين فى مناطق كثيرة من أرض مصر والعالم العربى. فلم يكن أمامنا من مفر سوى تلبية رغبة القراء بطبعة جديدة ثانية . وبما أننا سنقدم طبعة ثانية فقد رأينا أن نغير الغلاف اقتناعا بوجهة نظر بعض رجال الفن التشكيلى الذين رأوا أن الموتيف الموضوع على الغلاف الثابت للسلسلة لا يعبّر تماما عن موضوع الكتاب . نرجو أن نكون دائما فى خدمة قراء هذه السلسلة الحميمة . وشكرا لكم.

خيرى شلبى

* "وأما المصريون....
فهم ناس...
لا آلهة...
لذلك اسمعوا كلام الرب...
يا رجال الهزؤ...
ولاة هذا الشعب الذى فى أورشليم..."

أشعياء النبى

الإهداء

هذا هو (الجزء الأول) من موسوعة التراث الشعبى.

وقد كان الترتيب للموسوعة غير هذا الترتيب الذى فرضته الظروف فرضا، اذ كانت الملاحم الشعبية التى أنشأها الشعب فى «اليهود» فى النظام الأول، والموسوعة ما تزال رهن الطبع، أن تبث هذه الملاحم فى مواقعها من الموسوعة دون قيد بجزء معين، إلا أن المقادير شاءت أن تستقل بجزء، هو هذا الجزء الأول، وكما نقول، الخيرة فيما اختار الله.

وهذا التراث الجليل، الذى بدأت عملية جمعه، والتعريف به، شفاها فى المحاضرات والندوات، وتحريرا فى مقالات بشتى الصحف والمجلات منذ عام ١٩٥٠، باسم «الفن الشعبى» جامعا لكلمة «الفن» الموسيقى والألحان والأدب، ذلك لأن كلمة «الفن» هى المحكيَة على لسان الفلاحين عندما يريدون التعبير عن الأدب الشعبى - الموال، بصفة خاصة.

هذا العمل الذى استغرق العمر، وقد بات أول طلائعه يدخل المطبعة، لمن أهدى الجزء الأول منه..؟

الأمانة، والتاريخ، يقضيان بأن يكون اهداؤه، لهؤلاء المصريين العظام، رجال الثقافة فى حكومة الثورة، الذين أتوا بالفن الشعبى،

من أقاصي الريف والقرى والصعيد، مُهاناً، يتلفت خوفا وأملا، واحتضنوه رسميا، بالتكريم والتأييد، وبوضعه مع كل الفنون في مناهج الدولة مع الفنون الرسمية والتقليدية على صعيد واحد..

إلى الاستاذ فتحى رضوان

أول وزير للثقافة فى مصر

* فاجأ رجال السينما والصحافة والمسرح يوم أن دعاهم ليُنبِّهَهُم إلى قيمة الاعتماد على الفن الشعبى فى الأفلام والمسرحيات والأعمال الفنية. وكانت البداية.

* حوَّل الموالد إلى مؤتمرات شعبية تعتمد على الفن الشعبى الفطرى.

إلى الاستاذ يحيى حقى

مدير مصلحة الفنون

* فى أحضانه كتبت أول أسطورة من الفولكلور «ياليل ياعين» وبهرت الاسطورة بعناصرها الفنية التى قام بها رجال ذوو مكانة فى عالم الفن، مصر والاتحاد السوفيتى.

* وبعين منه قمت بأول جولة لأجمع الرقص الشعبى وأعرضه على مسارح عواصم البلاد فى أعياد الثورة عام ١٩٥٦.

إلى الاستاذ الدكتور ثروت عكاشه

وزير الثقافة

* صاحب فكرة قوافل الثقافة ومنشئها.

* صاحب فكرة قصور الثقافة ومنفِّذها، وفرق الفن، الشعبى، إلى جانب المسرح، والكتاب، الأساس الثقافى لفن المحافظات.

* فى أحضانه نشأت الفرقة القومية للفنون الشعبية.

* مُنشئ معهد الفنون الشعبية.

* مُنشئ مركز الفنون الشعبية.

* مُنشئ الفرقة القومية للفنون الشعبية.

إلى الاستاذ عبد المنعم الصاوى

وكيل وزارة الثقافة

* صاحب فكرة «نوادى الفولكلور المصرى» وهو ما يزال الكاتب الأديب، والصحفى، قبل دخوله المجتمع الرسمى كوكيل للوزارة.

* صاحب فكرة الفرقة النموذجية للفنون الشعبية التى عملت على مسرح المقطم بنجاح كبير وهو وكيل للوزارة.

فاتحة الكتاب

المعركة بين العرب واليهود، معركة
وطنية، تحررية، وليست معركة
دينية، لأن اليهود يعيشون بعد موسى،
ونبيهم المال.. أما نحن، فأنبياؤنا
موسى، وعيسى، ومحمد

كتابنا هذا..

يطلع على الناس، فى فترة، ليالينا فيها ساهرة، مأخوذة بأرق شديد، ولا يطلع فيها، نهار، إلا وهو ظامئ.. شديد الظمأ لشئ ما..

شئ ما، كلنا نعرفه، ونتأهب له، ونعيش من أجله... خلق الحرية والأمان لبلادنا.. لمصيرها.. لمسارها.. لفكرها... لسلامها.. لطرد كل دودة استعمارية من حقول نهضتها... لتنقية الهواء الروحى الذى يتنفسه الانسان الجديد، فيها، وفى منطقتها.. لميراث حضارتها الزراعية العريق...، لآيات حضارتها الصناعية الجديدة النامية.. ولحريتها، ولأمانها.. بتأمين حدود بلادنا من غزو الأعداء، وبتأمين حدود ثقافتنا من غزو فكرة عدوة..!

ولقد انطلقت الآراء المختلفة، منذ بدأت ليالينا السهر، ومنذ

بدأت أيامنا تشعر بالظمأ الشديد لتحرير مصيرنا من قبضة الاستعمار العالمى الذى يفكر بعقل الرأسمال اليهودى، ولا بأس من اختلاف الرأى، فالفكر المفتوح، واللقاء الحى للآراء، أمارة من أمارات الصحة، وتكوين وحدة الارادة، إلا أننى رأيت الضباب يتزايد عند موقع هام.. موقع واحد.. شاءت آراء أن تعددها إلى أكثر من موقع، وتفرق بينها، وتسمى إحداها الصهيونية، والأخرى اليهود.. فهل هذا صحيح..؟!

أنا لست ضد.. اليهود

وكتابى هذا ليس ضد.. اليهود

وبلدى مصر ليست ضد اليهود

وقوميتى العربية ليست ضد... اليهود

ولكن

ولكن الذين هم ضد اليهود.. هم اليهود

والذين هم ضد مصر.. هم اليهود

والذين هم ضد قوميتى العربية هم اليهود

وأيضا..

وأيضاً..

هناك أخطر على قضية بلدى من اليهود.. وهم المستهودون..!

و «المستهودون» أى الذين هم «يهوديو النزعة» وسنحدد فيما بعد، سماتهم..

نعم..

أنا لست ضد الجنس اليهودى.

ولكن الجنس اليهودى.. هو أعدى أعداء الجنس اليهودى..

وما لم يخرج اليهود أنفسهم، من جلد «الحية»، ويثبتوا أنهم لم يصبحوا بين البشر، «الجنس الأفعى»، وأصبحوا جنسا انسانيا، فستظل عقيدة الناس فيهم لا تتغير، ويكون السبب فى ذلك، هم أنفسهم، لا الناس.. ولا عقائد الناس..!

عاشت عبارة «الجنس الأصفر» وهى تعنى «الصين» زمنا طويلا، حتى على ألسنة الذين ليس بينهم وبين الصين، تضاد فى شئ، عبارة سكها أعداء الصينيين، وشاعت بين الألسن، فى مختلف اللغات، وشتى القوميات، وامتدت من القرن التاسع عشر، واخترقت جدران القرن العشرين، وواصلت السير حتى الثلاثينات من هذا القرن، ثم خفت، خفت رويدا، رويدا، حتى كفت نهائيا، ولم يعد أحد يقول عن «الصين» عبارة بديلة، أو كناية مغرضة.. هذه الصفة الصفراء.. أى كلمة «الجنس الأصفر».

عندما هبت الصين، بملايينها، وتاريخها، وعزمتها، ونفضت عنها لحظة التخلف والتفكك والخمول والأفيون، وربطت مسارها الجديد، بحضارتها القديمة، واندفعت بإنسانيتها العريقة، تحارب كل «آفة» فى داخلها.. فى نفسها.. فى ذاتها...فى أرضها.. فى فكرها.. لما فعلت الصين ذلك، لم يعد أحد، حتى من ألد خصومها،

كالاستعمار الأمريكى أو البريطانى، يجرؤ على تسمية الصين، بالجنس الأصفر..!

ولكن اليهود لم يفعلوا شيئا من ذلك.

ومثل الصين.

ظلت ألسن كثيرة، ولغات متعددة من قوميات شتى، زمنا طويلا، إلى النصف الثانى من القرن العشرين، تنعت البلاد الأفريقية، بالأمم السوداء، وبالقارة المظلمة، إلى أن أخذت هذه البلاد نفسها الموقف، ودافعت عن حقيقتها، بأنها بيضاء الفكر، ناصعة الثقافة، وضّاءة المسار، بانتفاضتها للحرية، ومحاربتها الآفات فى داخلها، وفى خارجها، ورمى الغلالة التى ألقى بها عليها الاستعمار زمنا طويلا، وخروجها إلى الدنيا فى أمم حرة، إنسانية العقائد، لا تعتدى على أحد، ولا تقبل أن يظل الاعتداء الاستعمارى فوقها جاثما..!

ولكن اليهود لم يفعلوا شيئا من ذلك.

أنا لست ضد اليهود

وليس أحد من مثقفى الدنيا ضد اليهود

ولكن اليهود هم أعدى أعداء اليهود..

إن الدعوة للعداوة الجنسية، والبغضاء العنصرية، والاستفزاز القومى، إنما هى دعوة رجعية منحطة بلا شك، وهى من ميراث الاقطاع، والتيجان المستبدة، ممن كانوا يتكسبون الكثير من أمان

المصير، بإثارة هذه النزعات بين شعوبها.. والشعوب الأخرى.

واليهود يعرفون ذلك..

وهم، بيهوديتهم، وذكاء جنسهم، يحصلون على «الفائدة» منه، بألا يخرجوا من قوقعتهم، وبألا يغيِّروا من فكرهم وأسلوبهم وعاداتهم وطبيعتهم، وبألا يتكلموا.. ويتركوك أن تتكلم أنت، فماذا تقول؟

ماذا تسميهم..؟

لا شيء إلا اسمهم اليهود..

لا شئ إلا جنسهم.. الجنس اليهودى

فإذا ما قال أحد عن اليهود شيئا.. رفعوا العقائر، ولطموا الخدود، وشقوا الجيوب، وتنادوا: يالثارات اليهود.. وقالوا: انظروا إلى هذا المتعصب.! القومى.!.. العنصرى.! انه يتكلم عن.. اليهود

هل هناك لفظة أخرى نستعملها فى الكلام، اذا ما كان الكلام عنهم، غير لفظة اليهود..؟

نعم، هناك لفظة «العبرانيين»

أولا، هم أنفسهم لا يستعملونها

ثانيا، العبرانيون اسم ينسحب على أجيالهم الاولى فى التاريخ.

ومع ذلك، فان من يتعرض لهم فى تاريخهم القديم يرى هذه اللفظة، مع الأخرى، (اليهود) متداولتين فيما يُكتَب عنهم.

أما لفظة «اليهود» منفردة، فإنها أشمل للتاريخ وللجنس فى

القديم وفى الحاضر.

هناك اسم ثالث

هو «بنى اسرائيل»..

أولا: اليهود أنفسهم لا يستعملون هذا الأسم من الكلمتين، المضاف والمضاف إليه.

ثانيا: جعلوا من لفظة «اسرائيل» علما على مكان الدولة التى يغتصبونها وإذن، فاسم «اليهود» هو ولا غيره الملئ بالدلالة على هذا الجنس الذى (تعمد) أن يضع المتحدثين والكتاب، فى (حرج) وحيرة إذا ما أراد أحد أن يتحدث أو يكتب عنهم.

ولقد تواترت الألسن والأقلام، من قديم الزمان، على النطق باسمهم الدال عليهم وعلى جنسهم بهذه اللفظة التى تكاد تكون هى هى بأصواتها المنطوقة «اليهود» فى العربية، و(جوش) الانجليزية و(جوس) الفرنسية.

وسنعرف فى كتابنا هذا أن نفس اللفظة بأصواتها المنطوقة، هى التى نعتهم بها المصريون القدامى منذ آلاف السنين، حيث سموهم «خيتس» أو «خيتاس» أو «خيتا».

ان تأريث النطق بلفظة واحدة، أعم فى الدلالة، وأشيع فى الألسن المختلفة، وعلى مدار العصور، أكد فصاحة اللفظة فى الدلالة على جنس بعينه.

كل الذين كتبوا عنه، قبل ظهور كلمة (وطن قومى لليهود) وقبل

وعد (بلفور) بما فيهم شيوخ صهيون أنفسهم الذين وضعوا (بروتوكلات حكماء صهيون) لم يقولوا إلا الكلمة (المحكيَّة) و(المتداوَلة) و(المعبِّرة غاية التعبير) وهى اليهود..!

الفرنسى ادوار بريريمول، فى صحيفته (الكلام الحر) الليبر بارول - وفى كتابه (فرنسا اليهودية) قبل انصرام القرن الماضى بسنوات معدودة، والفرنسى سيمون سيمون فى كل كتبه، واميل زولا فى مقالاته التى يدافع فيها عنهم تحت عنوان (انى أتهم) فى قضية الضباط اليهود الذين أساءوا إلى جيشهم.. الفرنسى.!

والوزير الانجليزى (دزرائيلى)(١) عندما تنازل عن دينه اليهودى، وتنصر، ليصبح من حقه القانونى أن يكون رئيسا لوزارة بريطانيا.

وكارل ماركس المتحرر منهم ومن أفعالهم وأفكارهم وجنسهم، عندما وضع كتابه فيهم «المسألة اليهودية».. ودوركايمه وماكس نوردو وغيرهم.. وغيرهم من المعاصرين من أمثال بن جوريون وأبا ايبان والكاتب اليهودى ليون أوريس.

وهنا فى مصر والبلاد العربية، سواء أكان الكتاب يهودا أم غير يهود، فإنهم لم يبعدوا عن حقيقة الاسم (اليهود) وهم يكتبون،

---

(١) ستعرف من كتابنا هذا أن كثيرين فعلوا فعلة دزرائيلى، الخروج من الدين اليهودى فى العلانية، ليخدم اليهود ومآربهم أَجَلَّ الخدمات.
ودزرائيلى هذا هو الذى اشترى لبريطانيا حصتها فى قناة السويس.. وفى حلبة الصراع المصرية - اليهودية استرجعنا من اليهودى دزرائيلى قناة السويس كلها.. وصرنا (بُواء) أى.. (كيت) أو.. خالصين!!

أمثال الأساتذة محزور قارص (اليهودى) وايلى ليفى عسل (اليهودى) وعبدالله حسين المصرى المسلم.

يا صاحبى..

عن أى كلمة أخرى تراهم يرضون..؟

كلمة واحدة هى «صهيون» أو الصهانية..!

نعم، ترى اليهود، ومن احتطب فى حبلهم، يدافعون بحرارة وحماس شديدين، عن لفظة (اليهود) ويفرقون لك بين اليهود، وبين الصهاينة، ويقولون لك إن اليهود شئ.. وصهيون شئ ثان..

أما أنا، فأقولها وأجرى على الله،

ولنترك لفظة (صهيون) الآن.. فهى روح سر أسرار اليهود، والتى خبأوها فى تلافيف ضمير حكايتهم التى نتعرض لها فى هذا الكتاب ونمسك فى عبارة (الصهاينة) أو (منظمة صهيون) التى كشف عنها كتاب، بروتوكلات حكماء صهيون، الذى نُشِرَ بالروسية ثم بالانجليزية ثم بالألمانية وبلغات أخرى، ثم بالعربية (ترجمة الاستاذ محمد خليفه التونسى) وتقدمة الأديب المفكر المصرى (عباس محمود العقاد).

واليهود والمستهودون، يحاولون مسك فوهات الأقلام والألسن، ويحولون توجيهها لتشير على الصهاينة.. ولا تُسَدَّد نحو اليهود!

يريدون أن يكون المقول والمكتوب كله فى الصهاينة، فذلك عندهم، حلال، وتحرر فكرى، ولا تثريب عليك إن فعلت، أما

اليهود.. فلا. وعلى رأى مهيار. فاحبس.. ورد.. وشَرُقْت إن لم تسقنى.!

والسؤال..

لماذا..؟!

إن المنظمة التى اجتمعت لتكوين الصهاينة، لم تتكون من (ارهابيين) ولا (غوغاء) وانما كانوا كلهم من (فلاسفة اليهود) و(كتاب اليهود) و(أغنياء اليهود).

وقد اجتمعوا من مختلف البلاد والقوميات التى يسكنونها ويتمتعون بخيراتها، ولا يردون لها جميلا، للبحث فى (المسألة اليهودية) وحل مشكلة (اليهود) الدولية.

والتقريرات التى قُدِّمت للمجتمعين، كلها عن اليهود..!

والأبحاث التى عولجت فيها المشكلة، كلها عن اليهود..!

والحلول المقترحة والمقدمة للمنظمة.. حلول لليهود..!

ولم تشعر سويسرا، مكان الاجتماع بالاجتماع، وتعددت المؤتمرات إلى أن استقر الرأى على كل شىء.. الحل.. والوسائل.. وإذا جاز أن يكون هناك خلافات فى الرأى على الوسائل أو التفصيلات، فإنه لم يكن هناك خلاف على اسم المنظمة التى ستضطّلع بتنفيذ المقترحات.. وهو اللفظة التى لا يعرف مضمونها إلا اليهود.. تماما كالرمز - أى (السيم) فى لغتنا الشعبية.. وكان الاسم (منظمة صهيون).

الاسم هو الذى يحمل لفظة (صهيون) أما العمل.... والمسار الجديد، وكل شىء.. فهو عن (اليهود).

هل هى ياترى معادلة صعبة..؟!

كانوا أفرادا.. أشتاتا.. انضموا فى جماعة، لحل المشكلة بعد أن وجدوا أنفسهم مكروهين فى كل أمة يساكنونها، وبعد أن انكشف أمرهم، من أنهم يعيشون مع كل قومية، بغلاف قومى كاذب، تسكنه وتستقر فيه، الشخصية اليهودية التى لم تَذُبْ فى قومية، ولم تندمج فى تطور، كأن كل منها بللورة لا تذوب فى أى حمض أُمَمىٍّ.

لما انكشف أمرهم، وشاعت فى الخافقين خياناتهم، بالإضافة إلى أمور سلوكية أخرى نصرف النظر عنها حتى نظل فى صلب الموضوع، لما حدث ذلك، وبدأت القوميات والأمم تسلك معهم أساليب النذير بتطهير المجتمعات منهم.. اجتمعوا.. والذين اجتمعوا، هم اليهود، وكانوا عددا قليلا، والقلة فى الاجتماعات تغنى عن الكثرة، والأغنياء ينوبون عن الفقراء، والنابهون يتكلمون بألسنة أنفسهم وبألسنة الخاملين منهم، والقادة يعبِّرون عن الجنس كله.. اجتمعوا، وقرروا إنشاء منظمة لحل المشكلة.. برمتها.. ككل.. مشكلة اليهود الذين كرهتهم روسيا، واليهود الذين غَصَّ بهم زور ألمانيا، واليهود الذين طردت الضباط منهم فرنسا وحاكمت الرءوس فيهم، واليهود الذين يتوقع بنو جنسهم أن يُفْعلَ بهم فى بلاد

أخرى مثل هؤلاء وهؤلاء.

تاجحت الحلول فى أول الأمر، واضطربت بعض التجارب، من إنشاء مستعمرة تجمعهم كلهم بالأرجنتين، ثم جمع الأموال لشراء أراض واسعة يتخذون منها مستعمرات لهم فى أفريقيا، حتى وصلوا إلى خيط.. خيط يرى اليهود فى طرفه ومضا يخفق وينطفىء.. ومضا يأتيهم من زمان بعيد.. من آلاف السنين.. من ناحية فلسطين فاستقر الرأى نهائيا، على أن يصلوا ما انقطع - من زمان قديم - ويجعلوا التركيز كله على «تهويد» فلسطين.... وهنا، وفى ظل المعنى القائم فى ضمير اليهود.. وضعوا الاسم للجماعة.. وسموها جماعة صهيون.. أو منظمة صهيون.

أطلقوا الاسم، وهم متأكدون من أن غيرهم، كائنا من كان، سوف لا يعرف من هو (صهيون) ولا ما هى حكايته، أو دلالته، ولا ما هى الصهيونية، أكثر من المعنى الظاهر، وهو أن اليهود كونوا جماعة لحل مشكلة اليهود.

أسروا فى نفوسهم معنى (صهيون) تاركين العالم كله يتخبّط، فمن قائل إنهم بهذه اللفظة إرهابيون، ومن متطوع بالتفسير من أنهم استعماريون، وكَثُر التأويل، والتخريج، وناب عنهم غيرهم، من أصدقائهم ومن أعدائهم، فى وضع معان مختلفة لصهيون، وللصهاينة، ولحقيقتهم، واستراح اليهود جدا لذلك، ووجدوها فرصة نادرة لا تُعوَّض، فقد اندفع الجهابذة فى الفكر السياسى يقولون إن

اليهود شيء، والصهيونية شيء آخر، واليهود يسمعون ويخنزون، حتى إذا ما فلتت كلمة من إنسان بأى مكان فى الدنيا عن اليهود.. رفعوا عقائرهم، وصرخوا قائلين: أنظروا.. إنه يتكلم عن (اليهود) وهنا ينبرى الجهابذة، ليقولوا: يا ناس، ألم نقل لكم تكلموا عن الصهيونية ولا تأتوا بسيرة اليهود على ألسنتكم، ها أنتم بكلامكم عن اليهود تضعون أنفسكم فى موضع المتهمين بالتعصب العنصرى.. والدينى.. والقومى بإتيانكم بسيرة اليهود على ألسنتكم.. ياناس.. العنوا شأفة أم رأس الصهيونية، لأن اليهود شيء، والصهيونية شيء آخر، فيهود العالم المسالمون، الطيبون، لا علاقة لهم بالصهاينة.

هذا الذكاء اليهودى الفائق.

وهنا خيبة أمل خصوم اليهود..

اليهود، وضعوا تمثالا، مثل «خيال المآتة» ليسدد عليه من له مع اليهود أمر، الطلقات.. ويترك الطريق رحبا.. لمسيرة اليهود نحو غايتهم.

فالذين اجتمعوا لم يقرروا أن يفعلوا شيئا ما بفلسطين لأنفسهم فقط، أو لعدد معين عينوه بالاسم أو بالرقم، وإنما للجنس اليهودى كله، ولم يرفع يهودى واحد فى الدنيا، فى ذلك الزمن، أو بعده، ليقول لجماعة صهيون.. تكلموا باسمكم وحدكم.. ولا تتكلموا باسم عامة اليهود.. (١)

(١) أنظر الفصل الأخير (نشيد الختام) ففيه فصل الخطاب فى هذه القضية.

هل يسرت المعادلة الصعبة..؟

هل أصبحت هينونة لينونة..؟!

هى لعبة لفظية، يربح منها اليهود بأن يضعوا أى متكلم عنهم فى مأزق، وفى حرج، عندما يرمى بالتعصب، أو بالانزلاق العقلى القومى والعنصرى..!!

ولكن ما هى الفائدة اليهودية من وراء ذلك.. أى من وراء تخويف الناس من الكلام فيهم كيهود..؟

أولا، لأن الكلام فى (صهيون) مضمون العواقب عند اليهود بأن لا يوصل إلى الإلمام بشىء عنهم.. إطلاقا.. فذلك كما قلنا روح سر الأسرار اليهودية المنطوية فى تلافيف ضمائرهم.

ولكن الكلام فى اليهود يمكن أن يوصل إلى شىء.. وأشياء.. من هذه الأشياء الكثيرة التى يعرفها اليهود عن أنفسهم، والتى لا يعرف أحد سواهم عنها شيئا.. إطلاقا أيضا.

إن التاريخ تحت أيدى الناس فى كل مكان، ومدونات التاريخ تحت أيدى العلماء والكتاب والأدباء فى كل مكان، وهى أكثر جدا تحت أيدى الكتاب والمؤرخين والأدباء وذوى القرائح الذين يشغلهم من أوطانهم ماضيها.. وهم يكتبون عن حاضرها، وبخاصة فى المنطقة التى لليهود فيها دور.. واليهود يعرفون هذا التاريخ بالتفصيل، ومن مدوناتهم [1]. ومن مدونات خصومهم، ويخشون أن

(١)انظر فى Zione Stpire الذى أخرجته وزارة خارجيتهم أخيرا.

تظهر الحقائق.. وقد يستتبع ظهور الحقائق أن يبدأ الناس كشف أسرار اليهود، ومم تتكون الشخصية اليهودية؟ وما هو دورهم القديم فى العالم؟ بصورة واضحة ليست غائمة، ومصلحتهم هم فى أن تظل غائمة.. على الأقل.. على الأقل جدا.. أن يظن الناس فى العالم، أن دور اليهود الجديد، على يد الصهاينة، دور جديد جداً، يبدأ السير من مطلع القرن العشرين، ليظل الدور القديم فى غَيم التاريخ، وضبابه، ليظل التراب مهيلاً على (حقيقتهم) وعلى (فضائحهم) وعلى دورهم (القديم الذى يكررونه نقلا بالمسطرة فى العصر الحديث).

اليهود فى القرن العشرين، يحاولون أن يظهروا بمظهر الحضارة، والتمدين، والأوربة، والأمركة، وخلعوا عن أنفسهم مشالح البدو الشرقية التى كانوا يلبسونها قديما، ولم يعودوا يطلقون لحاهم، وتركوا قرص شعر وسط الرأس منبتا غير حليق كما تعودوا فى القديم.. وتسموا بأسماء أكثر رقة من ذى قبل، وحضروا المحافل، وتراقصوا، وشربوا الأنخاب، وبدوا فى صورة غير مُعَقَّدة، إنهم يسبقون أصحاب نزعات التحرر الفردى فى المجتمع من قيود التقاليد البغيضة التى لا تسمح باستبرتيز.. ولا بأن يكون الزوج مهذبا إذا ما كانت زوجته فى لحظة خاصة تمارس التحرر الاجتماعى الفردى، واشتروا أجهزة الإعلام.. والصحافة.. ودور النشر.. واندسوا إلى كل مكان حساس فى كل مكان بالعالم..

مستشارين.. وأمناء سر.. واشتروا ضمير رأس المال، أى رأسمال فى أية أمة.. بالذهب.. وتركوا سادة الأمم وأبناءها يحكمون.. ظاهرا.. أما السيد المُطاَع فهو رأس المال.. اليهودى..

فى ظل هذا التحكم الشديد لتوجيه كل شىء لمصلحتهم، تركوا العالم كله يتكلم عن الصهاينة، وعن صهيون، حتى تتدفَّق الخدمات اليهودية من كل يهودى فى موقعه من العالم، وتتدفق هذه الخدمات، فى المسار اليهودى، الذى يربط القديم، بالجديد، ولا أحد يدرى عن ذلك شيئا..!

وكثيرون من كتاب عصرنا، وقعوا فى هذه (الخطيئة) اليهودية، ونطقوا - دون دراية - بألسنة اليهود، يطالبون بأن تكون الحملات المتأهبة لأن تَشن.. أن تشن ضد الصهاينة لاضد اليهود، وإن كنت لا أعين بالاسم.

تسألنى بعد

ولكن الواقع يؤكد وجود أساتذة وعلماء من اليهود الذين تنازلوا عن يهوديتهم، وارتضوا لأنفسهم عقائد اجتماعية أخرى غير عقيدة اليهود الدينية والجنسية والعنصرية.

فأقول لك، أولا، كم عدد هؤلاء..

ستجهد نفسك أيما إجهاد إن حاولت نظمهم فى عقد من عشرة.. وأنا معك، من أجل هؤلاء العشرة، أنا مستعد أن أسايرك وأتكلم عن الصهيونية، وأترك اليهود، حتى لا تغضبهم، فهم معنا، وضد

اليهود.

ولكن، أليس من حقنا، معا، أن نستشف رأى هؤلاء الأساتذة الذين عادوا جنسهم من أجلنا، فى المشكلة المعاصرة!.

هل عرفت آراءهم فى المشكلة؟

ألم يأتك نبأ هذه الآراء، من أنهم، يودون، أن نسدل ستارا على أى خلاف، وأن ندعهم، تمشيا مع المدنية، والحضارة، ينعمون بالسلام فى فلسطين، وأن يكون الجوار بيننا جوار الأخوة.. المسالمين.

هذا الذى يقوله الأستاذة المتحضِّرون، العلماء أعداء اليهود، هو غاية الحلم الذى يحلم به كل يهود الأرض..!

وحلم كل يهود الأرض، أن يسدل ستار على (الماضى) كله.. حتى يظن الناس أن قضية فلسطين بدأت منذ وعد.. «بلفور». الحقيقة ليست كذلك..

الحقيقة.. فى كتابنا هذا.

***

وتجىء بعد ذلك ضَجَّةَ كتاب (بروتوكولات حكماء صهيون) (١) وسواء كان هذا الكتاب، تقريرا أو أكثر، ومن إعداد «تيسودور هرتزل» أو أنه تقرير مدسوس عليهم.. ، دسه كائد ماكر، عليم بنواياهم وأساليبهم، فإنى هنا أقرر:

---

(١) أول من ترجمه إلى العربية الأستاذ محمد خليفة التونسى. وقدمه الأستاذ عباس محمود العقاد.

أولاً: لو أن هذا الكتـاب، جـاء خلوا من الشـروح التى مـلأت هوامشه وحواشيـه، والتى وضعها السيد (سرجى نيلوس) أول من اكتشف الكتاب فى صورة تقرير، وطبعه بلغته الروسية فى بلده، الروسيا، هذه الشروح التى أيدها مترجم الكتاب إلى العربية وأزاد عليها، لما أثار ضده عداوة إلا عداوة اليهود.

ذلك لأن تلك الهوامش والشروح الفرعية، مليئة بالأخطاء، مُغْرِقة فى التخمين، وبخاصة فى الزعم المنبث فى معظم الشروح حول الربط بين اليهود والمجتمعات الاشتراكية، والقول بأن الاشتراكية مجتمعات يهودية، ولم يعد خافيا على أحد فى العالمين أن المجتمعات الاشتراكية أعدى أعداء اليهود.. لطردها المجالات الرأسمالية المُتعفِّنة، والتى يعشِّش فيها اليهود.. والمستهودون..

ثانيا: إنى أميل إلى الاعتقاد بأن الكتاب من وضع شيوخ اليهود، وليس مدسوسا عليهم، والدال على ذلك، أن بالكتاب من العبارات الرامزة إلى أشياء من التى يعتبرها اليهود سر أسرارهم، والتى لا يكتبونها ولا يتكلمون فيها أمام أحد غير يهودى.. منها، على سبيل المثال ذكر لفظة (صهيون) نفسها.. وربط ذلك بالنبى داود عليه السلام.

«صهيون» حكايته مشروحة تفصيلا فى مكانها من الكتاب، ويكفى هنا الإشارة إلى أن هذه اللفظة المتداولة والشائعة على كل قلم وكل لسان، لم يذكرها فى جملة رمزية إيهامية، كالشفرة التى لا

يفك رموزها إلا الاخصائيون، هو «بن جوريون» فى كتابه «سنوات التحدى».

أما الصهيونية، فهى الأسلوب الذى يضفِّر الدين، بالسياسة، بالعدوان الإيجابى بمعتقدات الجنس اليهودى.

وإذا كان، فى التقدير النظرى، أن كل فرد من أى جنس فى الدنيا لا تؤهله مواهبه لأن يكون سياسيا، ولا تؤهله إمكانيات محددة من أن يكون محاربا، فإن الممكن، فى كل جنس، أن ينوب المؤهلون القادرون، بمثابة قادة، عن الباقين.

ولذلك، فليس كل يهودى، بعيدا عن المعركة، عدوا للصهيونية، وإنما هو فى مكانه، كأى إنسان آخر من أى شعب آخر، قد قعد فى مكانه، وقلبه، وروحه، وإمكانياته.. مع الآخرين فى مخطاهم.. وهم يدبرون خطوات ذلك المخطى.. نحو الهدف..!

ويعنينى هنا، وفى الدرجة الأولى من الأهمية، أن أقرر عن الصهيونية أنها قديمة.. قديمة جدا.. عمرها فى الوجود أكثر من ثلاثة آلاف من السنين، كفكرة، ثم كتجربة، ثم كحقيقة لها وجود مادى.

فقائل يقول: ولكن كل الذين كتبوا عنها قرروا أنها بدأت من قريحة هرتزل ومؤتمرات حكماء صهيون، منذ نصف قرن، فأقول لهم أن تلك هى الصهيونية العائدة.. العائدة لربط ما انحل، ووصل ما انقطع، فى ذات الإتجاه، وبنفس الخط وبالأسلوب عينه الذى كان

من آلاف السنين، عـائدة، هذه المـرة، منذ نصف قـرن، وهى أكـثـر إطمئنانا للنجاح المؤكد من وجة نظرهم، ذلك لأنـهم قديمـا ، كـانوا ينفـذون تعـاليـم الصـهـيونيـة، وهم فى رقـعـة ضـيـقـة من العـالم، فى منطقـة، ولكنهم اليوم ينفذونهـا وهم فى العـالم كله، ومـعـهـم تنظيم مخاتل، محكم الختل، بإكثار اللافتات، وتعديد الهيئات، وكالات يهودية لا تحمـل اسم صهيون، ولكنها تنفذ تعـاليم صهيـون، وهدف صهيون، وبعضهـا للتمويل، وأخرى للإعلام، وثالثة للتهجير إلى المعسكر المسمى إسرائيـل، ورابعة تتظاهر بالعداء ضد صهيون، لتمتص شعور البغض العام.. ضد اليهود.

***

واليـهـود اليـوم، لا يـملكون نهـر الذهب فى العـالـم.. الذهب الذى يجرى سائلا فى الأسواق، وفى المصـافق، ومتـجـمدا فى المصارف، وحسب، وإنما يملكون، بهذا الذهب، شيئا آخر غير (عناق) رأس المال اليهودى بأى رأسمال آخر.

إن مصالح رأس المال اليهودى، تتفق فى المصالح (الاقتصادية) من رءوس الأمـوال (الاقتـصادية) فى العـالم، وكـذلك هى تتـفـق فى المصالح الاقتصادية، مع الرأسمال الاستعمارى، فالاستعمار أساسا ، (إنتاج) ومناطق نفوذ ، ومن مصلحة رءوس الأموال المتعـانقة فى المصلحة الاقتصادية، أن تطفىء كل مصباح اقتصادى يُشْعَل فى مناطق النفوذ.

ولكن هناك شيئا جديدا حدث فى الكون.. شيئا بعيدا عن الاقتصاد.. ولكنه مؤثر فيه، هو ظهور العالم الاشتراكى، وعملة العالم الاشتراكى (الجهد) البشرى، وليس المال، إن العالم الاشتراكى، أعدى أعداء رأس المال.. وأعدى أعداء اليهود.

ظهر فى العالم، (عقيدة) عصبها القضاء على الشيطان الذى هو رأس المال المطلق دون النظر إلى جنسيته.

من هنا، كان انحياز نهر الذهب المرتجف.. الذهب اليهودى المتوجس خيفة من العقيدة الاشتراكية، إنحاز إلى رأس المال الأمريكى والانجليزى والاستعمارى بعامة، ليس انحيازا (اقتصاديا) فقط، وإنما انحيازا (غريزيا)..انحيازا دخلت فيه مصلحة جديدة غير المصلحة الاقتصادية، وهى مصلحة البقاء.. البقاء الذى لا يتم إلا بالقضاء على العقيدة الاشتراكية القاضية على رءوس الأموال.

نعم، إن رأس المال الذى عاش (لا يفكر) إلا فى الربح والكسب وتحقيق الهدف الاقتصادى، أصبح الآن، بعد وجود العالم الاشتراكى، (يفكر).. ويفكر طويلا.. ويرسم الخطط غير الاقتصادية، حتى ولو كانت خططاً لا تحقق الربح، لغرض أهم من الربح الاقتصادى، هو تحقيق المجالات الجديدة لضرب الفكرة الاشتراكية العدوة الغريزية لرأس المال.

وبانضمام، (الفكرة) إلى رأس المال، نتج شىء جديد من وراء

هذا العناق الأخير بين اليهود والأمريكان، هو «فاشيستية رأس المال» الفكرة الطاغية التى لا تقبل المناقشة.. لم يعد رأس المال اليهودى الأمريكى الاستعمارى، رأسمالا اقتصاديا، وإنما رأسمال يفكر فى القضاء على كل نزعة إنسانية تحاول التخلص من سيطرة رأس المال.. وأسلوب رأس المال المفكر، وهو الفاشيستية، فاشيستية رأس المال التى هَمَّت بمحاولة سحق نزعتنا الاشتراكية فى منطقتنا..

***

لنرجع فى الرأى، إلى واحد ممن وضعوا تعاليم الفكرة الاشتراكية فى العالم.

إنه كارل ماركس.

كارل ماركس اليهودى الذى تحرر من يهوديته بفكره الإنسانى يقول كارل ماركس:

«يجب ألا نبحث عن سر اليهودى فى دينه، بل فلنبحث عن سر الدين فى اليهودى الواقعى.

ما هو الأساس الدنيوى لليهودية؟ المصلحة العملية، والمنفعة الشخصية.

إذن فالعهد الحاضر بتحرره من المتاجرة والمال، وبالتالى من اليهودية والواقعية والعملية، إنما يحرر نفسه أيضا».

«والتنظيم الاجتماعى الذى يلغى الشروط الضرورية للمتاجرة، *

وبالتـالى يلغى إمكانيـة المتـاجرة، سـوف يجـعل وجـود اليـهـودى مسـتـحـيلا» «والضـمـير الدينى لليـهـودى سوف يتـلاشى، مـثل بخار تافه، فى جو المجتمع الحقيقى».

«ومن وجـهـة أخرى، فـاليـهـودى منذ أن يقر ببطلان جوهره العـملى ويبذل جهده لإلغاء هذه الجوهر، يحاول الخروج مما كان تطوره حتى ذلك الحين، ويعـمل للتحرر البشرى العـام ويتحول نحو أسمى تعبير عملى عن التخلى البشرى عن الجوهر».

«إذن فنحـن نقـر بـأن ثمـة فـى اليـهـودية عـنصـرا عـامـا، ومناهضـا للمـجـتـمع، وهو عنصـر انـدفـع، بالتـطور التـاريخى الذى سـاهم فـيـه اليهود، من هذه الوجهة السيئة، مساهمة نشيطة، إلى نقطة الأوج فى الزمن الحاضر، إلى ارتفاع لا يستطيع معه إلا الانحلال».

«إن التحرر اليهودى، فى معناه الأخير، يقوم فى تحرير الإنسانية من اليهودية» [١].

ويقول كارل ماركس أيضا:

«إن قـومـيـة اليـهـودى الوهمـيـة، هـى قـومـيـة التـاجر، قـومـيـة رجل المال» [٢].

«إن قـانون اليـهـودى، عـادم الأسـاس والعلة، ليس إلا الصـورة الكاريكاتورية الدينية للنفسية، لنفسية الطقوس الشكلية البحتة، عادمة الأساس والعلة، التى يحيط عالم الأنانية بها» [٣].

(١) كارل ماركس - المسألة اليهودية ترجمة محمد عيقانى ص ٥٥ و ٥٦.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نفس المصدر.

«لا تبلغ اليهودية ذروتها، إلا مع اكتمال المجتمع البورجوازى»

قال ذلك كارل ماركس عام ١٨٤٤، قبل أن (يفكر) اليهود فى البحث عن حل لمشكلة اضطهاد الشعوب لهم على حد تعبيرهم، وهى مشكلة تخلص الشعوب من الآفة البشرية اليهودية على حد ما يجب أن يقال، وقبل أن (يفكر) الرأسمال اليهودي، حتى يتبع أسلوبا جديدا هو فاشيستية رأس المال، ومع ذلك فقد أصاب كبد الحقيقة فى قوله:

«المال هو إله إسرائيل الشره الطمع، ويعتقد اليهود أنه لا ينبغى أن يعش معه إله آخر، إن المال يخفض جميع آلهة البشر ويجعلهم سلعا المنتجة.. هذا هو الإله الحقيقى لليهود..!»(١).

**

فقائل يقول هنا:

كيف يتأتى لماركس أن يكشف حقيقة اليهودية، على هذه الصورة العلمية التى لا لبْس فيها ولا غموض، ثم تأتى من بعده الدولة الماركسية الأولى (الاتحاد السوفياتى) وتخلص المجاهرة فى الخلاف الدائم مع المعسكر الاستعمارى.. وفى إحباط نواياه بكل الوسائل ومنها حق (الفيتو).. إلا فى مسألة واحدة.. مسألة واحدة.. مسألة واحدة اتفق فيها الاتحاد السوفياتى مع الاستعمار الأمريكى وهى (تقسيم فلسطين) بين العرب واليهود..؟

---

(١)نفس المصدر.

فأقول

ولكن ماذا أقول..؟

أقول إن اليهود استطاعوا عبر السنين الطوال التى ثابروا فيها وراء قضيتهم، أن يثبتوا للعالمين أن فلسطين كانت يهودية، وأن العرب ساكنوهم فيها، وأن من حقهم أن يعودوا لوطنهم الأصلى، وأن يطردوا منها العرب (الدخلاء) إلى بلاد عربية أخرى..!

ومن هنا، كان الذى يؤيد مشروع التقسيم، يظن أنه وضع الحق فى نصابه.. أو هو قد جامل العرب بعض الشىء..!!

وكان العرب أثناء ذلك، يتصايحون بكلمات إنشائية عامة، أن فلسطين عربية، وأن اليهود هو الذين اغتصبوها، فإذا ما قيل لهم: ما الدليل، أجابوا: إن ذلك ثابت.

لم يصدر كتاب واحد على طول التاريخ العربى يكشف للعالمين حقيقة الوضع القديم من أن اليهود قبائل متفرقة كان وطنها الأوحد الذى اختاروه.. (الغربة) لجمع المال.. ولاقتراف الرذائل فوق كل أكمة عالية وتحت كل شجرة خضراء..!

فإذا أضفت إلى ذلك، فلسفة الروح الانجليزية الاستعمارية، من أن (اغتصاب) الشعوب واستعبادها حق مباح للاستعمار.. أدركت أن الانجليز فعلوا ما فعلوا مع إسرائيل، بالنفوذ السياسى، وبقوة السلاح، وهم منطلقون فى ذلك، لا بحكم التفكير السياسى وحسب، ولا بإملاء الضرورة فى إيجاد بديل عنهم بالمنطقة عند انكماش

امبراطوريتهم، ولا بحتمية عناق رأس المال فقط، وإنما لإرضاء الضمير الانجليزى الاستعمارى فى تمكين اليهود مما سبق للإنجليز أن تمكنوا منه لأنفسهم.

«هل نسينا أحد هؤلاء الطغاة ـ سيسل رودز ـ عندما زار الطرف الشرقى من لندن وسمع العمال الجائعين يصيحون «نريد خبزا» «نريد خبزا» فقال:

«لكى ننقذ الأربعين مليونا، وهم سكان هذه الجزيرة من حرب أهلية دامية، يجب علينا نحن أصحاب سياسة الاستعمار أن (نجد أرضا).. (للفائض).. (من الشعب).. (ومن المنتجات).. إن الأمبراطورية كما قلت مسألة.. (بطون).. [1].

وكذلك الأمريكان، تلامذة الانجليز فى الاستعمار، على خلافات بسيطة فى الأسلوب، كتركيز السيطرة الاستعمارية على الاقتصاد ورأس المال، يقفون إلى جانب اليهود لكل هذه العوامل التى بيناها، وأيضا.. لإرضاء الروح الأمريكية التى عبر عنها فيلسوفهم «برنهام» للسيطرة الأمريكية على العالم تحت شعار قيادتها Ameriricam Leadership

ترى..؟ هل يعرف أبناؤنا، أبناء العرب أجمعين، من الأجيال الجديدة النامية، أن تمثال الحرية الرائع فكرة وفنا، والمقام فى مواجهة الداخلين نيويورك.. أنه ليس تمثالا أمريكيا، وليس فكرة أمريكية، ولم يخطر وجوده على بال أمريكى واحد..

(١) مصريون لا رعايا تأليف أحمد رشدى صالح ص ٤٦.

إنه (هدية)

تمثال الحرية الامريكية، المشهور، هدية (منقولة) إليها ككل شيء فى أمريكا، حتى تدمغ بأنها (أمة غير أصيلة) أمه من أخلاط الشعوب وأمشاج الأمم.

لما ناصر المركيز الفرنسى دى لافاييت، جورج واشنطن فى حروب تحرير الولايات المتحدة من مستعمريها الاوربيين كرمته الولايات المتحدة بتعيينه بواسطة مجلس الأمة الأمريكى (قائدا فى جيش التحرير)

وفى العيد المئوى لاستقلال أمريكا عام ١٨٨٦، رأت فرنسا، أن ترد الجميل الذى وجه إليها فى شخص ابنها الماركيز دى لافاييت، فكلفت المثال الشهير (فردريك أوجست بارتولدى) أن يضع تصميما لتمثال رائع عن الحرية وفكرتها.. ثم بعثت بالمثال.. وبالتصميم.. إلى أمريكا.

وبينما ينظر إلى التمثال أى إنسان من شعوب الأرض، فيوحى إليه بتهويمات الحضارة والفن، ويملأ روحه بعزف رؤى وسحابات ترقص فى الآفاق رقصة الحرية الإنسانية، بينما ينظر الأمريكى إليه على أنه (زينة) وعلامة تدل على المرفأ لا أكثر ولا أقل..!! إن التمثال، مصباح مضيء وضعته فرنسا فى يد أعمى..!!

***

يا صاحبى

أنا لست ضد اليهود

وكتاب هذا ليس ضد اليهود

وبلدى، مصر ، ليست ضد اليهود

وقوميتى العربية ليست ضد اليهود

ولكن

وها أنت تراهم، ومعهم السياسة الأمريكية اليهودية، والسياسة الإنجليزية اليهودية، ورأس المال العالمى اليهودى، يتجمعون، ويتفرغون، لسلب الوجود العربى، من العرب، ولاقتلاع نجوم الحرية والحضارة والتقدم من سماء بلادى .

ماذا تريدنى أن أصنع.

هل تريد أن أقف عاقدا ذراعى، فى استعلاء بعض المثقفين، لأسأل اليهودى المعتدى: أرنى بطاقتك من فضلك، أيهودى أنت أم صهيونى؟.

إن أمى.. أم الدنيا.. أم الحضارة.. تمشى الأفاعى فوق صدرها.. وتريدنى أن أناقش الأفاعى لأسألها من أى فصيلة هى..!

ياصاحبى

القضية بين العرب واليهودى، قضية الصراع بين الحق والباطل، بين الحضارة والهمجية، بين الحمى واللصوص، بين الإنسان.. والأفعى.

يدهمنى أفعوان.. فماذا تريد أن أصنع معه.

ماذا ترى أن يكون الحل..

وحتى لو أنك من المؤمنين معي بالفن الشعبى، الذى هو «مسودة الحضارة» والمنهاج لتفسير العادات والتقاليد والمجتمعات، وقلت إن «الرفاعية» يستطيعون بقوة السلام.. بسر الاله الأعظم، أن يحكم على الثعبان بالتراجع.. والانكماش.. والرضوخ للحق.. أقول لك، إنه ليس من بين أنصار الاستعمار واليهود فى هيئة الأمم المتحددة.. «رفاعى» واحد.

يا صاحبى

الدنيا المخمورة.. السكرة.. دنيا الامريكان والانجليز واليهود، ملهى.. كاباريه.. والموقف فى حقيقته العميقة، يختلف عن واقع اللحظة.. فالساكرون المخمورون.. بنشوة السلاح، وقوة المال، وإندفاع الهمجية.. يعتدون على البقعة التى تفجرت منها ينابيع السلام، والحضارة، والثقافة، والأديان.. والرجال.. !

فهل تعتقد أن أمة «الاستربتيز» مهما بلغ انتصار اللحظة، تنتصر فى المدى الطويل، على أمة العرب، أمة الحضارة والرجال..

***

وقد يثور السؤال الحَنق المغَيظ من إيماننا بالنصر:

كيف تتخيلون نصرا، وواقع الحال من حولكم، يؤكد أن العرب دخلوا فى مصيدة من فولاذ مُحْكمة؟!

كل قول الاستعمار متحالفة ضدكم؟ التكنولوجيا؟ والسلاح؟ والخبرة والمال؟ والدهاء؟ وارتباط المصالح! والثقافات الفوضوية الهمجية؟ ثم.. النساء! ثم.. أيضا.. زوال من بعيد.. كالسمادير.. خيالات في غبشة الأفق.. توحى لخلق كثير في الدنيا أن اليهود أشباه بأصحاب الحق في فلسطين.. فقد كان لهم أنبياء.. ومباك.. وهياكل.. هناك..

وقبل أن أجيب، بأن الجواب الشافي الكافي طي هذا الكتاب. أقول:

لقد مر العرب بنفس التجربة قبل ذلك، مرة

وكانت غاية في الإحكام كتلك التي نحن بإزائها اليوم، وبنفس القوى الاستعمارية المتحالفة، الدهاء، وتحالف المصالح، والسلاح، والثقافة الهمجية الفوضوية.. وأيضا.. النساء..

وكانت تلك المرة التي نعنيها، ضد المغرب العربي..

وكانت فرنسا في ذلك العهد، نهبا مقسما بين الثقافة المسيحية الحضارية، والثقافة اليهودية البربرية.

وكان قطب الرحى في عالم الاستعمار يومذاك، «بسمارك» مستشار ألمانيا.

وأخذت فرنسا، من الشمال الأفريقي العربي، «الجزائر» لقمة سائغة، ثم راحت على مدى سنوات طويلة تتحين الفرصة لاحتلال «تونس» إلا أن الوحوش الاستعمارية الضارية، في ذلك الوقت، وهم

انجلترا، وإيطاليا مع فرنسا وألمانيا، كانوا فى صراع داخلى، وصراع خارجى، يلعبون لعبة الدهاء الماهرة الماكرة، بحذق يتسق مع حذق العاهل.. مستشار ألمانيا، فألمانيا لا تريد لأى وحش من هذه الوحوش أن ينضم إلى حظيرة الحلف الروسى، من ناحية، أو أن ينضم إلى حظيرة الحلف العثمانى من ناحية أخرى، أو أن ينضم إلى حظيرة الحلف الإنجليزى، من ناحية ثالثة.

وفرنسا، على الرغم من أنها تئن من جرحها القومى، الذى أثخنه بسمارك، بانقضاضه العسكرى المباغت على فرنسا وضم الالزاس واللورين إلى ألمانيا. إلا أنها واقفة بالمرصاد، لعدوها التقليدى. الوحش المتخصص فى سرقة «المواقع» والمضايق.. الانجليز.. وهى أى فرنسا، لا تريد أن ينضم الوحش الألمانى إلى الوحش الانجليزى. فتكتم جراحها، وينتهز بسمارك الفرصة، ليحول الأنين من الانتصار الألمانى، إلى منحة استعمارية تفرح بها فرنسا، ويشير عليها بأنه سيغمض عينيه، ويسد أذنيه، إذا ما انقضت فرنسا على.. تونس.

وتفرح فرنسا، وتعد العدة للاقتناص.. تجربة مرت بالسلم عن طريق السفراء.. دى لسبس، ثم خلفائه من بعده، وتتأهب له بالغزو العسكرى.

وكانت انجلترا، وإيطاليا، تقفان بالمرصاد، لفرنسا، لعلمهما بنياتها حيال «تونس»

كانت الجزائر قد تحولت، بعد معارك رهيبة ضد الإحتلال الفرنسى، إلى ولاية فرنسية كبيرة، نشطت فيها مطامع رءوس الأموال الفرنسية اليهودية، كما أنها أصبحت ميدان التدريب العسكرى المتفوق لفرنسا، وكما يقول (ثيير Thiers) أحد قادة فرنسا فى ذلك الحين، والذى تخرج من مدرسة تدريب الجيش الفرنسى فى الجزائر «إن الحزائر، بمثابة المدرسة التطبيقية للجيش الفرنسى، يتدرب فيها على الصبر فى الحروب، وتحمل المشاق، ومواجهة الأخطار المُحدقة، والمتجددة»[1].

ويذكر De Remusat عن ثيير قولته التى اشتهرت بعد ذلك: إن أفضل الجنود الفرنسيين هم الذين تمرنوا على الحرب ضد الجزائريين. وضد الحصان الأبيض.. »

تونس هى الفاكهة الناضجة على الشجرة، كما يقول بسمارك لفرنسا، فعليها أن تمد يدها لقطافها وهى مطمئنة

ولكن الانجليز بالمرصاد..

كل ذلك ليس بالمهم. نعم.. إن المهم هو رأى ايطاليا فى مسألة تونس.. إن ايطاليا ليس لها مجرد رأى من آراء الوحوش الاستعمارية.. وحسب، بل إن لإيطاليا «الحق» فى تونس.. تماما كما يقول اليهود عن فلسطين.. لماذا يا ست ايطاليا؟

---

(١) انظر مقال: «علاقات فرنسا بشمال افريقية فى النصف الثانى للقرن التاسع عشر، للدكتور محمد مصطفى صفوت «بمجلة كلية آداب الاسكندرية. المجلدان السادس والسابع».

لأن روما، التى هى أصل إيطاليا، كانت تملك «قرطاجنة» التى هى أصل تونس القديم..

ويعزز رأى ايطاليا فى ذلك الوقت.. أدب اليونان، والالياذة[1] وأشعار هوميروس

قرطاجنة...؟؟

السؤال.. ياست ايطاليا..

هل كانت قرطاجنة هى الأصل.. وقامت تونس على أنقاضها بعد احتلالها واستعمارها لصالح الغزو التونسى الافريقى؟.. أم أنها كانت تونس.. ثم احتلها الرومان وأسموها قرطاجنة..؟

نعم..؟ هل البيضة قبل الفرخة.. أم الفرخة قبل البيضة..؟ ومهما رحت تعيد السؤال، فلا جواب لدى إيطالى غير هذه الاطروحة الشعبية لتميّع السؤال: هل البيضة قبل الدجاجة أم أن الدجاجة قبل البيضة..؟!

ولم تكتف ايطاليا، بهذا الادعاء الذى يستند إلى خلفية أدبية كبيرة وشبه حقيقة تومض هناك.. عند الأفق.. كالسمادير فى غبشة الصبح.. تماما كما يحاول اليهود أن يملأوا وسائل إعلامهم بهذه الخيالات والرؤى فى أوربا وأمريكا اليوم..

واستنادا إلى العلاقات القديمة بين الجالية الايطالية فى تونس وبين التونسيين، أعد فى تونس مظاهرة أشبه بالكرنفال.. لمقابلة

(١) هذا العنوان «الالياذة» نُقِلَ إلى العربية كما هو:. وترجمته بالعربية «وطنى» وباللسان الشعبى.. «بَلدى».

سفير ايطاليا الجديد فى تونس «ماتشيو» Maccio الذى نقلته إلى تونس بارجة حربية ايطالية، ومن رصيف الميناء حتى دار القنصلية، تحرك بين صفوف البحارة والأهلين الايطاليين ومعهم الطبل والزمر والرقص.. وانبعثت الكلمة القديمة... قرطاجنة.. إلى الوجود الاستعمارى..

والانجليز، يباركون خُطى ايطاليا... ويبعثون إلى دور النشر والصحف، الدراسات الجديدة عن الأدب اليونانى القديم.. حول قرطاجنة.. والالياذة.. والأوديسة.. انتهى الأمر..[1]

لقد حان قطاف الثمرة التونسية.. قرطاجنة.. للطليان

الانجليز.. فى الظاهر.. وفى أورقة الدهاء السياسى.. يقولون لفرنسا، إن تونس ليست إلا امتدادا طبيعيا لنشاط فرنسا فى الغرب العربى.. ان عليها واجبا حضاريا.. أن تعلم هؤلاء المتخلفين.. وتحضرهم، ومن وراء ستار، لا تفتح فمها لايطاليا ببنت شفة..

وترد فرنسا على الوحش الانجليزى، العجوز، المدرب، بإثارة الفضائح، ضد الانجليز.. فى مصر وفى السودان.. ولكن الوحش البريطانى يتعقب فرنسا.. فى فاشوده.. فى السودان.. فهو لا يريد أن يتوالد هناك.. فى الغابات.. من الوحوش الاوربية.. إلا من فصيلة الانجليز..

---

(١) ومساندة الانجليز لايطاليا ليست حُباً فى سواد عيونها، وانما لإحباط خطة بسمارك فى الاستعانة بفرنسا ضد بقية الوحوش الاستعمارية.

ويختلف الوحوش.. إن الصراع بينهم.. سيؤدى حتما بالفريسة العربية.. إلى التماسك.. وإلى النضج... وإلى إدراك الموقف..

ما الحل إذن؟

تنفض فرنسا يدها من مصر والسودان، نهائيا..

طيب.. ثم..؟

ثم (تِسْتَفْرَد) فرنسا بتونس

وإيطاليا..؟

ندعها تِسْتَفَرد بطرابلس..

وقد كان.!

وزعّت الفريسة العربية على الوحوش، مصر والسودان للانجليز. وتونس لفرنسا، وطرابلس لايطاليا.

ودمتم..

فأين الجزائر اليوم

وأين تونس

وأين مصر

وأين السودان

كلها حرة.. تقف فى صف واحد.. ضد الوحوش

حقا، لقد تغيرت الفصيلة..

كان سيد الوحوش القديمة.. بسمارك

واليوم.. جونسون..

ما أشبه الليلة بالبارحة..

إن جونسون ليس فى صورته الواقعية الاستعمارية رئيساً للولايات المتحدة.. وإنما هو مستشار.. مستشار (للكونجرايخ) الامريكى. علىّ غرار ما تجمع بين الكونجرس والرايخ! وهو يعزف أنشودة اسرائيل.. كما كانت ايطاليا وانجلترا تعزفان انشودة قرطاجنة.!

كيف غاب عن الوحوش الاستعمارية، ان الانسان الافريقى، دون العالمين، هو، بالفطرة، والهواية.. صياد الوحوش.!!

والشرق العربى..

على مدى مئات السنين..

قاوم أوروبا البيزنطية..

وعلى مدى مئات سنين أخرى

قاوم أوروبا الصليبية..

واليوم..

نقف ضد الكتلة الاستعمارية الوحشية. بكل أسلحتها الضارية. وبكل صلاتها المشروعة والخلاسية، ولسنا فقط أمة الحضارة والاديان والسلام والرجال وحسب، وإنما، وأيضاً، وفى الدرجة الاولى، الأمة التى تقود النضال العلمى، والاجتماعى، والحضارى، ضد بربرية مستشار الكونجرايخ الأمريكانى

يا صاحبى

إن العرب أمة العرب، تخوض المعركة، اليوم، معركة مع نفسها، لسد الفجوة الحادثة بين الشعارات، وبين الواقع، ومع عدوها، غير ملتفتة إلى نكسة، أو هزيمة.. والمعركة فى تصعيد.. تصعيد يتفق. مع الملحمة.. الملحمة الطويلة العميقة.. والتى تتضمن الامويين كجملة موسيقية واحدة، والعباسيين، كجملة أخرى، ثم صلاح الدين والايوبيين، ثم الظاهر بيبرس العظيم، ثم معارك الحصان الابيض.. يخوض به الامير عبد القادر ومن ورائه القبائل فى الجزائر بطولات خالدة، تم ألحان الجهارة (الكورال) ضد الأحلام القرطاجنية فى تونس.. ثم معركة المليون جزائرى الذين خاضوها وهم يحملون شواهد قبورهم معهم.. ثم النثار النغمى الجانبى ضد نابليون.. وضد الانجليز.. وعلى المسرح اليوم.. مائة مليون عربى.. فى لحن الختام.. فى النشيد الاخير للملحمة.. نشيد فلسطين..

إن هذا الهدير المتعالى، فى جنبات الامة العربية اليوم، سيدخل الوحوش إلى أقفاصها.. سباع الاستعمار وسبع البرمبه الامريكى.. ومع هذه السباع.. سبع أنثى. أنثى كل هذه السباع.. اسرائيل

يا صاحبى

أنا لست ضد اليهود، ولكنهم هم الذين.. ضدى

وكتابى هذا ليس ضد اليهود، ولكنه يصور حقيقتهم، بأمانة، وهم بالتقليد المتوارث، أعداء الامانة

وبلدى مصر، ليست ضد اليهود.. ولكنها ضد البربرية والارهاب

وقوميتى العربية ليست ضد اليهود.. ولكن اليهود هم الذين زعموا أنهم أصحاب... ميراثها

***

يا صاحبى

تعال نسأل اليهود سؤالا واحدا

لو أنهم لم يعيشوا بين الأمم بهذا الازدواج البغيض، فى الظاهر يحملون جنسية قومية للبلد الذى يأويهم، وفى قاع الضمير اليهودى، يستبطنون الجنسية اليهودية، ولو أنهم لم يخونوا هذه البلاد، ولم يمسكوا متلبسين بخيانتها ، فعاملتهم بعض الامم على أنهم جاليات غير متمتعين بالحقوق المدنية، وعاملتهم أخرى كالخارجين على القانون، وأخيرا وقعت عليهم هذه الامم العقوبات.. العقوبات الادبية أولا..

الاحتقار.. وتلا ذلك العقوبات المادية.. الجزاء

لو أن اليهود، لم يقابلوا، بما يسمونه الاضطهاد.. هل كان من الممكن أن يكون هناك شئ اسمه «اسرائيل»، (هذا المشروع الشاعرى) كما سما لورد اكسفورد رئيس وزراء بريطانيا عام ١٩١٥، عندما عَرَضَ مشروع إقامة وطن قومى لليهود بفلسطين، وزير بالحكومة الانجليزية، يهودي، هو هربرت صمويل، مؤيّدا بوجهة نظر الحكومة الانجليزية، برئاسة لويد جورج، ثمنا لمادة قتل البشر بالجملة التى ركبها الكيماوى اليهودى.. وايزمان

كان اليهود، فى حالة اندفاع للهروب من الاضطهاد والاحتقار فى العالم، فبحثوا عن مكان يلجأون فيه من الاضطهاد والاحتقار بين البشر، راحوا يبحثون عن مكان.. ووجدوه أول مرة، ولم يكن فلسطين، ثم وجدوه مرة ثانية، ولم يكن فلسطين، ووجدوه مرة ثالثة، ولم يكن فلسطين، ومات المحامى الاديب المجرى تيودور هرتزل، وهو لا يقر أن يكون ملجأ المضطهدين.. فلسطين[١]..!!

زكريا الحجاوى
سبتمبر ١٩٦٧

---

(١) أنظر الفصل الأخير من الكتاب.

الثقافة المصرية
و«حَيّة» موسى...

بقلم

الأديب الكاتب المصرى القديم

حور محب

«إن الثقافة تهدى الضال[1]...

وتذكر الغافل...

وتملأ الناس معرفة بالأسرار المقدسة...

إن الثقافة لتهدى موكب المقادير فى رحلتها..

وتحمى أيامنا.. بالعلم..

وتدفع عن أيامنا شر «الحية» الفتاكة..».

بنى مزار - المنيا

فى عام ١٣٥٥ قبل الميلاد

---

(١) كانوا يرمزون إلى الثقافة، والمعرفة، والأدب، بالاله «تحوت» الذى هو الطائر «أبو قردان» لأنه يلتقط (الآفات) من الزراعة، والادباء والكتاب (يلتقطون الآفات) من المجتمع، بذلك تكون نظرية «التطهير» فى الادب والفن.. مصرية وليست يونانية كما يزعُم البعض.

الثقافة ...
بأقلام أدباء مصر الأوائل

الكاتب المثقف ، صاحب الاسم الخالد ، هو المتنبئ بالمستقبل .

هؤلاء الذين ينجبون للناس، أولادهم... كتبا(١).

كاتب من عهد رمسيس الثانى

و .. الثقافة الشعبية ..

«ان الكلام الحسن أكثر اختفاء من الحجر الأخضر الكريم ومع ذلك فإنه يوجد مع الاماء اللائى يعملن فى إدارة أحجار الطواحين..»

بتاح حتب

لمن أتكلم اليوم؟ فالرجل المهذب مات.! والصفيق الوجه يذهب فى كل مكان.!

لمن أتكلم اليوم؟ لا أحد يذكر الماضى..

لمن أتكلم اليوم ؟ فإنى مثقل بالشقاء وينقصنى الخل الوفى..

لمن أتكلم اليوم ؟ فالخطيئة التى تصيب البلاد لا حد لها.

فنان شعبى من عصر الاقطاع

ألا ترى أن التشابه التعبيرى شديد - رغم الأربعة آلاف سنة، بين هذا الفنان الشعبى فى «فنية» التعبير، وبين الذى يقول:

منين أجيب ناس لمعنات الكلام يتلوه..؟(٢)

---

(١)عن ترجمة الدكتور سليم حسن فى «الأدب المصرى القديم».

(٢) صاحب هذا الموال، هو رب «الموال» فى مصر .. ابن القليوبية، الشيخ. مصطفى مرسى.

الفصل الأول

حكايتى مع .. اليهودى

الفريسة المتوحشة..!

* مع بيرم ...
* فرعون موسى ...
* روح مصر ...
* الديوان الشفاهى ...
* مدينة وقرية ...
* سيناء ...
* مناهج وشكوك ...
* علم مصر ...
* صدفة ...
* الخيتا ...
* مدونات اليهود ...
* الفطرة تقرر
* الأخطاء تنسحب

*** مع بيرم ...**

كان «بيرم» الفنان الشعبى العظيم، يعيش فى انفعالات وطنية، ومع أنه - كان - متدينا، بل وصوفيا، إلا أنه لم يمسك بالقلم ليسطر للناس فكرا.. إلا من انفعالاته الوطنية.

كانت تهزنى كل عبارة «بيرمية» منذ الطفولة، تلك العبارات التى لاتوقف مستجليها عند مجالى الاهتزاز والامتاع وحسب، وإنما تدفعه الى استشراف أفكار ومعان أخرى فى (ورائية) العبارة

يوم أن قال بيرم:

من عهد ما كَتّفوك فى القبر يا فرعون

داست بلادك مِلل من كل شكل ولون

"وخلصوا منا تار موسى وتار هارون"

وبعد جور الزمان واللى جرى فينا

ظهرت لما بقى لك فى المنامة قرون

اهتززت ولا شك، واهتز صباى، بتوت عنخ آمون الذى يكتب عنه بيرم، ولكننى اندفعت الى الحكاية التي ألقى بى فيها ولم يقل لى عنها شيئا.

★ فرعون موسى ؟

هناك إذن «ثأر»..! ولمن هذا الثأر..؟ وما الذى فعلناه مع موسى ومع هارون.. ومن هو الملك الفرعون الذى فعل ما فعل مع موسى وهارون وجاءوا يخلصون الثأر منا نحن..

موسى وهارون يهوديان..

ما علاقة الاستعمار باليهود يا عم بيرم..؟

كانت هذه العبارة البسيطة، فى مطالع الشباب الأدبى، لى، أول «متاهة» أدخلها «لأستدل» على الأجوبة..

★★★

بدأت أقرأ..

والأسئلة تتكاثر، وتتزايد فى قوة الدفع إلى الكتب.

والكتب نفسها .. تفضى بى إلى «متاهات» أوسع..

★★★

وبيرم ، فنان شعبى.

وكان «الموال» هو القالب الذى ضَمَّن به عبارته.

ولكن الأجوبة الشافية لا تكون إلا في طريق من اثنين، «كتب التاريخ» و «كتب الدين» وعكفت - بصبر وعناد - ألتهم الأخبار عن اليهود هنا، وهناك، ولكني كنت كلما اقتربت من معالم وظلال.. ثم جستها، رأيت أنها بداية لمتاهات جديدة...

***

* روح مصر ...

وكنت عاشقا - بالفطرة - للفن الشعبى.

وتلازم حبى للقراءة فى الكتب، والبحث فيها عن ضالتى المنشودة، لحبى للفن الشعبى، ومقارنته - كأديب ناشئ - بالآداب التقليدية..

وأحسست أن المفتاح لما أبتغيه، ليس فى واحد من الطريقين: التاريخ، والدين، وإنما هو فى هذا الطريق.. الوعر.. الشائك.. الذى تراءت لى فيه أكثر من مرة (روح مصر).. كانت سمادير.. رؤى غير واضحة.. إلا أنها تلقى فى واعيتى بصيحات.. هى من أسرار الوجود.. وهمس الأبد.. أيام أن كانت مصر، هي الوجود، والتاريخ يلعب طفلا من بنيها الصغار..

واندفعت إلى الطريق الموحش... كُتب «الايجبتولوجى» أو «علم مصر»...، وإلى الطريق (الغائم) المهجور..!، طريق.. الملاحم الشعبية..

★ الديوان الشفاهى ...

ورأيت فى الديوان الشفاهى لروح مصر، وهو أدب الملاحم الشعبية، «معتقدات شعبية» تسبح فى الوجدان الشعبى المصرى.. فى الأعماق، تحت الحشائش التي تتغذى منها الأسرار.. فى أعماق النفس المصرية، فرحت أبحث عنها، فى الديوان الدهرى.. لروح مصر.. المحفور علي جدران الزمن.. وحوائط التاريخ.. فى المعابد والآثار.. وكتب علم مصر..

★★★

وبدأت أركب زورقى الصغير..

إمكانياتى المتواضعة ..

للرحلات .. وللحصول على الكتب النادرة، والمحدودة العدد، إذ هى كتب خاصة بالعلمى، وبالمتخصصين فى علم مصر..

ورحت .. بعيدا.. فى عالم المتاهات.. أجمع ملاحم الفن الشعبى، وكل ديوان (روح مصر) (الشفاهى) وأقرأ كتب علم مصر .. والقوى الدافعة لأتمكن من العودة..

* مدينة وقرية ..

ورأيت الشعب فى بلدى، شعبيْن.

ورأيت الأمة المصرية، أمتيْن.

ورأيت فى المنطقة التى نسميها اليوم بالمنطقة العربية، أو الشرق الأوسط، كانت فى التاريخ القديم، هى نفس الموجود اليوم... بأسماء أخرى، وبأوضاع أخرى.. ولكن الشكل.. والترابط.. والعلاقات، و «الجاذبية القومية» هى هى نفسها صورة قديمة، مطابقة للصورة الحديثة..

والأمتان المتعايشتان فى أرض واحدة، ووطن واحد، ومن شعب واحد، أمة فى الريف.. فى القرية، وأمة فى المدينة.. ولتلك ثقافة، وللثانية ثقافة مغايرة.. وأحسست بتسربات أجنبية مصنَّعة داخل ثقافة المدينة.

فاشتد الربط عندى، بين ديوان الأدب الشفاهى.. الملاحم والأدب المصرى، والعربى، القديم، وبين «علم مصر» الذى هو شهادة ميلاد البشرية كلها...

***

* سيناء ...

بدأت الملاحظات ..

تكاد تنطق كل ملحمة ، بأنها لم توضع ، إلا استجابة لرد فعل وطنى.. وأن «الوطنية» هي الأرض الصلبة التي ارتكزت عليها شعوب المنطقة.. قبل الأديان.. وبعد الأديان.

وضربت خيامى فى متاهة التاريخ المصرى القديم، الفرعونى، محاولا رؤية «المعارك» التى خاضها الشعب، لأبحث فى «ورائيتها» أى «الباجراوند» عن المدونات الملحمية التي صاغها الشعب تسجيلا وتذكارا للموقف.. ولأبطاله.. فهكذا عودتنى (روح مصر) أن تفعل..

واشتد الضباب فى «سيناء».

وهبط الضباب وكاد يتلاصق بالأرض.. فى «ثنيس» و «صان الحجر» والقطاع الشرقى بشمال الوادى..

وحتي فى «طيبة».. أرمنت والأقصر.. وقفت عند أزمنة صحراوية.. لا معالم فيها، تشير إلى لا شىء بالمرة، كأن مصر لم تكن موجودة فى هذه الأيام فى أرضها، مع أن الأزمنة السابقة لها.. واضحة.. وعليها إجماع من المؤرخين وعلماء الايجبتولوجى..

ورجعت إلى المؤرخين أنفسهم.. الذين يطلعون بنتائج فى كتبهم، ولكن الضباب شائع، حتى فى كتب المؤرخين..

فهناك جنس معين هو «البدو».

وهذا الجنس له فى مصر.. أطماع.

وجنس ثان يطلقون عليه «الرعاة» على أنه غير «البدو» وأيضا لهذا الجنس، فى مصر.. أطماع ...

***

* مناهج وشكوك ...

ورحت أدرس هذه الأجناس.. فى الواقع[1].. وفى الكتب.. وفى الملاحم، وفى المتاهات، ثم فى «المتاحف» و «الآثار» التماثيل والصور، فقد يخرجنى ذلك إلى جو صحو.. أرى فيه المعالم والمواقف أوضح.. وقد لجأت إلى ذلك، بعد أن «شككت» فى مصادر معينة، لأن الذى قرروه من نتائج، رأيته أبعد ما يكون عن «الحقائق» التي كدت - لولا الضباب - أراها رؤية العين..

من ذلك ما قاله المؤرخ الأمريكى «هوسكنز» فى كتابه (من النيل إلى نبو) عن سيناء وعن حدودها القديمة. وعن سكانها..

---

(١) كانت رحلتي الأولى إلى شمال سيناء، القنطرة شرق، والمحمديات، والجعريات، وموسفيك، البروديل، وبير العبد، والعريش، والزغبة. والهرش. والمساعيد. ونخل. والشيخ زويد. والنبى ياسر. ورفح. وغزة. ثم فلسطين، عام ١٩٤١.

لقد وصلت من رحلاتى المتواضعة، إلى أن حدود مصر من ناحية سيناء هى «المجدل» فماذا يريد هؤلاء الأمريكان..

أو يمكن أن يتدخل المنزع العنصرى، والاستعمارى، فى تشويه معالم التاريخ..»

«البدو» في استقراءاتى، لا يسكنون فى مكان واحد، وإنما هم ينتشرون إلى كل المنطقة.. أسراب وقوافل لا تكاد ترى منبثة.. ومتحركة.. ورائحة.. غادية.. في برارى بلاد المنطقة كلها..(١).

و «الرعاة» كذلك.. نفس الوضع.

فى المتحف المصرى، رأيت جلمودا صغيرا من الصخر، يحمل صورة للملك «سنفرو» من ملوك الأسرة الرابعة (٢٩٠٠ - ٢٧٥٠ ق.م) وهو قابض بيسراه على أم رأس «بدوى» وهو راكع أمام الملك.. والملك يلهبه ضربا بعصاه، وصخرة ثانية لنفس الملك فى أشكال أخرى وهو يضرب «بدوى» أيضا.

وفى تاريخ هذا الملك أنه كان ساهرا علي تأمين حدود بلاده، لا من ناحية الغزو الأجنبى فقط، وإنما لاهتمامه بالمعادن الموجودة فى برية مصر، سيناء.

وفى الكرنك.. رأيت «البدو» أنفسهم، وقد صورهم المصريون تسجيلا وتذكارا لانتصار الملك البطل، رمسيس الثانى، عليهم.

---

(١) وكانت رحلتي الثانية إلي دراسة أجناس البدو فى الصحراء ١٩٤٩ مبتدئا من إسنا الي (حميشرة) حيث ضريح العارف بالله أبو الحسن الشاذلى ثم القصير ومنطقة الوديان حتي دير سانت كاترين.

وفى «أبى سمبل» علي المدخل، محفور علي صخرتى المدخل، صورة للملك البطل، رمسيس الثانى، وقد ربط «البدو» بالحبال.. ورفع سوطه وراح يلهب ظهورهم..

وبدأ الضباب ينقشع.. بعض الشيء..

إن «هيئة» (البدو) و «ملامحهم» و «خصائصهم المميزة» «السحنة» و«اللحية» و«أسلوب حجامة شعر الرأس» كلها واحدة، وطبق الأصل.. كأنما الازميل فى يد النحات المصرى «عدسة فوتوغرافية»[1] .

انقشع الضباب شيئا ما.. إن «البدو» و «الرعاة» ليسوا جنسين، وإنما هم كذلك فى المدونات التاريخية الناقلة عن الكتابة الهيروغليفية، أما فى الواقع المرسوم.. والمخفور. فهما جنس واحد..

***

* علم مصر...

واندفعت إلى قراءة جادة وعنيدة فى كتب علم مصر.. مواصلا الرحلة، فإذا بجنس آخر، هو «الخيتا» له فى مصر أطماع... وأن

---

(١) لا خلاف بين العلامات المميِّزة للعبرانيين، أى جنس اليهود، فى مدوناتهم، أو المدونات المصرية، وأخص هذه العلامات، حجامة الدائرة لوسط الرأس، واللحية المدببة .. سواء في الصور المنقوشة أو المحفورة، أو فى ملاحمهم (فى كل رأس منها قرعة، كل لحية مجزورة، أشعياء - الاصحاح الخامس.

هؤلاء الخيتا، هم شعب (آسيا الصغرى) وكان ذلك بإجماع الناقلين عن الهيروغليفية، والمترجمين علم مصر إلي الانجليزية..

ورجعت الى الأساتذة المصريين أنفسهم، فى كتبهم، فإذا بهم يؤكدون الذى ذهب اليه الغربيون والأمريكان من العلماء، ولا يتأتى لمثلى أن يناقش هؤلاء العمد فى مادتهم، وأخص المصريين بذلك، لأنهم لم ينقلوا عن (الانجليزية) ولكنهم أخذوا من المنابع الأصلية، أمثال الغربيين والأمريكان... أخذوا عن الهيروغليفية.

« الخيتا »، هم شعب آسيا الصغرى.. والذين أصبحوا بعد ذلك يسمون البيزنطيين.. ثم الأتراك.. في العصور الأخيرة!.

* صُدفة ...

إلى أن لعبت (الصدفة المشرقة) لعبة الحظ فى حياتى، حيث تعرفت على الدكتور سليم حسن، العالِم الأكبر لعلم مصر، وصاحب الدراسات التى لا يكفى لإخراجها عمر واحد، وحياة قصيرة ذات ستين سنة فقط، لمثل هؤلاء الذين لا يتكرر أمثالهم إلا فيما ندر...

فى مارس ١٩٥٤، كتبتُ مقالا، بمجلة الاذاعة المصرية، بمناسبة (مشروع الدستور) وكان عنوانه «دستور الفلاحين - مصر تبحث عنه ٣٠٠٠ سنة» وحكيت فيه حكاية الضابط الشاب الذى

ظل يرتقى المناصب حتي صار ملكا على مصر، والذى طارد «نفرتيتى» لأنها خائنة.. بعثت لملك «الخيتا» تطلب إليه أن يبعث بابنه ليتزوج ابنتها أرملة توت عنخ آمون.. وكان ذلك هو الذى أثار حمية حور محب.. فلقى جيش «الخيتا» وشرده. وقتل «العريس» ثم استدار إلى طيبة.. ليؤدب الخائنة التى فرت..

قلت يومذاك فى المقال:

« وكانت الحرب قد دارت رحاها، بين مصر والخيتيين، من أجل ثأر قديم، هو احتلال مصر لتركيا، ومن أجل ثأر جديد، هو القبض على ابن ملك خيثا وهو فى طريقه الى مصر، لقتله، وإطعام الكلاب جثته..»[1].

وكانت الصدفة المشرقة، يوم أن استدعانى مسئول بدار الاذاعة لأن مسئولا له قدره يريد أن يتعرف على.. وكان هذا الرجل، هو الدكتور سليم حسن.

سألنى - من أين وصلت إلى هذه النتيجة حول «نفرتيتى».

قلت - من انفعالى الوطنى.. ان مجرد استدعاء نفرتيتى لابن ملك خيتا، لتزوجه ابنتها، مسألة صدمت شعورى، وربطت بين الصراع الذى وقع بين حورمحب، وبين صديقه القديم «آى» الذى تولى الحكم بعد توت عنخ آمون.. ولم يكن آى إلا ناطقا بلسان الملكة الحاكمة بالفعل.. نفرتيتى..

---

(١) صفحة ٤٢ من عدد المجلة المذكور.

ودار حديث طويل، خرج منه الدكتور سليم حسن، بقوله، لابد من صياغة التاريخ الذى ندونّه نحن «العلماء» بالشعور «الوطنى» الذى هو روح الأدباء.. فذلك يقربهم من نتائج لا نراها نحن العلماء..

***

* الخيتا ...

وانتهزت الفرصة لأسأل المنبع البشرى للمادة، وقلت له:

- ولكنكم كلكم أجمعتم علي أن «الخيات» هم شعب آسيا الصغرى وأنت منهم.

- قال : وأنت أيضا أخذت عنا، وهذا هو الواقع.

قلت : ولكن عندى «شكا» كبيرا فى ذلك، وأكاد «أحس» أنهم هم «اليهود».

قال: ومن أين لك بهذه النتيجة؟

قلت : من متاهات طويلة عريضة لا تزال تحت الضباب..

قال الرجل: أرجو أن تستمر ولا تتوقف، فإنك لو وصلت إلى نتيجة تُرضى (انفعالك الوطنى) و (إحساسك) لا تتخيل مدى القيمة التى تسديها لبلادك..

ومنذ ذلك اليوم، والرجل يسأل عنى، ويعطينى من كتبه،

المطبوع، والمخطوط الذى لم يرسله للمطبعة بعد[١] .

أنا لا أسجل ضنى الرحلة الآن، وإنما أسجل قدر الرجل «المصرى» الذى دفعته (روح مصر) إلي الأخذ بيدى.. ومدى بالثقة.. لأواصل.

ودخلت يوما لمكتب الوزير فتحى رضوان، باستدعاء منه، فإذا بالرجل الكبير، مع الوزير الأديب، فى نجوى، وقال الوزير بابتسامته الطيبة الوقورة: يطالبنى الدكتور سليم حسن بأن نعطيك سيارة مزودة بالكتب وبالطعام وبالسجاير، وبالأقلام والورق.. لتواصل رحلتك فى الكشف عن الملاحم..

وأجابت دموع الأديب الذى لا يملك إلا زورقه الصغير..

***

* مدونات اليهود ...

واصلت المسير ..

واندفعت إلي مدونات «اليهود» أنفسهم أقرأها.. فإذا بى أقف

(١)قال لى المصرى العظيم، فى ذلك اليوم، عبارة...، عبارة واحدة، عاشت معى، كمصباح ضوء باهر، يلقى بضوئه على مقروءاتى، فيكشف لى الغامض المُبهم فى هذه المقروءات، وكانت العبارة هى: تنبَّه فى التاريخ لقرية (حور) أى (الحرانية) إنها كانت قرية لجالية اليهود فى مصر قبل بلاد جاسان.. أى (الشرقية).

أمام طلاسم.. وألغاز.. ومُحَيّرات.. وجو شات عاصف.

وبالصبر الجاد، والمعاناة العنيدة، التي لولا أن وراءهما، (روح) دافعة.. لبؤتُ باليأس حتما.

قرأت «التوراة» و«الانجيل - العهد القديم» و «التلمود» و«بروتوكول شيوخ صهيون» ومحاضر مؤتمرات ومحاضرات «هرتزل» الذى عبروا عنه - خطأ - أنه ابو الصهيونية.. وما كتبه الكُتَّاب والفلاسفة اليهود.. «ماكس نوردو»، و«دوركايم» وغيرهم.. وأحسست أن الضباب يتلاشى رويدا رويدا.. وأننى على عتبة الحقيقة.. ما هي إلا خطوات قلائل .. وأصل.

***

* الفطرة تُقرّر ...

كانت بعض نتائج الرحلة، أن هذا الشعب، المصرى، لا تُسْتطاع دراسته، وذراسة (روح مصر) إلا فى اللحظات العصيبة، والمواقف التاريخية الرهيبة، التى تعلو على مدارك المنطق والمحايثات والكلام. وإنما الذى يوجه الشعب فى هذه اللحظات الرهيبة، «روح مصر» الكامنة فى شعبها، والمبثوثة فى وجداناتهم، يحسونها وقد لا يحسنون التعبير عنها بالكلام، وإنما هم يحسنون التعبير عنها.. باتخاذ الموقف، وأخذ القرار.. بالفطرة الصارمة المذهلة..

إليك يوم الجمعة التاريخى.. يوم ٩ يونيه ١٩٦٧، يوم أن كان

الشعب ذاهلا فى خواطره.. واضعا خده علي يده، وكأن الذى يدور من حوله يكاد يُفضى به إلي توقف القلب.. بعد هذه الصورة الكريهة.. أن تنسحب مصر من أمام اليهود..

ووقف (الريس) فى التليفزيون، ليقول، لقد قررت أن أتنحَّى..

ولم يكمل حديثه..

***

* الأخطاء تنسحب ...

لقد دفعت (روح مصر) هذا الشعب العظيم، إلى حيث قراره الرائع، «لا.. لا تنتح».. وكأنما يقول الشعب بهذا القرار المذهل، والمعجز فى وقت معا، والذى يعلو علي كل إدراك المنطق والمحايثات والعلل، إن مصر لم تنسحب.... وإنما انسحبت أخطاؤها فى هذه اللحظة.

وكان..

وبعد هذه الرحلة المضنية، الطويلة، رجعت إلي بلدى بهذا الكتاب، محاولا تسجيله بمنهاج الفن الشعبى، الذى مكننى من تفسير العناصر الأولى، والتي تحسبها صغيرة، ومنها تتكون الحقيقة الكبيرة (روح مصر).

وكل غايتى، أن يعرف الناس (من هم اليهود، كما يعرفون أنفسهم هم) فذلك هو سرهم الذى لم ينكشف لأحد بعد..

اليهود يعرفون كل شىء عن ماضيهم، وعن مآربهم، وعن

مواقفهم معنا، ومع شعوب المنطقة، ويعرفون حقيقة شخصيهم (اليهودية) ويخبئون ذلك كله فى (الدين الخاص) الذى عَبَّر عنه هرتزل، ولكن نبيا، ربانيا، منهم، هو «ارميا» كشف، بقدرة رائعة على التشريح، والتعبير، عندما قال «**اليهودى... إنسان خصام..!**».

ترى ؟ هل حققّت شيئا ؟

اللهم فإنى أرجو.

الفصل الثانى

الغُربة الأبديّة

"الأرض لى.. وأنتم غرباء نزلاء عندى"

* اسأل اليهودى ...
* مهمة اليهودى ...
* الجوييم ...
* مراحل اليهود ...
* الوقاحة ...
* طفولة اليهود ...
* العقيدة العنصرية ...
* النفس اليهودية ...
* منظمات يهودية ...
* صهيون ...
* يوم الواقعة ...
* الحكاية ...
* الدين فى التابوت
* مكتب لصوصية ...

* اسأل اليهودى...

لو أنك سألتنى عن هذ الرجل
أجيبك عنه لأنني أعرفه تمام المعرفة
أقول لك إنه ... «حسن أفندى»

***

ولو أنك سألتنى عن هذا الصديق
أجيبك فورا..، إنه صديقى الحاج على

***

وتسألنى أيضا عن هذا الذى كان معى
يوم أن مررت أنت بنا
إنه السيد فيكتور

***

أما الذى كان يجلس علي «ترابيزة» بالنادى

منفردا ، إلى جوار النضد الذى تعودت
أن أجلس مع شلتى حوله ..

الحقيقة أنى أراه كثيرا ، وفى نفس المكان ولكنى لا أعرف اسمه . أعرفه شبهاً .. كل ما بيننا أننا نتبادل التحايا لقاء وانصرافا .. ولم أسأله طبعا عن اسمه

***

وتسألني - بعد ذلك - عن صناعة هذا الرجل... «حسن أفندى» يغلب عليَّ ظنى أنه موظف بمصرف.. أو أنه فيما يبدو من المتعاملين فى البورصة.. واسمها كما تقول العرب «المصفق»

المهم .. لست متأكدا تماما من نوع عمله...

***

وصديقى الحاج على، أعرف عنه أنه يملك عمارتين.. ولكنى... ترامى إلى سمعى.. فأنت تعرف أننى لست فضوليا.. ترامى الى سمعى أن له عملا آخر لست أدرى ما هو. ولماذا أقحم نفسى فى «خصوصيات» الناس...

***

والسيد فيكتور .. تسألنى عن صناعته أو وظيفته، والحق أنى لا أعرف عنه أكثر من أنه انسان ودود ، ولطيف.. جلسنا يوما متجاورين طويلا.. نتضاحك.. ونعقِّب علي بعض المواقف التى يختزن الكثير منها.. ويجيد التعليق عليها.. ومع ذلك ، فلم أشأ أن

أسأله عن اسمه أو عمله .. لماذا أتدخل فيما لا يعنيني.

***

أما ذلك السيد الذى أراه كثيرا فى مكانه من النادى، ولم اسأله عن اسمه اكتفاء بتعود التحايا والسلامات. الحق أننا أشبه بأخرسين.. والواضح أنه مثلى لا يحب الفضول.

***

تعال واسأل «اليهودى» عن حسن افندى..

مع أنه لم يكلم حسن افندى ولا مرة طول العمر سترى العجائب..

انه يعرفه.. ويعرف أسرته

وعدد أفرادها.. الذكور والاناث

ويعرف عمله.. وهوايته..

وكم سيجارة شربها من يوم أن تعلم التدخين؟

وكم ليلة سهرها خارج البيت؟

وآخر دفعة مالية دخلت إلى جيبه.

وطريقه الى النزوات.. متى.. وكيف..

***

وإسأل «اليهودى» عن «الحاج على» ستدهش.. يعرف كم هو رسماله.. واسماء عملائه.. وأسواق البلاد التي يسافر إليها..

وقطعة الأرض التى ينظر عليها فى سرة.

ويعرف أيضا المسجد الذى تعود أن يصلى الجمعة فيه.

***

ثم اسأل اليهودى، عن السيد فكتور.. سيقول لك عنه أولا. من أى طائفة من الطوائف المسيحية هو.. وستعجب لمعرفته بأنه مفتش فى السكة الحديد.. ومن هو رئيسه.. والأشياء التى تضايقه.. ومكان سكنه.. ومكانه المفضل فى ازجاء وقت الفراغ.. ونوع الشراب الذى يحبه.. ومع من يذهب لصلاة الاحد بالكنيسة..

***

أما السيد الذى يشبه الأخرس - فإنه أعد له أرشيفا كاملا عن أطوار حياته كاملة.

***

* مهمة اليهودي ...

ولا تعجب ... فهذه هى مهمة اليهودى.. التي هو مكلف بها من جهتين..

مكلف بها بالفطرة، وتلقائيا. ليعرف كيف يقتنصه «فى بيعة» أو «شروة» إن أى انسان غير يهودى، ينظر إليه اليهودى على أنه «زبون» تحت الطلب..

هذه جهة

ومكلّف من جهة ثانية.. بالتطوع الاختيارى، الذى هو أشد

حماسة من الأمر الجبرى لخدمة الصنف كله.. كل الجنس.. اليهود المنتشرين فى البلاد .. والذين لهم مكان رئاسة..

إن الانسان غير اليهودى.. يعتبر عند اليهود مجتمعين.. فريسة .. ممكن أن تكون مطيّة.. يمكن استغلاله دون أن يدرى فى عمل يهم اليهود.. يعطيهم أخبارا.. معلومات.. يسرق لهم ملفا.. أو يطلعون عليه.. إنه لا يدرى قيمة «الخدمة» التي سيؤديها لهؤلاء الناس.. يرسلون له واحدا منهم.. يتعرّف به.. ويصادقه.. ويلعن له فى أم قرمة اليهود.. ويطمئن الآخر.. ثم يعطيه «سلفة» وفرصة عمل بعد الظهر.. ينمى له ثروة.. يغذى ملذاته ثم يربطه من عنقه بحبل «كمبيالات» أوراق تثبت خيانته فى عمله.. أو رشوة.. صورة مع امرأة فى لحظة دعارة منافية للحياء العام. مجرد ظهورها فى أى وقت .. لا توجب فصله من عمله وانتهينا.. وانما تعرضه للفسحة فى دهاليز محكمة الجنايات..

يستسلم للأمر الواقع.. ويزيد من إخلاصه لتغطية مخازيه.. بإعطاء المزيد مما يطلبه منه.. الذى اعطوه الرفاهية والمال والملذات...

واليهودى لا يعاير .. ولا يستفز ..

طالما أنت «مطية» لأغراضه.. يعطيك العلف.. وينتقى لك (الأتان)..

***

هذه هى مهمة اليهودى.. فهو هنا .. وهناك فى الشمال .. فى الجنوب.. فى البلاد الحارة.. تحت سقيفة الشمس الساخنة فى أواسط افريقيا .. على شواطئ البالم بيتش بأمريكا ، فى بلاد واق الواق.. إنه لا يعيش مثلى ومثلك.. على الله.. وفى حاله، مع انه هادئ.. يمشى بجوار الحائط - ولكنه - بالغريزة اليهودية، وبالطبع اليهودى القديم.. مكلَّف بالعمل الهام.. الدائم.. لنصب الشَرَك.. والحبائل فتقع الفريسة.. بمنتهى الفرح على هذه الفرصة.. الحصول على الثروة.. وتنميتها.. والملذات..

***

اليهودى ليس مثلى ومثلك

أنت ترى الناس، وتعرف عنهم، أن هذا مسيحى، وذلك مسلم.. وهذا فلاح. والآخر تاجر.. وذاك رجل طيب.. ليس كفلان مزيف العقيدة.

وتعرف يقينا ، أن هذا انجليزى، وذلك فرنسى، والثالث روسى. والرابع أمريكى، والخامس عراقى. والسادس من الهند.. ثم ذلك الصينى وصاحبنا السودانى.. وهكذا.. ولكن اليهودى.. لا .. إنه لا يرى الناس كما ترى.. وكما أرى.. إنه يراهم اثنين فقط.. يهودى.. وغير يهودى ودُمْتُم.

***

* الجوييم ...

ولا تظن أن ذلك شيء جديد عليهم.. بل هو من آلاف السنين.. من قبل سيدنا موسى.. العبرانيون.. ينظرون إلى كل الناس نفس النظرة.. (يهودى).. و (جوييم) ولا ثالث. وجوييم باليهودى يعنى من أى أمة أخرى غير اليهود.

* مراحل اليهود ...

ولتاريخ اليهود فى المدونات العبرية.. مراحل متعددة، أمكننا أن نجمعها ونلخِّصها فى هذا البيان الذى نفصِّله تفصيلا فى الكتاب.

١ - مرحلة قبائل «أهولة» و «أهوليبة» الزانيَتان، واللتان لطَّختا التاريخ كله بزناهما فى مصر وسوريا والعراق.. **وهى مرحلة الغربة الأولى.**

٢ - مرحلة «مساكنة» شعوب المنطقة فى البرارى ضاربين نطاقا حول أنفسهم **وحول شريعتهم الخاصة.**

٣ - مرحلة الدين والخروج وراء موسى الكليم من مصر وهم يعبدون «يهوة» يعنى الله وهي مرحلة الغربة الثانية.. وهي المرحلة التى تجمع فيها اليهود للبحث فى موسى.. وفى الدين.. وفى

التوراة.. وقد أنكر اليهود ذلك كله وعبدوا العجل الذهب.. ثم خدعوا موسى في نظير تحقيق الوعد بالاستيطان في فلسطين، مبيتين النية للرجوع إلى شريعتهم الخاصة التي استنبطوها من قدرة طبائعهم اليهودية على استنبزاز مال الشعوب، بالخديعة.. وبالمعاصي..!

٤ - مرحلة المسيرة لاغتصاب ما يمكن اغتصابه من بعض بلاد المنطقة، بعد أن وضعوا عهد الله مع موسى، وصحائفه، في تابوت، هو «تابوت العهد» وجعلوه شعارا ظاهريا للدين، للإفادة منه عند اللزوم، وهم ما يزالون يعتنقون شريعتهم الخاصة **وهي مرحلة الغربة الثالثة..**

٥ - مرحلة «صهيون».. البديل الجديد لرب موسى «يهوه» والإقبال على شريعة صهيون التي أبقت على كل طباع اليهود، ونظمتها، وحولتهم من أفراد وبيوت.. وقبائل. إلى جماعة سياستها (العدوان الايجابي المباشر) على البلاد لاغتصابها بالقوة المسلحة، وفي ظلها قامت الدولة اليهودية الأولى والأخيرة للأبد.. وبقيت مدة أربعين سنة.. وضربتها مصر ضربات متتالية.. ومتتابعة.. حتى فرطت عقدها وأعادتها للغربة الأبدية. لأسباب اعتداء اليهود علي سلام المنطقة..

٦ - مرحلة الغربة الأبدية.. منذ أن أجهز على دولتهم المسروقة من أهلها الفلسطينيين.. رمسيس الثاني.. وشردهم إلى الأبد.

٧ - مرحلة اسرائيل الحالية صنيعة الاستعمار العالمى.

* الوقاحة ...

ولقد قال فيهم الرب إلههم ما لم يقله فيهم أشد الناس عداوة لهم وقال فيهم الأنبياء ما لو قيل فى غيرهم، لما نطق منهم ناطق من شدة الخزى ومن شدة العار.. ولكنهم كما يصفهم الله سبحانه وتعالى «صلب الرقبة» وأكثر من مرة.. عشرات المرات.. ويفسرونها فى كتبهم على الشدة والبأس.. ولكنها مشروحة فى سياقها لا تحمل تأويلا أو تخريجا.

الانسان. فى كل الدنيا. وفى كل العالم، أنواع، فمنهم الخير. ومنهم الشرير، ومنهم الودود، ومنهم الأنانى، ومنهم الفاضل ومنهم الفطور على الرذيلة ومنهم الحيى الخجول.. ومنهم الوقح..

إلا اليهود.. فإنهم فى وصف الله لهم.. وقحاء.. لا تندى جباههم .. لا تطأطأ رءوسهم.. لا تلين رقابهم وتميل نحو الأرض كما يحدث لمن يخزى أو يشعر بخجل ويتملكهم الحياء. ولكنهم، رغم ما فيهم ورغم ما يعرفون عن أنفسهم، وقحاء رقابهم صلبة. لا يشعرون بحياء من فرط القحة.. ومن أوصاف الله سبحانه وتعالى فيهم، ومن أوصاف أنبيائهم لهم . ومن معاشرتى لهم. فى مراحل التلمذة.. وفي الحياة.. ومن تعقبى لهم فيما احتفظ به الفن الشعبى

المصرى من ملاحم فيهم،، درست الشخصية اليهودية دراسة المتخصص..

* * *

* طفولة اليهود ...

اليهودى كأى انسان فى الدنيا يتحكم فى تكوين عواطفه ونفسه فى مرحلة الطفولة أربعة أشياء ...

الانسان فى أى جنس وفى أى مكان.. يولد على الفطرة ثم يبدأ يتلقى من خارجه. من المحيط الذى يتربى فيه.. وهو يشب عن الطوق يتلقى ما يخلق فيه.. الطبع. ولون العواطف. والجهاز المحرك للانسان بعد ذلك عندما يكبر .. وهو النفس.

وأربعة أشياء تلك التى تحدد نفسية كل طفل:

١ - عوامل التكيف الجدلية.. قانون عوامل التكيف الجدلية أخطر قانون اكتشفه علماء الاجتماع، وحل مشكلة الدارسين.. المحيط الذى يحوط بالطفل، يكونه، الطفل يأخذ منه باللاشعور وقد يرفض شيئا من هذا المحيط تبعا لنصيحة من أبويه. إلا أن المحيط أقدر فى صب ما يشاء فى نفس الطفل، بعد هذا الجدل والحوار السريع الخاطف بين إدراك المعطى النصيحة، وبين المجتمع الصغير الأقوى.. فيتكيف جدليا طبقا لما يطبعه به مجتمعه الصغير..

٢ - الارتسامات.. وما يسميها علماء النفس السلوكيون.. الـ «آيدتكس».. الانطباعات.. الاشارات. والحركات، والافعال المعبرة عن الحقيقة.. قد يسرق الطفل.. وقد يضربه أبوه وينهره ويفهمه أن من يسرق يخطئ.. والصواب ألا يسرق.. ثم يرى الطفل أباه.. أو أمه .. أو من يتخذه مثالا يحتذيه في أسرته ومحيطه.. يراه يسرق.. ولو مرة.. في الطفولة الباكرة.. إن هذه الانطباعة تظل هي الأقوى في يقين الصواب من أي كلام.. وتعيش في أعماق وجدانه ارتسامة من ارتسامات الحق واليقين.

٣ - العادات :

وهي الدرج الذى يصعد عليه الطفل، وراء أهله.. إلى حياة السلوك.

٤ - والكلام.. النصائح.. الامثال.. القراءات.. الوصايا.

وينفطم الطفل عن التلقى من الخارج بعد سبع سنوات، أو بعد تسع ويبدأ الحياة مندفعا بالجهاز الداخلى الذى تكون به الذى نسميه «الطبع» أو «النفس» أو الوجدان.. ومجموعة العواطف.

*** العقيدة العنصرية ...**

والأب اليهودى، والأم اليهودية، تخصصا، بالفعل، وبالقول، وبالسلوك، فى تنشئة أطفالهم تنشئة يهودية.. ومن قديم، والعبرانيون بدو كما ستشاهدهم فى الفصول التالية اختاروا

لأنفسهم.. ما يحبون وما يكرهون وانطبعوا على حسب ما يحبون وعلى كراهية ما يكرهون.. ومروا في تجارب.. فاقتنعوا بأن ما يحبونه هو الخير لهم من وجهة أنظارهم.. وأن ما يكرهونه هو شر لهم.. فتكونت «العقيدة اليهودية» وبمرور الزمان «تكثفت» هذه العقيدة.. وجاء الانبياء «يعظون» ويوصون ولكن لا حياة لمن تنادى...

إن اليهودى «لاينفعل» بما اصطلح الناس عليه انه يهز النفس، وانما ينفعل بما توارث فيه من اعتقاد يهز النفس اليهودية والشخصية اليهودية.. فى مجتمع العبرانيين المتنقِّل بالخيام فى الفيافى والصحارى وعلى شواطئ الأنهار.. واندشاسا بين الامم. الشخصية اليهودية. من آل روتشلد.. هي الشخصية اليهودية فى أي مكان.

اليهودى يرى الناس واحدا من اثنين لا ثالث لهما إما يهودى، وإما لا يهودى.

إما يهودى وإما جوييم..

الانجليزى عنده ماذا؟ هل هو انجليزى كما تراه وأراه؟

إنه لابد أن يعرف، هل هذا الانجليزى يهودى أم مسيحى.

الانجليزى المسيحى عنده «جوييم» لا يهودى

الفرنسى المسيحى عنده «جوييم» لا يهودى

فولتير الملحد عنده «جوييم» لا يهودى

المغربى اليهودى عنده «انسان» يهودى.. وليس مغربيا.

هذه الجنسيات المختلفة، والقوميات المتعددة والاشكال، والألوان، واللغات، كلها عنده.. لغو.. واردية.. خارجية.. أما الحقيقة اليهودية فهى ان الانسان فى كل الدنيا إما يهودى.. وإما لا يهودى. وبهذا الاعتقاد الذى هو أبشع من أى تعصب دينى هو الذى خلق فى اليهود قبل قيام اسرائيل.. رابطة أمة واحدة مشتتة، لها ألف لغة، وألف لون، وتحيا فى ألف مكان وتساكن ألف شعب من شعوب العالم.

***

* النفس اليهودية...

نشأ الطفل الانجليزى... اليهودى... طبقا للتكوين النفسى اليهودى المتوارث. ضد القومية الانجليزية.. ضد العادات الانجليزية ضد الثقافة الانجليزية.. ضد كل ما ينفعل به الانجليزى.. ولم يَذُبْ فى المجتمع الانجليزى.. وأخذ من المجتمع الانجليزى.. كل الحقوق. ولم يعطه شيئا..

.. والطفل اليهودى. فى كل أمة. وكل لغة. نفس الصورة..

ومن هنا كانت النفس اليهودية فى يهوديتها راسخة فى يقينها لا تهتز أمام تردد ولا تقبل مناقشة..

***

* منظمات يهودية ...

وبدأت الشعوب أخيرا - فى أوربا، تلتقط بعض الملاحظات عن اليهود. فى السلوك. وفى الأخذ. وفى العطاء.. مجرد ملاحظات. تطورت إلى رأى ثم إلى حوار . ومناقشة.. وشن هجوم عليهم. فقام فى اليهود تلقائيا وبالضرورة، من ينادى بحتمية الترابط لإخفاء ما قد يكون قد ظهر من معتقداتهم على الجوييم.. كل الجوييم.. العالم اللايهودى. ولتنظيم ترابط اليهود. ومصالح اليهود بين اليهود فى كل مكان من العالم.. وقامت جمعيات سرية يهودية وأنشئت منظمات علنية.. يهودية.. وكما تفعل كل أمة تحاول تجديد نفسها.. راحت الاقتراحات اليهودية تعطى وتبحث عن «مخرج» وعن «حل» وجاء الحل الوحيد السعيد لليهود فى انشاء منظمة صهيون، تجميعا لأقطارها من شريعة صهيون القديمة، بوصفها أعمق أسرارهم الخاصة.

***

* صهيون ...

ومنظمة صهيون، التى يبدأ كلام (الآخرين) جميعا عنها، على أنها بداية السياسة الصهيونية لليهود فى التاريخ، إنما هى عودة ثانية، وبعد ثلاثة آلاف سنة، لشريعة صهيون الأولى التى يهتم بها كتابنا هذا...

لم تبدأ الصهيونية فى نهاية القرن الماضى، ولا فى بداية القرن العشرين، على يد هرتزل وحكماء صهيون كما هو مَظْنون..

ومن باب «فتح الشهية» لالتهام الموضوع الجديد نقرأ هذا المزمور، الذى يبدأ بكلمة «هاللويا» التى يقابلها بالعربية «وافرحتاه» وشعبيتها يا حالوللى «هالوللويا»[١].

«غنوا للرب ترنيمة جديدة، تسبيحته فى جماعة (الاتقياء).. (ليفرح) اسرائيل بخالقه.

ليبتهج (بنو صهيون)... (بملكهم..!) ليسبحوا اسمه (برقص..!) (بدف وعود..!) ليرنموا له. لأن الله راض عن شعبه يحمل الودعاء بالخلاص. ليبتهج (الأتقياء) (بمجد..!) ليرنموا على (مضاجعهم).

ليصنعوا (نقمة..!) (فى الأمم) و (تأديبات..!) فى الشعوب لأسر ملوكهم بقيود. وشرفائهم بكبول من حديد، (ليجروا بهم الحكم المكتوب) كرامة لجميع أتقيائه.. هاللويا..».

وسيأتيك بالكتاب نبأ تفسير شريعة صهيون الجديدة، العدوان الايجابى المباشر، على الوطن السليب، لتحقيق (مجد).. «بسيف ذو حدين)..! وسوف تتزاحم علينا النصوص الدالة علي ذلك، ومن مدوناتهم هم، حتي ليتضح تماما أن الدين عندهم مجرد «تنويهات» ورموز.. وورقة يلعبون بها فى لعبة الاغتصاب..!

---

(١) المَزْمور المئة والتاسع والاربعون ، وبالحرف الواحد.

* يوم الواقعة ...

كنت فى جولة من جولات الفن الشعبى، فى بور فؤاد وبورسعيد، يوم الواقعة، ومرت بنا صباحا، طائراتهم من فوق البحر.. وأدركت أنه عدوان إيجابى مباشر..

وبعد أيام قلائل، بعد إيقاف القتال، ذهبت الي الاسماعيلية، ومعى صديقى الأستاذ محمود السعدنى، وقد انفلتنا مع وفد المحامين العرب الذى كنا ضيوفا عليه فى الرحلة لمتابعة الموقف فى مشاعر المواطنين ، ودراسة متطلبات الموقف شعبيا.

جلست والسعدنى علي تل عند «نمرة ٦» نشاهد ما يدور على الشاطئ الغربى.. وراح كل منا فى خواطره..

وتملكتنى الدوافع التى كانت تدفعنى لبحث حكاية اليهود وأسرارهم إلى تدوينها وإخراجها للناس فى كتاب..

من حق أهلى.. أهل المنطقة جميعا أن يعرفوا كل هذه الأسرار.. ومن حق أهلى «فى مصر» أن توقَظْ فى وجداناتهم معتقدات أجدادهم الشعبية فى اليهود.

* الحكاية ..

من حق البلاد الشقيقة، وشعوبها ، أن يعرفوا ماذا كان من اليهود لهم، وما كان لهم من اليهود.. منذ آلاف السنين..

الأردن التى أسرتهم.. وقصت لهم الثياب من الوسط عند السوءة

وحلقت لهم اللحى منذ آلاف السنين.

سوريا: التى أدبتهم فى أكثر من موقعة.. من آلاف السنين..

العراق : التى طردتهم وشردتهم . منذ آلاف السنين.

مصر : التى ربطتهم بالحبال. وغنت فيهم أول ملحمة فولكلورية فى الدنيا. منذ آلاف السنين.

* الدين فى التابوت...

إن الكتاب رحلة .. رحلة فى العالم اليهودى. خطوة . خطوة . كل خطوة بإسنادها وشواهدها. سنراهم قبل موسى الكليم.

وسنراهم مع النبى موسى.. وهم يأتمرون عليه. ويحاولون خلعه لأنه تضاد بمجرد دعوتهم لله.. وللإيمان به. وبالدين. تضاد مع معتقداتهم الصالحة للحياة اليهودية. أكثر من صلاحية الدين.. بل ان الدين من وجهة نظرهم مُعَطِّل إنه يكاد يكون تشريعا لتحريم كل معتقداتهم المتوارثة. وللقضاء على وجهة نظرهم فى الحياة.

سنراهم. بعد موسى. وقد لفوا «الدين» ووضعوه فى تابوت.. دفنوه. واستراحوا. تخلصوا من الدين نهائيا بدفن عهد موسى فى تابوت العهد[1].

---

(١) وسفر حزقيال بالكتاب المقدس (العهد القديم) بمثابة وثيقة عبرانية على ذلك.

* مكتب لصوصية ..

تصور أن بعض الناس وقفوا - فجأة - أمام محل من المحال التجارية الكبرى، بشارع تجارى وسط المدينة، ثم دخلوا المحل، وأخرجوا أصحابه بالقوة، ودخلوا هم، وجلسوا على المكاتب ، وفى الأركان، يزاولون عمل المحل، واضعين على أعينهم «عوينات اللصوص» ووضعوا البنادق أمامهم، وبأيديهم وأحزمتهم غدارات...

ثم كان منهم، رفقاء، ساعة دخولهم المحل، مكلفون بالصعود علي سلالم، لنزع لافتة المحل، وتعليق لافتة جديدة معدة من قبل. كتب عليها «مكتب لصوصية» ثم علقوا بالداخل لافتة فى ركن منزو، كتب عليها «والله المستعان».. هذه الصورة، هي ما فعله اليهود أيام أن اغتصبوا فلسطين.. زمان، والكتاب يهتم بتفصيل هذه المرحلة، تفصيلا دقيقا، توضيحا. وللحقيقة الرهيبة.. والغائبة عنا جميعا، والتى يعرفها اليهود جملة وتفصيلا ، ومن أسرارهم أنه كلما كنا غير مدركين لهذه الحقيقة - فإن الله سيظل لهم.. مستعان، كما يزعمون.

ستعرف أن اليهود قضوا مئات السنين فى عهود الغربة الأولى، يصنعون نموذج «اللص» وسترى كيف تجمع «اللصوص» فى جماعة واحدة هي «اليهود» وسترى كيف دخلوا «المحل» الفلسطينى، فجأة وعلقوا لافتة «صهيون» وبداخل المحل.. علقوا لافتة تشير للدين.. وهم على غيره..

لقد قضى للدولة التي سرقوها أن تبقى أربعين سنة، ولما رأت مصر أن دولة اغتصابية قامت في المنطقة علي أرض مسروقة من أصحابها، هَبَّت مصر، وبيد رمسيس الثانى، من بعد أبيه سيتى، وضربت القلعة اليهودية. الدولة الجديدة.. وشردتهم.. وأعادتهم للغربة الأبدية.

ولقد غَنَّى المصريون، وأنشدوا، أول «ملحمة فولكلورية» فى الدنيا .. تمجيدا للبطل المصري الذى صرخ فى المعركة قائلا «يارب مصر» «يارب النصر..» .

وبعد . فأرجو أن يعلم القراء..

أنني تجردت من كل نزعة تعصبية، دينية أو عنصرية، فى تدوينى الكتاب. وليس ذلك من أجل الحياد، وإنما من أجل غرض أهم هو الوصول إلى حقيقة اليهود. كما يعرفونها هم ويحفظونها. ويخفونها على الناس. فلربما يمكننا ذلك من أن نقف على هذه الحقيقة الغامضة، لأول مرة ونكون بذلك قد رددنا على فيلسوفهم هرتزل الذى قال فى بروتوكلات عجائز صهيون. «لن يحكم أحد ابدا على ديانتنا من وجهة نظرها الحقة. اذ لن يستطاع لأحد أبدا أن يعرفها معرفة شاملة نافذة، الا (شعبنا الخاص) الذى لن يخاطر بكشف أسرارها...»(١).

---

(١) حكماء صهيون – محمد سعيد التونسى.

الفصل الثالث

معتقدات شعبية

* يهودى ...
* حلنى ...
* فضيحة بجلاجل ...
* ابن بلد ...
* طراطير ...
* عمك شنطح ...
* الفن ...
* قاضى المسلمين يهودى ...
* خطة بيبرس ...
* المحدثون ...
* بيض شم النسيم ...
* الخطيرة ...
* فى أبى سمبل

*يهودى ...

كل منا، إذا أراد أن يعبِّر عن حقيقة شخص ما، من صفاته أنه يحب نفسه، وأنه لا يعرفك إلا لمصلحة له. وأن قلبه لا تعرف الرحمة إليه سبيلا، وأنه يحب أن يكون فردا أنانيا، وأنه لو استطاع أن يكسب من وراء موتك لما تردد فى العمل للمكسب وانه مجرد من كل العواطف الانسانية العامة.. فإن الانسان الذى يريد ان يعبر عن حقيقة هذا الشخص فى كلمة. لا يجد إلا كلمة واحدة، هى أن هذا الشخص.. يهودى..

إذا أراد انسان ان يعبر عن شخص هذه صفاته ولو كان اسمه «حامد» أو «جورج» لما وجد الا كلمة غنية بالدلالة على ما يجب أن يصوره عنه، وهذه الكلمة الواحدة هذه الصفة التى تجمع كل الصفات الدنيئة هى.. «يهودى».

كلمة «يهودى» فى الاصطلاح الشعبى «صفة».

والكلمة الشعبية عبارة أو اصطلاحا، لا يقولها الشعب فجأة، أو من جراء موقف أو اثنين. وإنما يقولها بعد حيرة لا يقضى عليها إلا وجود الكلمة المناسبة.. الكلمة التى يقولها فتغنيه عن الشرح

الطويل، والكلام الكثير، واستدعاء الصور والمعاني..

وعملية تقليب اللسان الشعبى للكلمات المختلفة. بغية الوصول إلى (الكلمةالصفة) تشبه إلى حد كبير عملية «سك النقود» البحث عن كلمة تحمل «قيمة معنوية محددة..!!» والشعوب لا تسك الكلمة الصفة. أو الاصطلاح أو المثل إلا بعد امتحانات لكلمات غيرها فى الحياة اليومية. بسرعة التعامل فى التفاهم. وبمجرد الوصول إلى الكلمة الدالة على المعنى المطلوب تنطلق الكلمة بدوافع قدرتها على التعبير عن غيرها.، وبهذا التداول تنتشر، وتصبح فى الكلام «قيمة دلالية» ويتوارثها الناس جيلا بعد جيلا.

***

* حلنى ...

فإذا وعدتنى بشئ ما، وكنت أنت من الذين عُرِف عنهم أنهم لا ينفذون ما وعدوا به. أو من النوع المماطل. الذى من عادته التباطؤ واللامبالاة.. قلت لك، أو لنفسى فى سرّى «حلنى».. !

كل منا يقول فى مثل هذه المناسبة. هذه الكلمة، نقولها ونحن نعرف قيمتها فى الدلالة على المعنى ولقد تلقيناها ممن سبقونا ولعلهم هم أيضا كانوا يقولونها دون أن يعرفوا متى.. سكها الشعب مثلنا..

إن الكلمة فى الاصطلاح الشعبى كحجر رشيد، اذا قرأت رموزها عرفت ما يختفى وراءها، من مواقف.. وعصور.. ومعان.

كان الحكام الأغيار.. الحكام الأجانب.. هؤلاء الذين جاءوا بلادنا من كل من هب ودب. كانوا يربطون المواطن ابن البلد المشكوك فى أمره، لحين التحقيق من أمره.. ثم يتركونه متباطئين فى التحقيق، فإذا ما نادى الموكل بحراسته وقال له «حلنى» أى فك وثاقى راح هذا الحارس فى غيبوبة الصمت، واللامبالاة بأمره، وهو يجتذب نفس الدخان من الشبك وتعذيب المواطن. بسلطنة أكثر من أخذ النفس..!

وأنت تعدنى اليوم، وأنت غير «مملوك». وكذلك أنا، تعدنى بشئ ما فلا أجد تدليلا على حقيقة الذى سيحدث من مماطلتك، إذا كنت مَماطلاً، إلا نفس الكلمة التى تحمل القيمة الدلالية المحددة الثابتة.. وهى «حلّنى»..

***

* فضيحة بجلاجل...

ومن ذلك قولك عن فضيحة أكثر انتشارا. أنها فضيحة بجلاجل.. وهى مترسبة على ألستنا من أيام الفاطميين الذين كانوا إذا أحبوا أن يشهروا بإنسان، فإنهم يرسلون غلمانهم للإتيان به إلى

الحاكم.. ومن عادتهم انهم يلبسون الغلمان الخلاخيل ذات الجلاجل في أقدامهم ويسمع الناس صلصلة الجلاجل فيشاهدون الفضيحة..!

***

* ابن بلد ..

ولفظة «ابن بلد» تغنيك بدلالتها عن الكثير من الكلام.. إنها صفة شعبية تحمل قيمة. دلالته بصفات كثيرة.

ابن بلد.. تعنى أولا أنه مواطن. وليس من الذين يحكموننا من الموالين لهم.

و«ابن بلد». يعنى أنك تستطيع الاطمئنان له، وتفُضى إليه بذات نفسك دون خوف.. وابن بلد. يعنى أنه رجل يعتمد عليه.

وابن بلد. يعنى أنه صريح لا يعرف الكلام الملتوى. وأن الذى فى قلبه. هو الذى على لسانه.

وابن بلد. يعنى (صاحب صاحبه).. غير نفعى.

وابن بلد. يعنى شهم. سريع النجدة.

وابن بلد يعنى أنه يفديك. ويفدى بلده، ويفدى كل معنى له قيمة. ولو كان الموت واقفا له بالمرصاد. لأنه يفضل ان يتحدث الناس عنه بالخير والرجولة.. وفى المثل الشعبى «السيرة أطول من العمر» وأيضا «ما ياخذ الروح إلا اللى خلقها»

الشعوب وخاصة شعبنا لم «يسك» صفة شعبية أو مثلا شعبيا. أو اصطلاحا. إلا بإملاء الاحتياج فى التعبير لهذه الصفة أو المثل، أو الاصطلاح، وهم لم يأتوا بها إلا من واقع الوجود الحقائقى من حولهم..

***

* طراطير..

«أنا موش خايف من طرطورك»

الشعب الذى لا يخشى الا الله والذى حب خلود الذكر أكثر من الحياة. وعنده أن الروح لا يأخذها إلا خالقها. وان السيرة أطول من العمر لا يعبأ بهذا الحاكم المملوكى الذى يلبس الطرطور على الرغم من شدة ظلم وشدة بطش هذا الحاكم وأتباعه.. كان من عادة المماليك ان يلبسوا الطراطير.. القاووق.. فالجندى يلبسه بلا عمة. والسلطان ورجاله من الوزراء والأتابك والولاة والكشافين يلبس فوق الطرطور عمامة..

والمصرى «ابن البلد» يعتقد ان هذا الظالم. رغم ظلمه، بلا عقل ولا تمييز لأنه يلبس شيئا مضحكا. وأنه لذلك ليس إلا «منظر» رغم السوط والفرقلة.. والفضيحة أم جلاجل..!

ونظرة ابن البلد الضحوك.. العميق. الساخر. عاشق النكتة.

التقطت نقطة عدم التمييز فى هذا الحاكم. وهى الطرطور. فقد يكون إطالة الطرطور لإطالة معنى التهديد فى نظر المحكوم. كيف لم يفهم هذا البنى آدم ان ذلك شيئا يضحك الناس عليه..!!

وكل منا يستعمل هذه العبارة اليوم، بحروفها وألفاظها، إذا ما جوبه بتهديد أو وعيد. والمهدد ليس مملوكا. ولا الواقع عليه التهديد ليس فى عصر المماليك. ويقول العبارة بمعناها، بقيمتها الدلالية الثابتة تعبيرا عن عدم إعطاء التهديد أو الوعيد أى اعتبار... وتعبيرا عن قبول التحدى..

***

* عمك شَنْطَح ...

وكان المملوك فى نظر المصرى سواء جنابك أو أتابك أو سنجق.. الذى هو فى درجة المدير للمديرية، لم يكن فى العقيدة الشعبية إلا إنسانا يستند إلى المنصب، ولا يتصرف لهذا السبب مع الشعب إلا بمنطق المناصب، وبالأمر والسطوة دون مراعاة لأى معنى من معانى العدالة. فاذا ما أصدر أى أمر بطلب مال أو ضريبة، حتى ولو لم تكن الضريبة فى القانون مثل تلك التى فرضوها أيام حكمهم الأخير بأن من يشرب الدخان فى الشارع.. يضرب أو يدفع ضريبة. هذا البنى آدم مهما كانت درجته أو اسمه، ليس فى نظر المصرى، إلا

«شنطح» ولم يجئ إلا «لينطح».. عمك شنطح جالك ينطح تدى له إيه..!؟»

***

* الفن ...

الفن الشعبى. أساسا، ليس الصفافير والزماميز والأرغول... وإنما هو فى الدرجة الاولى «الكلام».. «الادب الشعبى». محمول الكلام.. ولذلك فإن كلمة «الفن» هى الكلمة الشعبية التى يطلقها الشعب على «الموال» والأدب الشعبى يبدأ أساساً من «الكلمات العملة» الكلمات ذات القيمة المحدودة - الصفات التراثية. والاصطلاحات؛ والامثال. تلك التى سارت فى بحر الزمان من جيل إلى آخر، مُعَبِّرة باقتدار كبير عن الموقف، ومعبِّرة أيضا عن العقيدة الشعبية السابحة تحت حشائش النهر الانسانى الذى تنبع من أعمال الجيال ويظل سائرا فى كل جيل.. فى النفس والوجدان والضمير..

***

لشعبنا إذن رأى فى اليهود ووجهة نظر، بل وعقيدة وذلك لا يتأتى إلا اذا كان الشعب قد تعامل معهم واختبرهم زمانا طويلا حتى حصل على هذه الصفة الشعبية.. «يهودى»(١). ولما ازداد

(١) انظر إلى رأى شعوب أخرى فيهم، عندما يضعون لافتة على الفنادق، كتب عليها، ممنوع دخول... الكلاب... واليهود.!!

الشعب عمقا فى فهم الشخصية اليهودية واستوت فكرته عنها. أطلق حولها.. النكتة والنكتة، أقصر عمل فنى، مصاغ صياغة فنية ساخرة حول حقيقة ما.. وناهيك عن النكت المصرية التى عبرت ببلاغة عن كشف حقيقة الشخصية اليهودية..

***

* قاضى المسلمين يهودى ...

ان وراء ذلك جدية واهتماما من الشعب فما السبب يا ترى..؟

ترى ما السبب وما الدوافع، علما بأن شعبنا لم يسك فيهم الصفة والنكتة وانتهينا، بل انشأ فيهم الملاحم والقصص الكثيرة.. ورواها وغناها وفعل ذلك من زمان.. من زمان بعيد.

ما الدافع الذى سيطر على الكاتب الشعبى الذى ألّف سيرة «الظاهر بيبرس» عندما صور رغبة اليهودى الملحة فى تخريب الجبهة الداخلية أيام الحروب الصليبية. حيث وضع من بين شخصيات السيرة رجلا.. تراه فاضلا مُهَنْدما يلبس لبُاس العلماء، ويرقى إلى مناصبهم. ويحمل السبحة ويطلق لحيته، ولا يسير إلا مُتمتماً، مبسملاً، مُحوقلاً، ويكاد يطير من فرط الورع. وفجأة يعرى لك الكاتب الشعبى حقيقته، عندما يصفه لك فى مأزق. وإذا به.

يهودى !![1].

ما سر ذلك الاهتمام من الشعب، بالضغط على تفسير اليهودى وتفصيص شخصيته. وتجسيد عداوته التقليدية لنا.

إن الظاهر بيبرس هذا المملوك الدرويش كان فى حقيقة التاريخ اقرب الناس إلى ام خليل «شجرة الدر» وإلى الملك الصالح نجم الدين أيوب، زوجها، وكان يسمع كثيرا من الملك المُثقَّف. الصالح نجم الدين أيوب، رأيه فى الشعب من أنه مجموعة من «الحرافيش» ولما مات الصالح نجم الدين. تنحى الظاهر عن عين شجرة الدر.. وترك مكانه المقرب لعز الدين أيبك. وتم زواج أيبك بأم خليل.. وفضل الظاهر المعركة.

كان الظاهر تلميذا للشاب النابغ العظيم العز بن عبد السلام، مفتى الديار وبحكم هذه الدروشة كانت له نظرات ومعتقدات شعبية فقد اختار أن يكون قائد الحرافيش ..

من هنا كانت وقفة الشعب امام شخصية الظاهر.. لأنه بهذا العمل، بالانحياز إلى الشعب، أخرج الشعب من عزلته عن المعركة ودفعه معه إليها.

***

(١) ولقد كان خيال الفنان الشعبى المصرى أشبه بالتحذير.. فذلك نفسه الذى طلبه فيلسوفهم «هرتزل» أخيرا بأن يندسوا بين رجال الكنيسة المسيحية لاعبين أدواراً محبوكة ترقى بهم إلى أعلى المستويات المسيحية من أنهم يهود...

* خطة بيبرس ...

والخطة التى رسمها الظاهر للقضاء على كل جيوش اوروبا فى لحظة لا يتأتى فيها الا انتصار الملك القديس لويس التاسع بقيادته وقيادة شقيقه «الكونت لارتوا» صاحب السيف الطويل، اذ كانت الجيوش الصليبية تمد جسرا خشبيا تعبر عليه النيل من «جديله» إلى المنصورة.. وقد أخليت المنصورة تماما. استعدادا للسقوط. وبدأت الأخبار المفزعة تدق باب النصر بالقاهرة ودخل الكونت صاحب السيف الطويل المنصورة. ومعه الطلائع فوجد الظاهر ينتظره..

كانت خطة الظاهر، خطة شعبية لا ينفذها معه إلا الشعب نفسه فهى فى بساطة، بحثه قبل الانخراط فى المعركة عن حلم واحد لو أنه استطاع تجهيز جيش بحرى ويأتى به ليدخل نهر النيل، كما فعلت سفن الإفرنج، من الشمال. من ناحية دمياط، أنه لو استطاع أن يفعل ذلك، لاستطاع جيشه البحرى ان يضرب من الخلف مؤخرة الجيوش الاوربية فتضطر بالضرورة إلى الدفاع، فالتوقف، فتغيير الخطة، من الزحف فى أمان ويُسُر من دمياط إلى المنصورة إلى تقسيم الجيش الأوربى الزاحم نهر النيل بسفنه إلى جيش واحد يستدير ليدخل مع هؤلاء الذين باغتوهم من خلف فى معركة. خاصة. وان هذا الجيش المصرى المباغت قطع طريق الامداد بين الجيش

الأوربى وبين دمياط التى هى مركز إمداد الصليبيين، والثانى يستمر فى دخول المنصورة.

ولما عبر عن حلمه لاستاذه العظيم، العز بن عبد السلام فسر له الحلم ونفذه، وحوله إلى حقيقة، حيث تحول الشيخ من عالم يعطى الدروس إلى رئيس هيئة أركان حرب شعبى. ذهب إلى المنوفية والغربية والبحيرة. وأفصح عن حلم الظاهر، فحمل الناس المراكب من فرع رشيد على ظهور الجمال وانزلوها فى النيل خلف جيوش الافرنج..

وإنك لتقرأ فى ذلك عجبا من الفرنسيين الذين صاحبوا الملك القديس لويس التاسع فى المعركة. أكثر مما تقرأه فى سيرتنا الشعبية وفى تاريخنا الكلاسيكى[1].

والفرنسيون المعاصرون للمعركة المحاربون مع لويس. قد سجلوا أن لويس لم يفر من المعركة، وان خطته لم تتبدد وتتلاشى. وان عزمه لم يَهُن. وأن ناره لم تصبح ثلجا، وأنه لم يختبئ فى محلة الدمنة أسيرا إلا بسبب هذه الخطة الشعبية للظاهر بيبرس..

* المحدثون ...

الكاتب الشعبى المجهول الذى كتب لنا السيرة الظاهرية. التى كان عدد رواتها فى القاهرة وحدها ايام وجود «ادوارد لين» اول من

---

(١) من أمتع كُتَّاب هذه المواقع، وأعمقهم «جوانفيل» الذى اشترك فى القتال مع الملك القديس لويس التاسع وأرّخه، وأفرد له مترجمه إلى العربية الدكتور محمد مصطفى زيادة، جزءا شائقا فى كتابه «حملة لويس التاسع على مصر».

كتب عن الفن الشعبى المصرى، كان عددهم على الأقل، ثلاث مائة[1] عندما أراد هذا الكاتب أن يختار من الاعداء شخصا يسقط عليه كل صفات الخسة والحيلة والدهاء. لم يختر شخصا صليبيا. وانما اختار اليهودى[2].

ما علاقة اليهودى يا اخينا بالصليبيين ..؟

***

* بيض شم النسيم

الجواب عند الشعب. الذى رأى أن كل ممالك الافرنج التى جاءت لتحارب (بعقيدة) ضد بلاد العرب وتنوى أن تتغدى بمصر وتتعشى بالشام كان معها مجاميع من «اليهود» جاءوا للتجارة، للكسب من وراء القتال وخراب البيوت لهم ناقة وجمل من وراء لعبة الموت، الحرب، ولذلك فإن من مصلحتهم أن تطول أيام القتال، ولذلك ايضا هم اعداء السلام. كان هؤلاء اليهود من كل الممالك المحاربة وبخاصة.. ايطاليا.. تصادف ان تم النصر للظاهر. فى

(١) E.W. Lane الكاتب الانجليزى (ادوارد وليام لين) فى كتابه The Modern Egyptians ولنامعه مواقف إشادة، ومواقف مناقشة «قضى فى مصر وعمره ٢٤ عاما، مثلها تماما، يدرس ويسجل الفن الشعبى» ابتداء من ١٨٢٥م.

(٢) سيثبُتْ لك، من الفصول التاليات، حول ذلك، حقائق أغرب من خيال الفنان الشعبى.

مطلع الربيع وجاء يوم شم النسيم والصليبيون فى دمياط يجهزون للرحيل عن البلاد بعد أن أطلق الظاهر سراحهم نظير فدية يدفعونها. ولمح الشعب أعلام الأوروبيين المهزومين. أحمر وأبيض وأخضر وازرق، وكل لون. فأخذوا من هذه الألوان فى ساعة النصر أسلوبا يعبرون به عن الفرح. فلونوا البيض.. ومن يومها ونحن فى شم النسيم نهتم بالبيض الملون ونحن لا نعرف السبب..

لماذا لم يرفع الكاتب الشعبى عصاته الفنية ويضرب بها الصليبيين! وضرب بها هذا الجنس الذى تركزت فيه كل الصفات الخسيسة... اليهودى.

لأن دينه التجارة ولو فى سوق الدماء...

.. لم يكن ذلك أول مراحل فهم الشعب للشخصية اليهودية. وإنما كان ذلك قد تم من زمان.. من زمان بعيد..

***

* الخطيرة ...

ترى ما عمر هذا الاعتقاد الشعبى فى أن اليهود هم جنس الامية البشرية.. الضاربين حول أنفسهم، وحول أسرازهم، نطاقا لم يخترقه أحد.. إن الحيوان، فى مراحل ترقيه وتهذيبه من سلوكه الحيوانى المخلبى إلى سلوك التعايش السلمى مع الانسان. يعطيه الانسان

من نفس كلمة (الانسان) صفة ويقول عنه أنه حيوان «مُسْتَأنس». حيوان فيه أشياء من سلوك الانسان. أولها التصرف بلا مخالب أو أنياب.

ولكن اليهودى. وهو شخص لا مخالب له ولا أنياب وإنما هو أشد فتكا من ذوات الأنياب والمخالب، بحيث يمكن أن تعطيه من كلمة (الحيوان) صفة.. وتقول عنه أنه (انسان مُسْتَحْون) ليكون هو والحيوان المستأنس فى حظيرة واحدة يتعايشون مع الناس.. على دخن!!

ولكن هل سر دَق الفن الشعبى على الشخصية اليهودية من أنها معدن السوء والشر، مجرد بحثها فى معمل التفكير والتعبير لما حصل عليه الشعب من نتائج حول هذه الشخصية فى السوق وفى التجارة وفى الحروب مرة أو اثنتين. أم أن المسألة أعمق من ذلك؟

***

* فى أبى سمبل..

هل ذهبت إلى أبى سمبل؟

هل ذهبت إلى معبد أبى سمبل؟

إن رمسيس الثانى. قبل أن يُدْخلك إلى معبده، هذا الملحمة الصخرية العتيدة، قد وَضَعَ لك على باب المعبد بالخارج. حاجبين

صخريين كحاجزين. أو «كالبارفان» عن يمين وعن يسار.. وما أن تطل إليهما حتى ترى صورتين محفورتين. ما تكاد تضع قدميك عند المدخل حتى ترى الصورتين.

ترى «سيسى».

ترى «عم رمسيس».

وأقول «عم» رمسيس، قاصدا عمى رمسيس، ولا أنطق اسمه التاريخى «رع مسيس» تمشيا مع منطق الجدود من الفنانين الشعبيين فى مناداته، فقد نادوه ب «سيسى» فى ملحمتهم ونحن نفعل ونناديه بقدره.. ونقول له يا عم.

عم رمسيس - فى الصورة - ربط اليهود بالحبال، وأمسك بيسراه طرف الحبل ورفع بيمناه سوطا، وراح يلهب ظهورهم ويوجعها لسبا وإيجاعا..[1].

وإزميل النحات المصرى، عدسة تصوير فوتوغرافى، فأنت إذا نظرت إلى مومياء انسان وإلى تمثال له، فلا تعرف من شدة التشابه وتطابق الملامح، أيهما كان الانسان الحى «المومياء». وأيهما التمثال. أيهما الجسد فى حنوطه، وأيهما الصخرة فى خلودها.

والصورتان الابديتان، رسم فيها اليهود بملامحهم الخارجية رؤوسهم الحليقة والصلعاء وباللحية اليهودية المدببة المتأملة المتلفتة الكاذبة وبعيونهم التى تندى حيرة وبكاء.. ثم بملامحهم

(١) سَيَثْبُتْ لك بأدلة كثيرة.. أدلة تاريخية.. وأدلة يهودية.. لا سبيل إلى مناقشتها.. من أن الذين حاربهم رمسيس وأبوه سيتى الأول.. هم اليهود.

الداخليــة، طاعــة الخــسيس الذليـل الجبـان. وقــد رُبِطَتْ ايديـهم من خلاف ومالت صدورهم فى الحركة النافرة الخائفة من وقع السياط..

ما سر اهتـمـام عم رمسيس بأن يذهب إلى أقصى الجنوب هناك عند باب النيل بأبى سمبل، ويترك للأجيال المتعاقبة هذا الأثر الجليل..

ولقد انكشف اليهود، فى كتب الأدب، وكتب التاريخ السياسى، فى كثير من الأمم، بحيث أصبح واضحا، حتى للمتعنّتين المستهودين، أصحاب المصلحة العامة أو الشخصية لديهم، أن اليهودى الذى يعيش بين أى قومية فى الدنيا، يعيش بشخصية مزدوجة مهما كان قادرا على إخفاء يهوديته، ومظهرا الشخصية القومية لمن يساكنهم ويتمتع بجنسية بلدهم، سواء فى أوروبا، أو فى الشرق، أو فى أمريكا، وهو أشبه ما يكون بالذهب (القشرة) لمعة الذهب الخارجية التى هى القومية الغيرية فيه طلاء، كذب، ومع الأيام، تروح اللمعة الذهبية، أى تختفى شخصية من الاثنتين، وهى التى يخادع بها اليهودى مَنْ حوله من أهل القوم، وتظهر الحقيقة «المعدن الرخيص» اليهودية.

ولقد تبيّن لنا من كل ما سبق، أن الانسان اليهودى، مهما كانت ثقافته العالمية، أشبه بمحيط، ومهما كانت وظيفته فى الحياة، محيطا آخر، بالصلات العامة التى تستوجب إخفاء اليهودية، فإن العربى، عليه ألا ينخدع بشئ من ذلك، فتحت أعماق هذه

المحيطات العامة، تقبع جزيرة الوجدان، وهى التى يعيش فيها اليهودى.

الشخصية اليهودية، لا تستطيع الذوبان والتحلل فى شخصية أخرى، لأنها رد فعل زجر عام من كل أمم الأرض، ذلك الذى يسمونه اضطهادا..

ومع كل هذه المؤلفات والمكتوبات، فإن ابن البلد المصرى، الذى يعيش على التأمل وتبادل الرأى، فى مواجهة ما يصادفه من حقائق فى الحياة، عرف اليهودى، وعبر عن معرفته به، بالنكتة، أصدق تعبير، وأصدق تصوير.

وقبل النكتة كان المصريون، فى الريف، إلى أجيال قريبة، يعتقدون فى أسطورة، يستعملونها فى تخويف الأطفال من الابتعاد عن القرية، أو عن البيت، فى المدينة، حتى لا يخطفه (السمَّاوى).[1]

والعجائز يصفون السِمَّاوى، خاطف الأطفال، بأنه.. اليهودى، بحيث تتمثل الخيانة واللوم وتعذيب البشر، فى انسان واحد، هو اليهودى.

ومن تلك المعتقدات الشعبية أيضا، خلع صفة شعبية ذات مدلول مُحيرٍ، على أنقع أنواع السم القاتل، عندما يسمونه «السليمانى» فهل يعنون بذلك، أن الموت الذى لا تسبقه ما يدل عليه من علامات أو أمارات، هو موت بفعل اليهودى السليمانى.

---

(١) نسبة إلى ... (السِم)

كل الدراسات القديمة، والحديثة، فضحت ما يعتمل بقلب اليهودى، من كراهية للبشر، وحب شديد لمبادئه هو التى عاش عليها آلاف السنين.. وبخاصة، المال،.. وجمع المال.. على أنه وسيلة وغاية

المال والانسان لكل أبناء الدنيا، راكب ومركوب، والمطية دائما، المال، إلا عند اليهودى، فهو شخصيا المركوب... ومن نكات أولاد البلد، أن مجموعة من أجناس مختلفة تراهنوا على النزول إلى البحر. ليغطسوا تحت الماء، ومن يبقى مدة أطول، تحت الماء، ولا يظهر على السطح، إلا بعد أن يكون المتسابقون قد ضاقت أنفاسهم، وطفوا على وجه المياه، ولهذا الفائز.. ريال.

ويصغى مستمعو النكتة للنهاية، فيقول الراوى، ومن يوم الرهان، حتى الآن، واليهودى تحت الماء..

أى أنه فقد حياته طمعاً فى.. الريال كيف إذن يتصور اليهودى أنه سينتصر على العربى، أو على الأقل كيف يظن اليهود أن العرب، مهما فقدوا جولة أو اثنتين، سيسلمون، لليهود بمطامعهم فى فلسطين..

تلك هى نكتة العصر والأوان.

الفصل الرابع

طابور الخروج

مؤامرة اليهود التاريخية

"يا بنى اسرائيل"

"يا شعبا غبيا"

"يا شعبا غبيا غير حكيم"

"يا أمة عديمة الرأى"

"إن يوم هلاككم قريب"

من قصيدة الوداع لموسى الكليم

* أيام يوسف ...
* يهوذا ...
* الابن الحفيد ...
* المرأة الزائغة ...
* الموت للقائل.. يا يهودى ...
* ! مصر.. فى نظر اليهود...
* الشعب الثقيل...
* الصورة المقلوبة
* الفريسة المتوحشة
* المكافأة لقاتل.. الحق...
* يعلبون أمام الله...
* سيناء لم (تهود) أبدا ...
* زرع البشر ...
* فلسطين الشعب العظيم ...
* المؤامرة ...
* طريق النهب ...
* موسى ينتفض شعرا ...

كان صيفا

ومصر فى عيدها الشعبى

النيل فى وفائه، والمصريون يردون له وفاءه - بعيد الوفاء

والعبرانيون... فى وجوم

الشعب المصرى، العاشق لمكتشفاته.. الاجتماع والحضارة..
يمارس اللقاء الغنائى الراقص بين أشجار وأزهار وعناقيد الثمار..

والعبرانيون الغرباء.. يستعدون لرحلة مبهمة..

الهواء المصرى النشوان بالنسمات الرطيبة. والأرض التى تفيض لبنا وعسلا، والنخيل العذارى.. والنخيل الولود. يبعثن بالشجن الرخيم. والصبايا لابسات الكتان الجميل

أمة فى عيد

والعبرانيون.. فى دهشة مما يرون.. ومما يراد بهم

وكان موسى الكليم نبى الله عليه السلام قد حدد موعدا للسحرة، للمباراة معهم و(قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى)

والعبرانيون..؟ اليهود..؟ الغرباء عن الوطن الكبير الخالد.. ينظرون إلى موسى تارة. وإلى الشعب الذى ملأ هواء اليوم الصائف بالزينات.. والاعلام، والطبول والرباب وكأنه من الكثرة والزحام قد اجتمع يوم "الحشر[١]

اليهود...؟

كان اسمهم العبرانيين. لم تكن كلمة اليهود. قد ولدت بعد هذه اللفظة (الشعبية) التى لا يقض مضاجعهم شَئٌ مثلها.

والعبرانيون جنس. وليسوا شعبا.

فهم يتخاطبون بلغتهم الخاصة. ولكنهم بدو. آثروا الضرب فى الفيافى والقفار. ويعيشون فى الخيام، ضنا بالمال.. والجهد عن بناء قرية عبرانية واحدة..

يروحون مدين.. و (جيضروت، وكلدانيا، وأشور، ومصر)

ويرجعون ويقفون ويدورون يمارسون الغربة الابدية باختيارهم، ضنا بالمال وبالجهد، وانصرافا عن أسباب الحضارة.

وكل الشعوب التى يندس فيها العبرانيون الرعاة يعيشون فى قصورهم، فى بساتينهم. يمارسون أنواع النشاط المتفاعلة بالحياة للإضافة إلى الحياة الوانا انسانية رائعة.. إلى أن نزل منهم بمصر فريق..

---

(١) كان الخروج فى شهر ابيب (فى شهر ابيب.. أخرجك الرب إلهك من عصر ليلا) - الإصحاح السادس عشر - تثنيه

* أيام يوسف ...

مصر الطيبة التى تعطى للغرباء ما يشتهون. تجعل من «حماها» لهم حمى.. وذمارا.. وتعطى من خيرها الوفير.. ما ينسى الغريب غربته... نزل الفريق العبرانى بمصر وتناسل وتكاثر حتى جاء «يعقوب» ليرى ابنه. ابن شيخوخته الاثير لديه «يوسف الصديق» بعد أن تحول من مهدور الدم بأيدى إخوته.. إلى وزير بمصر. مصر مفتوحة الابواب والقلب لكل غريب وافد، وبقى اليهود.. أقصد بقى العبرانيون، وملأوا الشرقية.. وصحاريها وكل المنطقة المباركة باحتضانها للصديق يوسف.. من سفط الحنه حتى صان الحجر حتى القنطرة - وانتشروا بعد يوسف فى الوادى الاخضر[1].

وجاء موسى - نبى اليهود -

أقصد نبى العبرانيين. فلم تكن لفظة اليهود قد ولدت بعد.

بل أن هذه اللفظة «اليهود» لم ترد فى التوراة إطلاقا. إنها كلمة من كلماتنا فى لغتنا الشعبية. وهى الكلمة التى نسميهم بها، ولانسميهم باسمهم القديم العبرانيين ولا حتى باسمهم المُفَضَّل عندهم.. بنى اسرائيل، وقد ظهرت بالكتاب المقدس (العهد القديم)

(١) الكتاب ملئ بالوثائق العبرية حول الاماكن وأسمائها بالعبرى وسيمر بك ذلك فى مكانه.. ونحن نضع هنا الأسماء العربية حتى لا نقطع عليك السياق..

بعد مأساة أورشليم... وبعد أن فضحت مصر شيئا من (نوعيتهم)..! والأصل الفلولوجي للكلمة (التركيب الصوتى) من النطق المصرى (خوت)...

★ اليهود ...

الكلمة: التى يسمعها الاسرائيلى فى أى مكان من الدنيا فيصاب بلوثة فهى كلمة تخيفه، وتهزه هزا عنيفا وتخرجه عن أطواره.

نعم فسب الاسرائيلى، استأصل شأفة اسلافه على أنه اسرائيلى ولكن لا تقل له يا يهودى والحكاية، ان الشعوب العربية فى المنطقة نطقت بعد ذلك وبلسانها الشعبى اسم (يهوذا) بالنطق الميسر الدراج كعادة اللسان الشعبى وقالت «يهود»[1]

ولما كان نطق الاسم. أى اسم، فى اللغة العربية فصحاها وعاميتها يستلزم أن يعرف بالألف واللام نطقت «اليهود»

من هو «يهوذا» هذا الذى تسبب لهم فى هذه اللعنة المنطوقة؟

ولماذا اختار اللسان الشعبى العربى، يهوذا دون غيره من الاسماء العبرانية.

ان كلمة «اليهود» أصبحت فى الاصطلاح الشعبى، كلمة تندرج

---

(١) بالدال المهملة

على الجنس كله.. على العبرانيين يهوذيين.. وبنى اسرائيل..[1]

يهوذا.. واحد من اثنى عشر اخ كلهم أولاد يعقوب... مات احدهم وبقى له الاحد عشر كوكب.. من بينهم يوسف وبنيامين من السيدة (راحيل). والكبار منهم أولاد (ليئة) المغضوب عليها... والباقون من جاريتين لراحيل.. سريتين للنبى.

★ يهوذا ...

يهوذا وحده من بين اخوته جميعا، ولم يكن البكر. فالبكر هو راؤوبين، يهوذا وحده الذى تشرب كل خصائص الجنس العبرانى فقد «زنا» مع كنته.. زوجة ابنه بعد أن ترمّلت..! وانجب منها سفاحا ولدين توأمين هما فارص، وزارح[2]. وكان ثمن الزنا.. جدى معزى.. مؤجلا.. أخذت عنه «ثامار» الأرمل خاتم يهوذا وعصاه رهنا

وراؤوبين.. أخو يهوذا.. زنا - أيضا - مع زوجة أبيه «بلهة» إحدى السريتين للنبى يعقوب - الذى أصبح اسمه اسرائيل «بدلا من يعقوب» وصارت الرئاسة بعد ذلك، وعلى مدى زمان طويل، لبيت يهوذا ولما أخذ بيت اسرائيل يدعم نفسه بين العبرانيين، أصبح فيهم بيتان يتناطحان. هما باختصار كما جاء بالكتاب المقدس «يهوذا»

(١) سبق اللسان المصرى القديم غيره من ألسنة أهل المنطقة فى نطق اسمهم بهذا التضمين فقالوا «خيتا»
(٢) الاصحاح الثامن والثلاثون - تكوين

و«اسرائيل»

وتوالت الشنائع منهما تترى وتتزايد...

* الابن الحفيد ...

فرصدت العين الشعبية مناط السخائم ونطقت الاسم الذى ينسحب على الجنس كله.. فلم تقل اليهوذيين وإنما قالت اليهود. فهم الذين يزنى الرجل منهم مع زوجة ابنه. ومنهم الذى يزنى مع زوجة أبيه. فيأتى الوليد من أب حقيقى وأب «عياقة» وزوجة الأب يأتى وليدها (ابنا) حقيقياً (لأخيه) الحقيقى. وأخا (صوريا) لأخيه..

فلان ابنك واخوك فى وقت واحد. كيف يصح ذلك؟ وفى أى شريعة.

وابن الأرملة فارص أو زارح (أخو) أولاد يعقوب.. ثم هم فى نفس الوقت (اعمامه).. كيف يصح ذلك.. وفى أى شريعة..؟

الحيوان.. ؟!

إن فى بعض الحيوان ما يحافظ على النسب.. وقد يزنى الحيوان ولكنه يعاف اختلاط النسب.

والإسرائيليون يعرفون ذلك.

وهم يثورون كلما سمعوا كلمة «اليهود» مخافة أن نكون قد

أطلقناها لهذه الحقائق الثابتة والتى دمغهم بها الكتاب المقدس.

فليطمئنوا.. فإننا نعلم.. وسوانا يعلم.. ونعلم أكثر منه ونحبسه تعففا. ولا نقول شيئا فى الموقف المخزى عندما اقترف كنعانى. الاثم مع «دينة» اخت اليهودى.. اخت يهوذا وأذلها..

وليست هذه الشنائع الحيوانية هى خصائص اليهود وحسب وإنما تكاد تكون هى مع نظرتهم للمال. الخصائص المميزة لهم.

تنظر إلى واقعهم. إلى اليوم. وإلى يوم يبعثون. فتراهم والغين فى الانطلاق البهيمى. ليس الانطلاق عند حدود الزنا وإنما بعد ذلك وأسفل من ذلك.. فى اللامبالاة بنسب النسل وتراهم يحتفلون بكل ما يعينهم على تحقيق هذه الشريعة اليهودية العنصرية، حتى من الطقوس.

وانظر إلى شريعة الغيرة التى لا يمارسون طقسا غيرها

* المرأة الزائغة ...

«إذا زاغت امرأة رجل وخانته خيانة»

«واضطجع معها رجل اضطجاع (زرع) وأخفت ذلك عن عينى رجلها»

«واستترت وهى نجسه»

«وليس شاهد عليها ولم تؤخذ»

«فاعتراه روح الغيرة، وغار على امرأته وهى نجسه»

«أو اعتراه روح الغيرة وغار على امرأته وهى ليست نجسه»

«يأتى الرجل بامرأته إلى الكاهن. ويأتى بقربانها معها.. عشر الايفة من طحين شعير لا يصب عليه زيتا ولا يجعل عليه لبانا، لأنه تقدمة غيرة.. تقدمة تذكار.. تذكر ذنبا»

«ويستحلف الكاهن المرأة»

«ويقول لها إن كان لم يضطجع معك رجل»

«وإن كنت لم تزيغى إلى نجاسة من تحت رجلك.. فكونى بريئة من ماء اللعنة هذا المر»

ولكن إن كنت قد زغت من تحت رجلك وتنجست»

«وجعل معك رجل غير رجلك مضجعة.. يجعلك الرب لعنة..

«فتقول المرأة.. آمين آمين..»[1].

* الموت للقائل .. يا يهودى ...

والذى يقول عنهم، ما أقول، يحل موته.. ويُقْتل، وأول تنفيذ لهذا الحكم فى مواطن مصرى أمه يهودية. قاده طول لسانه عندما انفعل انفعالة آتية له من أبيه.. وسب ليهودى أبا وأما.. اليهود ولعنهم، فحكموا عليه بالموت رجما «أيام موسى»

يالها من حكمة إلهية أن يسحب هؤلاء من أماكن اندساسهم بين

(١) الاصحاح الخامس - عدد

شعبنا . وان يؤمروا بالخروج.

الخروج.. للغربة الابدية

* "مصر" في نظر اليهود ...

وكانوا فى خروجهم فى حيرة من أمر موسى.. ويتساءلون هل أصاب هذا الرجل شئ.!!

البطيخ ..؟

والقثاء ..؟

والسمك ..؟

والكراث ..؟

والبصل ..؟

واللحم ..؟

والثوم..؟

... ومجانا ... ؟

ما أن خرجوا وهم ما يزالون فى الأرض المصرية.. حتى بكى البكاءون هذه المرة بكاء حقيقيا.

«بكوا وقالوا من يطعمنا لحما»

«قد تذكرنا السمك الذى كنا نأكله فى مصر مجانا والقثاء والبطيخ والكراث والبصل والثوم»

«والآن. قد يبست نفوسنا »[١]

آه يا موسى

بنفسى أنت يا كليم الله.

«فقال موسى للرب»

«لماذا أسأت إلى عبدك»

«ولماذا لم أجد نعمة فى عينيك حتى أنك قد وضعت ثقل جميع هذا الشعب على»

« ألعلى حبلت بجميع هذا الشعب أو لعلى ولدته. حتى تقول لى إحمله فى حضنك[٢]

واليهود من بكائكم يواصلون

«ليس شئ غير أن أعيننا إلى هذا المن»

«وأما المن فكان كبزر الكزبرة ومنظره كمنظر المقل».

«كان الشعب يطوفون ليلتقطوه ثم يطحنونه بالرحى أو يدقونه فى الهاون ويطبخونه فى القدور»[٣].

وموسى الكليم يناجي ربه :

---

(١) الاصحاح الحادى عشر - تكوين

(٢) الاصحاح الحادى عشر تكوين

(٣) الاصحاح الحادى عشر تكوين

* الشعب الثقيل ...

«من أين لى لحم حتى أعطى جميع هذا الشعب
لا أقدر أنا وحدى أن احمل جميع هذا الشعب
لأنه ثقيل على»(١).

ومشى المغتربون إلى الأبد.. يبكون، ينامون بالخيام.. وإذا سكتوا أياما للراحة ففى «مظال»

«لكى تعلم أجيالكم أنى فى مظال اسكنت بنى اسرائيل لما أخرجتم من مصر»(٢)

«وإذا نزل عندك غريب فى أرضكم فلا تظلموه، كالوطنى منكم يكون لكم الغريب النازل عندكم، وتحبه كنفسك.. لأنكم كنتم غرباء فى أرض مصر»(٣).

وحنينهم إلى البطيخ.. وإلى القثاء وإلى الحياة المجان.. يتناوح فى نفوسهم غير عابئين بالحد الاجتماعى الذى حدده المصريون لهم بعد خبرتهم بهم، والذنب فى ذلك ذنب اليهود انفسهم.. بعد أن ارتبطوا بخصائصهم المسدودة المسام والتى لا تتنفس الارتقاء الحضارى.

«أنا الرب إلهكم»

---

(١) الاصحاح الحادى عشر تكوين
(٢) الاصحاح الثالث والعشرين - لاويين
(٣) الاصحاح التاسع عشر - لاويين

«الذى أخرجكم من مصر»
«من كونكم لهم عبيد»
«وقطع قيود نيركم»[1].

ومشى المغتربون، اغترابا ابديا لا رجعة فيه بعد الخروج ولا قفة أبدية اطلاقا.. وكل ما نشروه على العالمين من نبوءات مردودة إلى آيات عندهم. فهى من مزاعمهم، يضحكون بها على كل من لا عقل له ولا يفكر فالله يقول لهم :

«لأن الأرض لى.. وانتم غرباء.. ونزلاء عندى»[2].

ومشى المغَّربون ابدا وراء موسى وهارون. يضربون فى الارض استراحوا بعد الجبل.. وقبل ان يتركوا الوادى العزيز نزلوا بوادى فيران ومشوا ثم تخبطوا فى نهاية برية مصر ثم مرة أخرى يضربون فى الارض وقبل مشارف فلسطين وقفوا حينا[3].

* الصورة المقلوبة :

ودعنا نقف معهم لحظة لنرى أعجب صورة فى التاريخ كله الشعب الفلسطينى فى أرضه. يحكم بلاده. فى القصور. والبيوت

(١) الاصحاح السادس والعشرون - لاويين
(٢) الاصحاح الخامس والعشرون - لاويين
(٣) كانت «المجدل» مصرية.. طوال العصور القديمة.. وهى نهاية الحدود المصرية على تخوم فلسطين.. وسيثبت لك ذلك من المراجع العبرانية ذاتها...

فى المدن والقرى.

إن كان هناك ثمة دودة تمشى بين الشعب الفلسطينى فإن الدودة لا تستطيع أن تقول انا صاحب الحقل الا إذا كانت دودة اسرائيلية. يهودية، ومع ذلك فالرد عليها متأهب أنها دودة مغتربة. جوالة.

الشعب الفلسطينى فى بلاده..

واليهود.. فى الخيام. غربا ءحيارى يبحثون عن استقرار.

نفس الصورة مقلوبة اليوم، الحق فيها مقلوب، والباطل هو السيد. فالفلسطينيون أصحاب الارض. أخذ اليهود بلادهم وتركوا لهم الخيام.

فى الغربة بعد أن افترس اليهود منهم. الوطن بالبكاء. والدموع. وإعلاء شعارات السلام.

ما أبلغ التعبير الالهى عن الشخصية اليهودية «إنه فريسة متوحشة».

* الفريسة المتوحشة ...

وكيف تكون الفريسة الضعيفة بخصائصها وعناصر تكوينها. كيف تكون متوحشة.

بالحقد.. ونبذ الفضائل البشرية وشريعة نفى الحضارة الانسانية.

وانزل طردا إلى هاوية البخل بالمال فإنك لا تجد من يعبد المال

الا اليهود.

إذا افتقر يهودى إلى لقمة العيش فإن اخاه ابن امه وابيه لا يعطيها له.

وإذا أعطاها له. فإنه يحولها أولا إلى قيمتها. إلى المال. ولابد من حصوله على شئ بهذا الثمن.

وأما الثمن.. فهو أخوه الفقير نفسه (يشتريه) بلقمة العيش ويستعمله فى عمل بالثمن.. بلقمة العيش.. ليحصل على (المدفوع) والربح بالربى..

«واذا افتقر اخوك عندك و(بيع) لك».

«فلا تستعبده استعباد عبد»

«كأجير نزيل يكون عندك»

«إلى سنة اليوبيل (يخدم) عندك»[١].

ومنطق استغلال الانسان لأخيه الانسان منذ أقدم العصور لم يصل إليه إلا الجنس العبرانى الذى يبنى أى علاقة من علاقاته بالناس على نظرية أن المال هو السيد فى تنظيم العلاقات ولا شئ هناك اسمه فضائل بشرية ولا عادات عامة ولا تقاليد اجتماعية.

لا شئ اسمه «عام» وإنما تنظيم العلاقات على أساس من الفردية

لم يصل الانسان فى استغلاله للانسان إلى حد ان (يشتريه) لمدة من الزمن نظير خدمات يؤديها الذى احتاج لأن يبيع نفسه.

---

(١) الاصحاح الخامس والعشرون - لاويين

«و. اذا بيع لك أخوك العبراني أو أختك العبرانية (وخدمك) (ست سنين) ففى السنة (السابعة) تطلقه حرا من عندك»[1].

ووقفوا عند مشارف فلسطين، وهم فى حنين شديد للبطيخ والقثاء ومعايشة المصريين الطيبين وكانت أيام باكورات العنب وكانوا فى خيامهم يزيدون على نصف المليون بمائة الف بإحصاء موسى الكليم. وهذا عدد الفتيان منهم. فضلا عما يزيد على الاثنين وعشرين الفا من الأطفال[2].

كان أكثرهم عددا بيت يهوذا بحساب موسى الكليم؛ خمسة واربعون الفا وستمائة وخمسون... أما اسرائيل فكانت فقط الفا وخمسمائة وستا وأربعين[3].

فإذا أضفت إلى وضوح الملامح والخصائص العبرانية فى يهوذا كثرة العدد واستمرار الرئاسة حتى فى زمن رئاسة اسرائيل، كنت مع المغلبين فى التسمية المعبرة.. يهوذا أو اليهوذيين أو شعبيا بالتعبير عنهم باسمهم المترجم لمعناهم وحقيقتهم «اليهود».

المهم.. دعنا من الوقفة.. ولنمشى مع المغتربين أبديا. وهم يتجسسون فلسطين ويختبرون المسالك إليها.. الشعب الساكن فيها أقوى هو أم ضعيف ؟ أكثير هو أم قليل ؟

«وكيف هى الأرض التى هو ساكن فيها.. أجيدة أم رديئة»

(١) الاصحاح - الخامس عشر - تثنية
(٢) الاصحاح الاول - عدد
(٣) الاصحاح الاول - عدد

«وما هى المدن التى هو ساكن فيها. أمحميات. أم حصون..؟»

«وكيف هى الأرض أسمينة أو هزيلة».

«فيها شجر أو لا ؟»[1].

والذى ينبغى هنا عدم تأمل الصورة المقلوبة طويلا فذلك أمر قد أصبح واضحا.

كان اليهود مكان اللاجئين العرب من قبل. وكان اللاجئون العرب فى مكان اسرائيل اليوم فى مدنهم وقصورهم.. وبيوتهم.. منذ آلاف السنين. إلى أن تحول اليهود إلى «الصهيونية».. إلى العدوان الإيجابى المباشر.

* المكافأة .. لقاتل الحق ...

ولقد عرفنا من قبل أن صهيون قديمة ..

فاذا ثبت ذلك فتكون لفظة الصهيونية.. التى انتشرت حديثا هى شعار للأخذ بمبدأ الصهيونية القديم.. العدوان الايجابى القديم...

قال أهل «يبوس» لا تدخل هنا وثابت ذلك بالنص وحرفيا من أيام داود فهو قد اقتطع من يبوس (أى أورشليم بعد ذلك) مكانا بالقوة وسماها مدينة داود أو حصن صهيون:

«وذهب داود إلى اورشليم أى «يبوس». وهناك «اليبوسيون»

(١) الاصحاح الثالث عشر - عدد

سكان. وقال سكان «يبوس» لداود لا تدخل إلى هنا فاخذ داود حصن «صهيون». هى مدينة داود. وقال داود ان الذى يضرب اليبوسيين أولا يكون رأسا وقائدا»[1].

* يلعبون أمام الله ...

وتم الاستيلاء على «يبوس» وصار اسمها «اورشليم». وبدأ داود النبى يجمع كل اليهود ليدخلوا أورشليم «يبوس»..

«وجمع داود كل اسرائيل من شيحور ومصر إلى مدخل حماة وكل اسرائيل يلعبون أمام الله بكل عز وبأغانى وعيدان ورباب ودفوف وصنوج وأبواق !!»[1].

«وبعد ذلك ضرب داود الفلسطينيين وذلهم»[2].

***

* سيناء لم (تهود) أبدا ...

وللصهيونية (العدوان الايجابى) طريقان. إما القوة وإما المال. فقد أخذوا البلاد بالقوة .. اما الضيعات والبيادر ..؟

---

(١) الاصحاح الحادى عشر - اخبار الايام الاول -
(٢) الاصحاح الثامن عشر - الايام الاول

لم يكتف ملك اسرائيل، داود بأخذ «يبوس» وجعلها اورشليم ومدينة داود «صهيون» ولا بالبلاد الأخرى. وأنما كان ينزل ليرى أهل فلسطين الذين انكمشوا فى ضيعاتهم. ويواجه الرجل منهم يستولى على ضيعته بالقوة.

«وجاء داود إلى ارنان الفلسطينى وتطلع ارنان فرأى داود وخرج من البيدر وسجد لداود على وجهه إلى الأرض. فقال داود لأرنان. اعطنى مكان البيدر فأبنى فيه مذبحا»(١).

«بفضة كاملة اعطنى اياه»..

وقد اتبع نفس الأسلوب أخيرا.. بشراء الأراضى..

ولما أراد داود أن يحدد خريطة البلاد المغتصبة.

بدأ من بئر سبع ولم يدع أن سيناء من بين هذه البلاد المُفْتَرسة بالعدوان الايجابى الصهيونى.

فقال داود لبوآب ولرؤساء الشعب إذهبوا عدو اسرائيل من بئر سبع إلى دان.

***

* زرع البشر ...

ينبغى عدم تأمل الصورة، حتى لا تضيع حقيقة مذهلة هى أن اليهود لم يكونوا يعرفون عن فلسطين أى شئ بالمرة، اذ أن موسى الكليم طلب من طلائعه أن يأتوه بأخبار الأرض السكنية والأرض

---

(١) الأصحاح الحادى والعشرون - أخبار الايام الاول

الزراعية المكشوفة. والمدن المُحَصَّنة. وهل فلسطين فيها شجر.. أم لا ؟

المثل يقول: إذا لم تستح فاصنع ما شئت.. إكذب.. وادخل بيتا تركه أهله فى أجازة. وأوصد الباب. فاذا جاء أصحاب البيت وطرقوا الباب. فاسأل من الطارق؟. وادع أنك صاحب البيت. وأنت هنا. بهذا الأسلوب اليهودى تمثل ما حدث منهم فى فلسطين.

ومن تدابير الصهيونية. أن اليهودية فى مرحلة العدوان المباشر. أنها أملت على كل يهودية تأتى بزرع، ان تتخذ له اسما من اسماء لم يكن يعرفها اليهود قبل العصر الحديث إطلاقا. منها على سبيل المثال «اشكول».

فأشكول بالعبرانية معناها عنقود العنب[1].

ولماذا أمرت الصهيونية بذلك. لسبب خبيث لا يمر إلا بخاطر يهودى بالفعل، ذلك أن طلائع موسى، أول ما صادفت بفلسطين، صادفت واديا مليئا بكروم العنب وقطفوا عنقودا ليأتوا به إلى موسى الكليم عند عودتهم.. لا ليأكله.. وإنما كأمارة فإنهم كذابون.

وإليك النص:

«وأتوا إلى وادى (أشكول) وقطفوا من هناك زرجونه بعنقود واحد من العنب وحملوه بالرفرافة بين اثنين مع شئ من الرمان

---

(١) أما «موشى» بالشين المُثَلثَة المكسورة.. فهو اسم من الموشيين.. والموشيون فى اليهود من طبقة الخدم اللاويين!

والتين. فدعى ذلك الموضع (وادى اشكول) بسبب العنقود الذى قطعه بنو اسرائيل من هناك».

فإذا لم تقف على هذه الخباثة لظننت ان فلسطين يهودية من قديم.. بدليل اسماء وديانها.. أليس اسم الوادى وادى اشكول..؟!!

* فلسطين الشعب العظيم:

وعاد الطلائع لموسى بعد أربعين يوما قائلين.

«إن الشعب الساكن فى الأرض.. معتز».

«والمدن .. حصينة .. «عظيمة جدا».

«العمالقة ساكنون فى أرض الجنوب».

«والحيثيون والأموريون ساكنون فى الجبل».

«والكنعانيون ساكنون عند البحر وعلى جانب الاردن»[1]

ودار حوار طويل بين موسى وبين اليهود.. نصعد..؟ ويردون لا نصعد.

«لأنهم أشد منا»

«وجميع الشعب الذى رأينا فيها، أناس طول القامة».

«وقد رأينا هناك الجبابرة بنى عناق من الجبابرة».

«فكنا فى (اعيننا) كالجراد».

(١) الاصحاح الثالث عشر - عدد

وهكذا كنا فى اعينهم[1].

ويقولون :

«ليتنا متنا فى أرض مصر»

أو ليتنا متنا فى هذا القفر..

«ولماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض لنسقط بالسيف»

ثم .. ؟

ثم السؤال الشجى الذى يقطر حنينا

«أليس خيرا لنا أن نرجع إلى مصر»

والنتيجة اليهودية يا أيها النبى عليك السلام.. ويا أيتها الدنيا..

* المؤامرة ...

« فقال بعضهم لبعض »

« نقيم رئيسا » !..

« ونرجع إلى.. مصر.. ! [2]

وصفح موسى عن « الجماعة الشريرة المتذمرة على الله »

ولكن « الجماعة الشريرة المتذمرة على الله » بعد فشلها فى

---

(١) الاصحاح الثالث عشر - عدد

(٢) الاصحاح الرابع عشر - عدد

مؤامرة خلع موسى وإقامة رئيس عليهم غيره.. ليخرجهم من (الخروج) ويعودوا إلى كنانة الله ثانيا. هذه الجماعة. المليئة بالحنين إلى مصر وكرمها.

اليهود... فكرت تفكيرا مرحليا.. اختاروا من بينهم مجموعة وقالوا عنهم.. انهم فى «القدسية» مثل موسى وهارون.. فإذا انطلت اللعبة على موسى.. أمكن أن يأخذوا الأمر بتنفيذ ما يشاءون من المقدسين.

«فاجتمعوا على موسى وهارون وقالوا لهما»

«كفاكما»

«إن كل الجماعة بأسرها مقدسة وفى وسطها الرب»

«فما بالكما ترتفعان على (جماعة الرب)»

«فاغتاظ موسى... جدا»[1].

وعادوا يصرخون مرة أخرى.. صرخة الحنين.. إلى مصر وهم فى تيهم ما يزالون

«وخاصم الشعب موسى وكلموه قائلين»..

«لماذا أتيتما بجماعة الرب إلى هذه البرية لكى نموت فيها نحن ومواشينا»

«ولماذا أصعدتمانا من مصر لتأتيا بنا إلى هذا المكان الردئ ليس هو مكان زرع وتين وكرم ورمان ولا فيه ماء للشرب»[2].

---

(١) الاصحاح السادس عشر - عدد.

(٢) الاصحاح العشرون - عدد

ترُى ما الحكمة فى أن يبقى موسى والجماعة الشريرة المتذمِّرة على الله .. فى التيه.. أربعين عاما

* طريق النهب ...

ألبس ذلك الزمن الطويل، أشبه ما يكون فى واجهة التاريخ لافتة واضحة البيان من أنه لم يكن بينهم وبين «فلسطين» أى علاقة بالمرة.

اسرائيل تقول لملك الاموريين: «دعنى أمر فى أرضك فلم يسمح. وحارب اسرائيل»[1]

وفى «مدين» ومنها حمو «موسى» وأصهاره، قال بولاق بن الملك لشيوخ مدين «الآن ليلحس الجمهور كل ما حولنا كما يلحس الثور خضرة الحقل»

وفى شطين عبدوا بعل فغور.. بالزنى.. دون أن يعلم موسى[2]

***

وبعد أيام موسى استمر النهب ...

«وأحصى النهب المسبى من الناس والبهائم»[3]

وأعطى الذين باشروا القتال «نصف النهب»

وفى «جلعاد» أخذوها وطردوا (الاموريين منها)[4]

---

(١) الاصحاح الحادى والعشرون - عدد

(٢) الاصحاح الخامس والعشرون - عدد

(٣و ٤) الاصحاح الثانى والثلاثون - عدد

وفى «باشان» حاربوا ملكها وقاتلوه حتى لم يبق له شارد ستون مدينة «كانت مدنا محصنة بأسوار شامخة وأبواب ومزاليج» عدا قرى الصحراء الكثيرة جدا

***

وقال موسى

«دعنى أعبر وأرى الأرض الجيدة التى فى عبر الاردن هذا الجبل الجيد ولبنان[1]

وقال الربَ لا تكلمنى فى هذا الامر»

***

* موسى ينتفض شعرا

وفاضت روح موسي الطاهرة ولم تطأ قدمه الأرض التى يدعى اليهود أنها ملكهم وأنها عبرانية أصلا.

وترك موسى شيعته فى حشبون وجاشان، وبكوا عليه ثلاثين يوما سموها «مناحة موسى» واليهود بكاءون. البكاء عندهم عادة بلغت اللذة. فهم يبكون طبقا لأحكامهم فى حالات السبى وفى حالات الفرح، وفى حالات الزواج. وأيضا يبكون فى مكان البكاء

---

(١) الاصحاح الثالث - تثنية

الحقيقى.. لا مع انفعال الحزن، وإنما كما يضحك الأبله..
مات موسى، واليهود فى الغربة الابدية.. لم يستقروا فى مكان.
لا يزالون فى الخيام وتحت المظال وليسوا فى فلسطين.
ولا أحسب إنسانا فى القديم والحديث، وصف اليهود كما وصفهم النبى الكليم موسى عليه السلام فعندما دانت منيته جمع العبرانيين جميعا وودعهم بنشيد يفيض شعرا وينبض حزنا وحسرات - فقد وصفهم بالعوج - والالتواء - والغباء - وانتفاء الحكمة - والبعد عن الامانة - وأنهم أمة عديمة الرأى ولا بصيرة فيهم - ثم ...
... (وأن هلاكهم قريب)
يبدأ موسى الاجتماع فى الوداع الأخير واسرائيل كلها الذين عصوه فى حياته، وتمردوا عليه، وحاولوا خلعه، وعاش معهم مجموعة من العيال يحلمون بالبطيخ والبصل والقثاء..*وعاش المائة والعشرين عاما التى كتبها الله له فى عذاب مع أناس فُطروا بالسليقة على عدم الايمان بالله وبالفضائل البشرية.
يقول لهم موسى فى ندم وحسرة لعلمه بمن هم هؤلاء القوم..
«انصتى أيتها السموات»
«ولتسمع الأرض أقوال فمى»
«يهطل كالمطر تعليمى»
«وكالندى كلامى»
«كالطل على الكلأ .. وكالوابل على العشب»

«الرب تكافئون»

«يا شعبا غبيا»

«جيل اعوج ملتو»

«الرب تكافئون يا شعبا غبيا غير حكيم»

«أغاروه بالأجانب واغاظوه بالأرجاس»

«فرأى الرب... وقال احجب وجهى عنهم وانظر ماذا تكون آخرتهم»

«إنهم جيل متقلب»

«أولاد ... لا أمانة فيهم».

«قلت أبددهم إلى الزوايا، وأبطل من الناس ذكرهم»..!

«انهم أمة عديمة الرأى»

«ولا بصيرة فيهم»

«لأن من جفنة (سدوم) جفنتهم ومن كروم (عمورة) عنبهم»

«عنب سم ولهم عناقيد مرارة»

«إن يوم هلاكهم قريب والمهيآت لهم مسرعة»[1]

***

(١) الاصحاح الثانى والثلاثون تثنية

وبعد موسى.. يتوالى الملوك ويتكاثر الانبياء.. ملوك لا تعد ولا تحصى (أنبياء بلغ عددهم فى حساب بنى اسرائيل ويهوذا اربعمائة نبى فى وقت واحد أشهرهم ميخا بن يعلمه. كان ذلك فى عهد يهوشافاط ملك يهوذا، وآخاب ملك اسرائيل اللذين كانا يجلسان على كرسيى ملكين للعبرانيين فى زمن واحد لأن اليهود صاروا قسمين متعاديينْ. يهوذا، واسرائيل[٢]

(٢) الاصحاح الثانى عشر - أخبار الأيام الاول

الفصل الخامس

الصهيونية

العدوان الإيجابى المباشر

٣٩٠ عاما تمهيدا لسرقة فلسطين. و٤٠ عاما لقيام دولتهم الصهيونية غيلة.وبعد ذلك ٣٠٠٠ سنة تشريد

***

"اسمعونى يا اخوتى وشعبى..."
"كان فى قلبى أن أبنى بيت قرار لتابوت عهد الرب"
"ولكن الله قال لى لا تبنى بيتا لاسمى.."
"لأنك رجل حروب"
"وقد سفكت دما..."
"وقد اختارنى الرب اله اسرائيل من كل بيت أبى...
لأكون ملكا على اسرائيل... إلى الأبد..."

داود الملك

المعنى الذى نفهمه عن «الحياد الايجابى» اليوم

والمعنى الذى تتضمنه عبارة «العالم الثالث» الذى تتزعمه يوغوسلافيا والهند ومصر والبلاد غير المنحازة. التى تحب السلام وتعمل له أعمالا إيجابية..

عكسه تماما معنى «العدوان الايجابى»..

وحتى بلاد الاستعمار لم ترفع شعار العدوان الايجابى. فهى تتخذ عادة ودائما قبل العدوان، عمليات سياسية ماكرة وتمارس استفزازات ديبلوماسية خبيثة، رُسِمَت بدقة لتنتهى إلى «تبرير» ظاهرى. أمام الرأى العام العالمى لقيام حركات عدوانية مسلحة.

ولكن الصهيونية ويحسبها الناس أنها حركة تجميع لليهود حديثة نشأت فى نهاية القرن التاسع عشر فى قول - وفى مطالع القرن العشرين فى قول آخر، ونشأت على يد هرتزل وحكماء صهيون.. وهذه طبعا معلومات تحمل طابعا خبريا اجتهاديا دسّه كتاب غربيون ذوو مصلحة فى هذا الدس.. ونُقل إلى مكتبتنا العربية ببراءة وبدوافع وطنية. ولاشك. ولكن حقيقة الصهيونية كما يعرفها اليهود أنفسهم، مسألة غير هذه فالصهيونية حركة قديمة. قامت لنفس الغرض الذى استمر وظهر بوضوح فى عمليات العدوان

الإيجابى، مرة عام ١٩٥٦ وانتهى بالفشل ومرة فى ٥ يونيه ١٩٦٧، وأوقفت.

والعدوان الإيجابى المباشر هو تحقيق اليهود أغراضهم بأنفسهم ومعهم من يلف لفهم، بالقوة. قوة السلاح وقوة الذهب ونفوذه..

وغرض الصهيونية القديم، هو إقامة دولة يهودية بالقوة، بالعدوان المباشر فى أى مكان من أرض كنعان رغم أنف أصحابها وشعبها..

وغرض الصهيونية الجديد، هو نفس الغرض، إقامة دولة يهودية بالقوة بالعدوان المباشر رغم أنف أصحابها وشعبها..

وقد أحكمت الصهيونية، فى الزمن القديم. تنسيق وتوجيه هذا الغرض، والذى ابتدأ بالاستيلاء قوة وجبرا على مكان من « يبوس » وبنوا بها داراً سموها دار «صهيون» ثم استولوا بعد ذلك على « يبوس » كلها وأسماها أورشليم الملك داود ..

وداود الملك. لم يضع « تابوت العهد » بدار صهيون. وانما اتخذ له مذبحا فى مكان آخر.. ليفصل بين الغرض الدينى للعبرانيين. حيث مكانه المذبح، وبين الغرض الصهيونى. الذى هو سلسال أعمال العدوان الايجابى على مصر وفلسطين وسوريا والعراق..

ولكى نمشى فى رحلة زمانية مع الحركة الصهيونية، قبل إيقافها المؤقت. وظهورها فى العصور الأخيرة التى تعانى منها المنطقة مرة أخرى .. سأضع على يمين هذا التاريخ، هامشا به أسماء ملوك ورؤساء اليهود المتسلسلين من.. يهوذا. من أول سيدنا يعقوب

حتى يوسف النجار.. (رجل مريم التى ولد منها يسوع الذى يدعى المسيح)[1]

وستقف من هذا البيان بالهامش على أكثر من حقيقة كبيرة ذات دلالة على الكثير من الحقائق والمعانى.

* الحكمة الإلهية:

من ذلك. أنك ستقف على الحكمة الالهية من أن يجئ المسيح عليه السلام. بلا وساطة أب، أم زواج أو لرجل عبرانى وذلك ليطهره الله سبحانه من الدم الصهيونى المتسلسل أبا عن جد، وجدا لأب، وكان مولده على هذه الصورة يجعل منه (بداية) كما يجعل منه (آية) إعجاز.

إلى ذلك ما سيملؤك يقينا من أن مصر هبت فى زمانها القديم. بيد أبطالها الخالدين، لردع العدوان الصهيونى على المنطقة بعد أن تحول البكاءون العبرانيون. بعد مناحة موسى. من جنس يعادى الفضائل البشرية إلى جنس متكتِّل منضوٍ فى حركات حربية صريحة. وعدوانية مباشرة. على الامم والبلاد فى المنطقة. لتكوين دولة خاصة بهم.

وسترى سلسال «يهوذا» العجب المنطقى مع ما بلغه اليهود من اعتناق لكل رذيلة وممارسة المواهب الفطرية فى تغذية المناعة ضد

(١) انجيل متى - الاصحاح الاول

الإيمان بالله ودينه وشريعته (والكلمات العشر التى تلخص الدين الموسوى)[1]

والتى وضعت بتابوت العهد.

أول أب ليهوذا. فى سلسالهم الطويل والذى برأ الله منه دم المسيح عليه السلام «فارص» فارص. فارص أخو رازح ابنى السيدة ثامار. يعقوب ولد له من الأحد عشر كوكبا السيد يهوذا ويليه مباشرة السيد «فارص». حفيد يهوذا الذى زرعه رأوبين أخو يهوذا من كنته الأرملة ثامار.. !! «الابن الحفيد»

أجيال يهوذ - اليهود

١ - يعقوب

٢ - فارص

٣ - حصرون

٤ - آرام

٥ - عمينا داب (وهو صهر هارون اخو موسى)

٦ - نحشون

عاش العبرانيون عشرة أجيال. من سيدنا يعقوب عليه السلام - الذى أصبح اسرائيل وهو يعبر الاردن - حتى يسى. أى قبل سيدنا داود عليه السلام. الذى قامت فى حياته اسرائيل.

فى هذه الاجيال العشرة كان العبرانيون كلهم بدواً يعيشون فى الخيام.. كل بيت منهم ينطوى فى قبيلة من القبائل، ولم يكن لهم

(١) الاصحاح العاشر - تثنية

٧ - سلمون
٨ - بوعز
٩ - عوبيد
١٠ - يسى
١١ - داود
(وأم صهره الأول وعدوه اللدود شاؤول كنعانية وليست عبرانية)
١٢ - سليمان
١٣ - رحبعام
(الذى خرج له سيتى أوشيشق كما تقول التوراة)
١٤ - ايا
١٥ - آسا
١٦ - يهوشافاط
١٧ - يورام
١٨ - عزيا

مطالب أو آمال فى الدنيا أكثر من الارتباط بالمناعة ضد الفضائل البشرية التى حصل عليها الانسان فى مصر، وكلدانيا، وبابل، وآشور، والصين وكوس (البيزنطية) وكانوا طول الرحلة بعيدا عن الدين، وبعيدا عن عوامل الارتقاء واستنباط العادات والتقاليد والثقافات الشعبية التى نسميها فى لفظة «الحضارة» أى نظام العلاقة بين الانسان والانسان أى تكوين مجتمع «إنسانى».

وكان العبرانيون رُحّلاً ينتشرون تلقائيا تبعا للمنفعة فى البرارى، وفى كلدانيا، وفى أشور وفى مصر وفى مدين، فى أى مكان من المنطقة وشعوب المنطقة حكام وسادة على أراضيهم ومدنهم وبلادهم، وكان الشعب المصرى وحده هو الذى يختلف فى الشكل عن بقية شعوب المنطقة، فالشعوب الأخرى مُقَسَّمة إلى مدن مستقلة يحكمها ملك أو أمير من نفس الشعب مدن محصنة - أو منطقة تجمع فيها بعض المدن والقرى حسبما تقضى به طبيعة الجبال والسهول.

١٩ - يوثام
٢٠ - أحاز
٢١ - حزقيا
٢٢ - منسى
٢٣ - آمون
٢٤ - يوشيا
٢٥ - يكينا: **(وفى أيامه ضربهم العراقيون وأخرجوهم من بلادهم)**
٢٦ - شالتئيل
٢٧ - زوربابل
٢٨ - أبيهود
٢٩ - ألياقيم
٣٠ - عازور
٣١ - صادوق
٣٢ - أخيم
٣٣ - أليود
٣٤ - اليعازر

إلا مصر. فإن الطبيعة سخت فى جعلها أمة واحدة من أول يوم. إذ ان النيل انشأ على ضفتيه شريطا مستطيلا أخضر. وأن هذا الوادى تحدد من كل نواحيه بالصحارى.. وفى الشمال بالبحر المالح.. مما جعل الوادى الواحد الذى يحكمه شعب واحد. وتتحكم فيه عادات وتقاليد واحدة ونظام حكم واحد جعل منها أمة كبيرة غير مفتتة إلى بلاد ومدن مستقلة. كثر العبرانيون فى مصر على مراحل إلى ان تبنت سيدنا يوسف واحتضنته، وجاء إلى الوادى ابوه يعقوب عليه السلام لزيارته. ومنذ هذا اليوم وقد تزايدوا كثرة وملأوا أرض جاسان (الشرقية) «وسكن اسرائيل فى أرض مصر فى ارض جاسان» «وكثروا جدا»[1].

«وعاش يعقوب فى أرض مصر سبع عشرة سنة» «فكانت أيام يعقوب سنو حياته مائة وسبعا واربعين سنة».

ولما قربت ايام اسرائيل أن يمت دعا ابنه يوسف وقال له إن كنت قد وجدت نعمة فى

(١) الاصحاح السابع الاربعون - تكوين.

٣٥ - متان	عينيك فضع يدك تحت فخذى واصنع معى
٣٦ - يعقوب	معروفا وأمانة».
٣٧ - يوسف النجار(١)	«لا تدفنى فى مصر»(١).

وبعد يعقوب (اسرائيل) بأجيال ثلاثة...

ولد النبى موسى عليه السلام. وبُعِثَ لليهود «بصورة رسمية» إذ أن الدين الذى أتى به من عند الله. دينا كتب على لوحى العهد. ثم وضع لوحا العهد فى صندوق ثمين وهو المسمى بالتابوت «تابوت العهد» وعلى اللوحين كتبت «الكلمات العشر التى كلم بها الرب فى الجبل من وسط النار فى يوم الاجتماع واعطانى الرب إياها»(٢) وإلى جانب الكلمات العشر الشريعة وأحكامها، ووصايا الرب لموسى.. كان موسى يناهز الثمانين من عمره، يوم أن ذهب واخوه

(١) نفس المصدر.
وقد يظنُّ الانسان حول عبارة «لا تدفَنى فى مصر» أن للعبرانيين وطنا يحبون الثواء فيه عند الموت، والحقيقة الطافية على سطح كل المصادر، العبرانية والمصرية، أن جنس اليهود، ظلوا جنسا مُكونًا من قبائل، تساكن الناس في أوطان الناس.. أمامهم، فلا وطن لهم.. إلا .. المقابر!!
وتأمل بُعد النظر.. دفنت (سارة أم اسحق) فى أرض كنعان، فى «مغارة مكفيلة» وإلى جوارها ثوى حفيدها يعقوب (اسرائيل) وزوجاته وأولاده من بعده.. اشتريت من صاحبها (الحثى) بأربعمائة شاقل فضة، وباعها الحثى (عطفا على الغرباء). ! وما كان أحد يعرف أن (الغرباء) سيدعون أن لهم حقا.. فى وطن الكرماء .. (راجع الاصحاح ٢٣ - تكوين)
(٢) الاصحاح العاشر - تثنية

هارون الذى يَكْبُره فى العمر بثلاث سنوات إلى فرعون يدعوه للإيمان بالله ولم يؤمن الفرعون..

* الحنين للبطيخ ...

ولم يعرف عن العبرانيين ما إذا كانوا آمنوا بالله وهم بمصر مع موسى أم أنهم شايعوه للعصبية العبرانية الجنسية.

إلا أن الذى لا جدال فيه. أنهم بدأوا بمجرد خروجهم من مصر ان يخرجوا على موسى وان يعصوه، وان يتآمروا عليه. وان يفكروا فى خلعه ليأتوا برئيس جديد عليهم غيره يضمن لهم البقاء فى مصر، إن الذى لا جدال فيه أنهم يعبدون البطيخ والقثاء والسمك واللحم مجانا فذلك أمر يتفق والهمة العبرانية المتوارثة.

وراحوا فى البرية يرددون ويكثرون من ترديد العودة لمصر..

«أنه كان لنا خيرا فى مصر»(١)

«ليتنا متنا فى أرض مصر»(٢)

«أليس خيرا أن نرجع إلى مصر»(٣)

«فقال بعضهم لبعض نقيم رئيسا ونرجع إلى مصر»(٤)

---

(١) الاصحاح الثانى عشر - تثنية

(٢) الاصحاح الثانى عشر تثنية

(٣، ٤) الاصحاح الثانى عشر - تثنية

* حور محب..

كان المصريون فى تلك الأيام، يعبدون الله عن غير طريق الدين.

وبأسلوب الاجتهاد البشرى الذى أوصلهم إليه المزاج المصرى المَحْض وهو الانفطار على التدين، وكانوا وصلوا إلى عادات وتقاليد وجد ثقافى ووجهات نظر فى الحياة بحيث صنعوا مجتمعا تسوده الحضارة. مؤسسين أول مدارس فى الدنيا للتعليم، ولتعليم الطب، والعلوم. والفن. بل لقد فتحوا المسالك لأرقى أساليب نظام الحكم. عندما أعلن حور محب أن الذى سيليه فى الحكم ليس واحداً من أبنائه أو أسرته. وإنما هو قد انتقى خيرة الشباب المصرى المؤهل لحمل الرسالة وتولاهم بنفسه بالرعاية وما أن مات حتى تولى «سيتى الاول» الملك. وتلمح فى ضباب التاريخ البعيدة فكرة قيام أول جمهورية فى الدنيا بالخطوة التى اتخذها المصرى العظيم حور محب. وتم له ذلك بعد أن وضع ما يسميه علماء الايجبتولوجى «الضمان» وهو مجموعة الأحكام التى تنظم علاقات الناس بعضهم بعضا. وهو ما نسميه اليوم «الدستور» ومن ذلك تلمح فى خلال التاريخ الفرعونى المُتَّهم بالجبروت تلمح وجه الديمقراطية والتقدم الإنسانى. وحضارة الدولة المبنية على الحضارة الشعبية.

أما وصف اليهود لمصر الفرعونية. وتبشيعهم لهذه الصورة. فإن ذلك يرجع لأسباب. منها ان المصريين. وقد خبروهم جيدا. لم يسمحوا لهم بأى عمل سوى ضرب الطوب اللبن، والخدمة، وما تحب

العادات اليهودية نفسها أن تقدمه من خدمات لممارسة المتعة ولمعرفة الأسرار عن هذا الطريق..

* السفارة اليهودية ...

فاليهود كثيراً ما غادروا منطقة تحرم عليهم ويتركون بناتهم لممارسة العادات اليهودية، ثم للوقوف على أسرار من المنحرفين، عن المناطق التى غادروها[1] كما حدث لسبط (موآب) فى فلسطين مع (الأموريين): وموآب الراجعة إلى لوط أى إلى «سدوم» و«عمورة» فى النسب.

«أكلت عار»[2].

«أهل مرتفعات ارنون».

«ويل لك يا موآب».

«هلكت يا أمة كموش»

«قد صير بنيه هاربين»

«وبناته فى السبى لملك الأموريين».

«لأنى لبنى لوط قد أعطيت عار ميراتا».

واليقين الثابت أن اليهود كانوا ضد الايمان وضد فكرة الاستقلال بوطن لأن فائدتهم فى هذا الانتشار القبلى هنا وهناك. يرسفون فيمايراه غيرهم عبودية. ويرونه هم «راحة وارتقاء» لبعدهم عن هموم

(١و٢) الاصحاح الحادى والعشرون - عدد

المسئولية. وقلة العقل فى صرف المال للبناء.. بناء مساكن بدلا من الخيام. وبناء مدن بدلا من البرارى. وشرائع قد تحبب فى الزهد فى المال وفى الانطلاق.. وليس أبلغ فى هذا المعنى من النص نفسه قول الله ليهوذا:

★ أمة الخنا ...

«احفظى رجلك من الخنا».

«وحلقك من الظما»

«فقلت باطل.. لا».

«لأنى ...»

«لأنى قد أحببت الغرباء ... ووراءهم أذهب».

«لذلك علمت الشريرات أيضا طرقك».

«أيضا فى أذيالك وجد دم نفوس المساكين الأذكياء».

«من مصر ايضا تخزين».

«كما خزيت من أشور».

«أما أنت فقد زنيت بأصحاب كثيرين»

«إرفعى عينيك إلى الهضاب».

«وانظرى أين لم تضاجعى».

«فى الطرقات جلست لهم، كأعرابى فى البرية. ونجست الأرض

بزناك وبشرك»[1].

الصفات العبرانية هى هى قبل يعقوب وبعد يعقوب

والصفات العبرانية هى هى قبل موسى، وأثناء حياة موسى، وبعد موسى.

والصفات العبرانية.. تقف لتتغير.. فى جيلهم الاسرائيلى الحادى عشر.. عند داود ملك اسرائيل.

* اخناتون ...

وبحساب السنين ترى أن الوقت الذى سبق داود فى الوجود بسنوات قصار كان «امنحوتب الرابع» اخناتون.. قد تم له وضوح الرؤية الدينية. فوحّد آلهة المصريين. فنادى بإله واحد، وكانت ثورة تتمشى مع المنطق المصرى فى اعتناق التقدم الانسانى، ذلك لأن هذه الخطوة رفعت من حقوق الشعب درجات ودرجات. وبثت فى النسيج الاجتماعى للأمة المصرية عنصرا جديدا فى تقوية تثبيت الوحدة الشعبية كان اليهود أصحاب الدين رسميا، غارقين فى الارتماء فوق كل تل عال بأى من بلاد المنطقة، وتحت كل شجرة خضراء فى مصر، ويزيد حبهم للتفكك والفردية وعبادة المال، ومناعتهم الفطرية ضد الاجتماع والتقدم الانسانى، مما يدعم فى تكثيف النسيج اليهودى.

(١) الاصحاح الثانى والثالث - ارميا

وصلت مصر للإيمان بالله. وبالتأمل والتفكير والعيش فى مناخ حضارى يدفع إلى البحث عن مرتقيات أعلى.

مصر المؤمنة بالله اجتهادا، تتأمل ما يجرى بالمنطقة على يد المدعين أنهم المختارين من الله للإيمان به.

*الفن الشعبى ...

... ان أشياء جديدة تتخلل بين الصفات العبرانية المتوارثة.. الكثير من عوامل الدفع للتشبه بالمصريين تدخل بين اليهود. بدءوا يعرفون الغناء.. والموسيقى.. والرباب. والعزف على العود..

... بدأ العبرانيون يتدربون على حمل السلاح والانضواء فى حرب الاستيلاء على مواقع، مع الحذر الشديد من الأمة المهيبة، مصر.

مؤامرة تدبر هنا أو هناك من قوم ضربوا حول أنفسهم سياج الكتمان.

إن الأعمال العسكرية المصرية. قبل ذلك التاريخ، والتى قام بها تحتمس لرد عدوان، ولتوحيد المنطقة تقضى على الأطماع فى مصر..

وكذلك الأعمال الرائعة التى قام بها حور محب ليخمد خيانة داخلية من المرأة نفرتيتى التى وضعت زوج مرضعة ابنتها أرملة

توت عنخ آمون - واسمه آی.. ملكا فرعونا .. وكان صديقا لحور محب. وهما ضابطان من الشعب فی حامية اهناس،ويعلم بذات نفس حور محب الذی كان يشكو إليه تصرفات نفرتيتی[1]. ولكن الذی يجری فی المنطقة علی يد داود.. شئ يختلف مع طبيعة مصر.. وطبيعة أهل المنطقة إلا فی القليل النادر عند دوافع أمجاد شخصية لملك أو امبراطور هنا أو هناك.

* الوعد المنسوخ ...

إنها عمليات تحكيم للعدوان المباشر وبصورة توحی بخطة. أما الخطة فواضحة.. إن الأرض التی وعد بها إبراهيم واسحق ويعقوب (اسرائيل) والتی نسخ الوعد بها أكثر من ألف مرة. لعصيان اسرائيل ويهوذا وتمردهم بألف دليل قبل داود وبعد داود مما انتهی القطع معه بأن القرار النهائی أن يظلوا فی غربة أبدية إلی يوم يبعثون، هذه الأرض لابد من خَطْفها ...

* المطلوب ملك.. لانبی ...

ورأی داود ملك اسرائيل أن يحقق ذلك بطريقة جديدة.. فأنشأ دار صهيون عقب استيلائه عسكريا علی جزء من يبوس «أورشليم»

(١) هذا العريس وجيشه هزمهم حور محب لأنه «خيتا»..

بعد أن كان قرار اليهود الشائع أنهم بحاجة إلى «ملك» وليسوا بحاجة إلى «دين».

كان اليهود، قبل داود. أسباطا أسباطا، وشيعا شيعا، وبيوتا وعائلات برغم قيام ملك واحد، أو ملكين. واحد لاسرائيل. والثانى ليهوذا. ولكنهم فى عصيان للإيمان.

وقبل داود استدعى صموئيل النبى العبرانى - الشعب. وقال لهم[1] «هكذا يقول الرب إله إسرائيل. انى أصعدت اسرائيل من مصر وأنقذتكم من يد المصريين ومن يد جميع الممالك التى ضايقتكم.. وانتم قد رفضتم اليوم الرب الهكم الذى هو مخلصكم من جميع الذين يسيئون اليكم ويضايقونكم وقلتم له بل نجعل علينا ملكا».

«فالآن امتثلوا أمام الرب حسب أسباطكم وألوفكم».

ويحاسبهم صموئيل النبى قبل داود، وكان الذى نصب نفسه ملكا عليهم فى ذلك الوقت، شاول، الذى صاهر داود بعد ذلك، لقتله وليتخلص منه بعد أن لمح أنه الذى سيهز الكرسى من تحته، قال صموئيل ما يؤكد استمرار عصيانهم لله منذ أيام يعقوب..

«فالآن امثلوا لأحكامكم أمام الرب».

«لما جاء يعقوب إلى مصر. وصرخ أباؤكم إلى الرب أرسل الرب موسى وهارون فأخرجا آباءكم من مصر»

«فلما نسوا الرب إلههم باعهم لسيد «سيسرا» رئيس جيش حاصور وليد الفلسطينيين»

(١) الاصحاح العاشر - صموئيل الاول

فصرخوا إلى الرب وقالوا أخطأنا لأننا تركنا الرب وعبدنا[١] البعليم والعشتاروت، فالآن أنقذنا من يد أعدائنا.. فنعبدك»

ويتعدد قول صموئيل بنفس المعانى إلى أن يركز على طلبهم وجود ملك عليهم.

«ولما رأيتم ناحاش ملك بنى عمون آتيا عليكم قلتم لا بل يملك علينا ملك»

«فالآن ها هو ذا الملك الذى اخترتموه الذى طلبتموه»

وكان الفلسطينيون، أصحاب البلاد يجتمعون لاسترداد ما اغتصب وقال شاول لصموئيل النبى:

«رأيت أن الشعب قد تفرق عنى»

«والفلسطينيون مجتمعون فى مخماس»

وقال صموئيل لشاول:

«وأما الآن فمملكتك لا تقوم»

«قد انتخب الرب لنفسه رجلا حسب قلبه وأمره الرب أن يترأس على شعبه»[٢]

وهذا الرجل هو سيدنا داود صاحب المزامير والعود.

لم يكن قبل داود ايضا، فى الجزء الفلسطينى المحتل قبله عبرانى يعمل فى الصناعة الحربية فليس معقولا ان يعلمهم الفلسطينيون صناعة الاسلحة التى ترد إلى صدورهم بأيدى المحتلين.

---

(١) الاصحاح الثانى عشر - صموئيل الاول

(٢) الاصحاح الثال عشر - صموئيل الاول

«ولم يوجد صانع فى كل أرض اسرائيل».
«لأن الفلسطينيين قالوا لئلا يعمل العبرانيون سيفا أو رمحا»[1]
«وكان فى يوم الحرب. أنه لم يوجد سيف ولا رمح بيد جميع الشعب الذى مع شاول»[2]

وبدأت فكرة العدوان المباشر عند داود، هى الحل الذى ليس هناك غيره لبنى جنسه المُفرَّغين من كل عقيدة دينية، وكل عقيدة اجتماعية فضلا عن أنهم يعلمون علم اليقين أنهم ليسوا أصحاب حق. فيما يحاربون من أجله.

* السلاح الجديد ...

اصطف جيش شاول لمحاربة الفلسطينيين، ووقف على جبل. وعلى الجبل الثانى الفلسطينيون. ومن بين جيش الفلسطينيين يخرج رجل اسمه «حلبات» مقاتل شجاع يلبس عدة الحرب ويتقلد بأسلحتها ويظل ينادى الجيش العبرانى. هل من مبارز، هل من مناجز.. والجيش كله خائف منه، ويعود جليات يوما ثانيا ويعيرهم ويصب عليهم الشتائم والاهانات. ولا من مجيب. أربعون يوما بالتمام. ولا يتخلى عبرانى واحد عن صفاته وجبنه..

وجاءوا بداود، أصغر أخوته. والثلاثة منخرطون فى الجيش

(١ ، ٢) الاصحاح الثالث عشر - صموئيل الاول

يسمعون كغيرهم من آلاف الجبناء. وكان هناك أسطورة حول داود من أنه قتل أسدا ودبا فى البرية وهو يرعنى غنم أبيه يسى..!

وألبسه الملك شاول عدة الحرب والخوذة وقلده أسلحة القتال، ليرد عن اسرائيل عارها أمام الفارس الفلسطينى جوليات.

ماذا يفعل داود أمام محارب شجاع. أنه يعرف مثلهم جميعا ألا سبيل إلى منازلة مثل هذا الفارس لأنه محارب.. ولابد من طريقة أخرى غير الحرب والنزال.

ولمع بذهن داود خاطر.. ونفذه.. وخلع ملابس الحرب، الخوذة والدرع ورمى بأسلحة القتال، وذهب وهو ممتلئ ثقة بالفوز على هذا الفارس الشجاع بشئ غير الفروسية وفنون المبارزة وضروب الشجاعة حمل داود «المِقلاع» وقطع الصخرة المستوية الملساء وواجه جوليات الذى استخف به. ولكن داود ظل يثيره. ليقنعه بأنه يستحق منه أن ينازله.. ومشى جوليات ليبارزه .. وإذا بداود يباغته بما هو ليس لجوليات على خاطر، وبما ليس فى الحسبان.

«ومد داود يده إلى الكتف وأخذ منه حجرا ورماه بالمقلاع وضرب الفلسطينى فى جبهته فارتز الحجر فى جبهته وسقط على وجهه إلى الأرض[1]».

«وتمكن داود من الفلسطينى بالمقلاع والحجر وضرب الفلسطينى وقتله».

(١) الاصحاح العشرون - صموئيل الاول

المباغتـه والعدوان المباشر وبأى أسلوب مهما كان غير مشروع فى شرائع القتال هو شعار مولد الخط العبرانى الجديد - فهو خط مصيب ويغطى جبن وفزع أصحابه من خصومهم..

* صراع على كرسى الملك ...

أما شاول الملك فلم يجد داود نعمة فى عينيه - لأن شاول لم يكن خالص الدم مائة فى المائة. فأمه كنعانية. وعجب الناس لمطاردات شاول لداود لقتله حتى أنه طعنه بالرمح فى مجلس القوم وفر داود واصطدم الرمح بالحائط..

فى عتاب بين شاول وبين ناثان ابنه الذى اصطفاه داود بن يسى صديقا - قال الملك شاول لابنه .

« يا ابن المعوجة المتمردة »

« أما علمت أنك اخترت ابن يسى لخزيك وخزى عورة أمك »(١)

وخط العدوان الايجابى الذى يلى الضرب المباشر بأى أسلوب. هو التكتم والاحتيال، والتظاهر بالصورة التى تنسى الخصم الحقيقة. من ذلك أن داود عندما هرب من شاول :

(١) الاصحاح العشرون - صموئيل الاول

* الدهاء سلاحا ...

وأراد أن يدخل (جت) وهو يعلم ان (أخيش) ملكها يخشى على ملكه منه.. وعرفه خدم أخيش وغنّت ورقصت له النساء.

«فغير عقله فى أعينهم».

«وتظاهر بالجنون بين أيديهم»

«واخذ يخربش على مصاريع الباب ويسيل ريقه على لحيته»

فقال أخيش لعبيده هوذا ترون الرجل مجنونا فلماذا تأتون به إلىّ»

«ألعلى محتاج إلى مجانين حتى أتيتم به ليتجنَّن على؟»

«اهذا يدخل بيتى!».

«فذهب داود من هناك ونجا»[1].

* والحقد سلاحا ...

والخط الثالث الذى يضم إلى ما سبق لتكوين ما سيصبح الصهيونية بعد، هو جمع الحاقدين على الدنيا والمتضايقين من العالم فى رابطة واحدة للحصول على مغتصبات بالقوة، ومعهم الحالمون بتحقيق الحلم القديم المتجدد من طرد الناس من بلادها واغتصابها.

(١) الاثحاح الحادى والعشرون - صموئيل الاول

«واجتمع إليه كل رجل متضايق»
«وكل من كان عليه دَينْا »
«وكل رجل مر النفس»
«فكان عليهم رئيسا وكان معه نحو أربعمائة رجل»[1].

⋆ الإثارة سلاحا:

ويقول شاول لرجاله.
«فتنتم كلكم علي وليس من يخبرنى بعهد ابنى.. مع ابن يسى»[2].

⋆ التظاهر بالدين سلاحا ...

القضية التى كان من واجب رجال اسرائيل أن يحملوها بأمانة، ليحققوا حلمهم، إما العودة إلى مصر، أو الاستقرار فى الوطن المنسوخ لهم من أصحابه ليستولوا عليه هم.. هذه (القضية) حملها داود بن يسى - ولم يكتف بأن يربط حولها كل رجل متضايق. وكل من كان عليه دَينْا وابناء الاثرياء، بل لقد وضع الخطة لأن تكون هذه الجماعة الأربعمائة جماعة ارهابية. بشرط أن يكون الإرهاب للعبرانيين. الذين لا يمدونها بالغذاء والسلاح. ولكى يغطى الارهاب

(١و ٢) الاصحاح الثانى والعشرون - صموئيل الاول

ويخفيه، فكر فى ان يرجع إلى الخلف. ويقدم الشموع وأناشيد السلام من رجال الكهنوت. فدخل إلى مدينة نوب (مدينة الكهنة) واستطاع أن يجعل الكهان جميعا ينضمون وراء فكرة الجماعة. إرهابا داخليا لضم الجبناء والخائفين والفقراء واللقطاء وكل أولاد زرع البشر للكهنة ليعوضوا (النقص) بتحقيق الفرصة. فرصة الوعد بتحديد أوطان ليست لهم وستكون لهم. ولتكن الشعارات دينية. أما العمل الحقيقى فعدوان إيجابى وسفك مباشر.

* السيف والخبز معا ...

فى «نوب» مدينة الكهان. بدأ داود بكبيرهم أخيمالك أولا. اخذ منه الخبز والسيف. ثم مالبث أن أدخل مدينة الكهان كلها فى الجهاز العبرانى العدوانى دون أن يعلم شاول الملك الذى هو فى نفس الوقت صهر داود كما سبق.

«فقال الملك لدواغ در أنت وقع بالكهنة فدار دواغ الأدومى ووقع هو بالكهنة وقتل فى ذلك اليوم خمسة وثمانين رجلا لابسا أفود كتان وضرب نوب مدينة الكهنة بحد السيف»[(١)]

* الأتاوة ...

بقى التمويل، واليهودى بخيل لحز بالطبع. ولكن سطوة الإرهاب تخرج المال من يد البخيل قسرا. ثم تقنعه بأن ذلك عائد على

(١) الاصحاح الثانى والعشرون - صموئيل الاول

الجنس كله ولقد فرض داود بن يسى أتاوة على (نابال) «الذى كان عظيما جدا وله ثلاثة آلاف من الغنم وألف من المعز وأرسل داود غلمانه له يقولون لنابال اعطى ما وجدته يدك لعبيدك ولابنك داود»[1]. ونابال هذا هو رجل ابيجابل (المرأة جيدة الفهم جميلة الصورة) تزوجت بداود بعد موت رجلها العظيم جدا.

ولم يُقْصر داود الانخراط فى جماعته على العبرانيين بل رأى ان من بين غير العبرانيين من «يعشقون» العبرانيين. ويحبون عشرتهم فلماذا لايكسب الجهاز هؤلاء (العشاق) المخلصين ويكسب التحالف الودى معهم، وينظم هذا التحالف؟ فالجهاز العبرانى يسعده ويشرفه أن يمارس اللاعبرانى «عشقه» لهم، ومن وراء «الحلف الودى» يستطيع الجهاز أن يحصل على مكاسب ما كان ليمكن أن يحصل عليها بدون هذا الحلف.

(اخيمالك) الذى مر بك من كبار (الحثيين) اعداء اليهود فى المنطقة ولكنه أعطى داود الخبز والسيف. وأخيش الفلسطينى ملك جت الفلسطينية انزلق بالود إلى العبرانيين وفتح لداود مدينته حيث أخفى له (رجاله الستمائة) رجال الجهاز العبرانى الجديد.

«فأجاب داود وكلهم اخيمالك الحثى وابيشاى ابن صروية أخا يوآب قائلا من ينزل معى إلى شاول إلى المحلة»[2] - ثم فلا شئ خير لى من أن أفلت إلى أرض الفلسطينيين».

(١) الاصحاح الخامس والعشرون - صموئيل الاول
(٢) الاصحاح السادس والعشرون - صموئيل الاول

* التمويل ...

«فقام داود وعبر هو والستمائة. الرجل الذين معه إلى (اخيش) ابن معوك ملك (جت) وأقام داود عند اخيش فى جت هو ورجاله كل واحد وبيته.. داود وامرأتان (أخينوعم) البزرعيلية .(وابيجابل) امرأة نابال»[1].

والعبرانيون الآن مشقوقون إلى شقّين. شق مع شاول الذى أمه فلسطينية. وشق مع داود المفكر الجديد والذى يضع قوانين جديدة لجنس يتحول من رعاة إلى محاربين يحققون هدفا بقوة العدوان.

والعبرانيون ينظرون إلى هذا الانقلاب الذى أحدثه داود فى حياتهم، وفى نظرتهم إلى أسطورة الوعد، إن الذين يتبعونه. تحولوا إلى معسكر دائم يتنقل من هنا إلى هناك. يحالف وديا ويسطو قهرا وعدوانا. والعبرانيون يتساءلون. لمن الغناء؟ لمن الارباح والمكاسب هل للرجال الستمائة فقط..؟

ورسم داود لمعركة كبيرة. النصف العبرانى الذى يتبع الملك ابن الفلسطينية يحارب الشعب الفلسطينى ويقف هو بعيدا لينقضّ فى الوقت المناسب بعد أن يضعُف الجانبان.

---

(١) الاصحاح السابع والعشرون - صموئيل الاول

* الحياد العدوانى ...

وفى التقرير العبرانى رأى داود أن يكون انقضاضه فى النهاية على الفلسطينيين. ليتخلص منهم نهائيا ..

فأدخل فى الحلف الودى (أخيش) ثم أكد له أنه أصبح من رجاله شخصيا. وأنه هو الذى سيحمل له سيفه اذا ما قام وحارب شاول الملك وجمع اخيش شعبه الفلسطينى وتهيأ للحرب ضد شاول. ومشى داود فى ساقة جيش (اخيش) ووقعت الواقعة. ورجع داود منسحبا. يتفرج.!

واكل أخيش شاول وجيشه اكلا وحرق له البلاد واستولى على الغنائم.

وكانت قبائل «العماليق» فى هذه المعركة بثقلها. مع قومها الفلسطينيين. المنطقة العربية فى الاردن، وفلسطين تحارب العبرانيين الذين يقودهم ملك اسرائيل. شاول.

ومع العماليق بعض الاسرى من المصريين ..

وفجأة. ونساء «اخيش» يرقصن ويغنين «لأخيش».. ولصديقه الودى داود.. فجأة انقض داود عليهم بغتة واسترجع لنفسه كل ما حصلوا عليه من شاول واغتنم الفرصة ليستولى على كل مال اخيش وشاول.

وفرح الستمائة رجل، إن كل هذه المكاسب لهم، ولكن الجهاز

الذى يوطد القوانين ويعقد القواعد للتغيير العبرانى لإخراجهم من الخيام وحياة البدو والتركيز على الحيلة فى الاقتناص، هذا الجهاز وضع دستورا جديدا لتوزيع الغنائم حتى يعلم كل من لا يعلم أن مجرد الاشتراك فى الجهاز ولو بالتأييد له نصيب. فإذا ما قامت للعبرانيين «دولة» مكان دولة فلسطين. كانت هذه الدولة ملكا.. لكل العبرانيين فى كل انحاء البلاد وتخومها.. لا فرق بين محارب ومؤيد.

واليك النصوص .

«فقال داود (لأخيش) فماذا عملت واذا وجدت فى عبدك من يوم صرت أمامك إلى اليوم حتى لا آتى وأحارب سيدى الملك» «فأجاب اخيش وقال لداود علمت أنك صالح فى عينى».

«وجمع الفلسطينيون جميع جيوشهم إلى (أفيق) وكان الاسرائيليون على العين التى فى يزرعيل».

«وعبر أقطاب الفلسطينيين مئات والوفا وعبر داود ورجاله فى الساقة مع أخيش».

«فقال رؤساء الفلسطينيين ما هؤلاء العبرانيين. فقال أخيش لرؤياء الفلسطينيين أليس هذا داود الذى كان معى هذه السنين ولم أجد فيه شيئا من يوم نزوله إلى هذا اليوم».

«اليس هذا داود الذى غنين له بالرقص»

«فدعا اخيش داود وقال لك إنك مستقيم ودخولك وخروجك معى

فى الجيش صالح فى عينى لأنى لم أجد فيك شيئا من يوم جئت إلى اليوم وإنما فى أعين الاقطاب الفلسطينين فلست بصالح».

«فالآن إرجع واذهب بسلام ولا تفعل سوءا فى أعين أقطاب الفلسطينيين».

«وأما الفلسطينيون فصعدوا إلى يزرعيل»

«ولما جاء داود ورجاله إلى (صقلع) فى اليوم الثالث كان العمالقة قد غزوا الجنوب وصقلع وسبوا النساء اللواتى فيها».

«فرفع داود والشعب والذين معه أصواتهم وبكوا حتى لم تبق لهم قوة للبكاء».

«ثم قال داود لأبيثار الكاهن ابن أخيمالك ... قدم إلى الافود فقدم أبيثار الأفود إلى داود»[1].

أى أن داود لبس ملابس الكاهن.. سيدارى الموقف الجديد من الحلف القديم.. بالأفود. وسيدارى الذى أعطى بأن يظل مغمورا ولا يعمل السوء ضد الأحلاف. بالافود بالمظهر الدينى. هذا المظهر الذى هو جزء من حملات المبادرة بالعدوان المباغت.

«فذهب داود هو والستمائة رجل الذين معه».

«وأما داود فلحق هو واربعمائة رجل. ووقف مائتا رجل لأنهم أعيوا أن يعبروا..»

«فصادفوا رجلا مصريا فى الحقل..»

---

(١) الاصحاحان التاسع والعشرون والثلاثون - صموئيل الاول

«فقال له داود لمن أنت ومن أين أتيت».

«فقال أنا مصرى عبد لرجل عماليقى وقد تركنى سيدى لأنى مرضت منذ ثلاثة أيام. فإننا قد غزونا على جنوبى الكرينيين وعلى ماليهوذا وعلى جنوبى كالب وأحرقنا صقع بالنار..»

«فنزل به وإذا بهم منتشرون على وجه كل الارض».

«يأكلون ويشربون ويرقصون».

«بسبب جمع الغنيمة العظيمة التى اخذوها من أرض يهوذا».

«فضربهم داود. من العتمة إلى مساء غدهم».

* شرائع جديدة ...

وجاء داود إلى مائتى الرجل الذين أعيوا عن الذهاب.. فخرجوا للقاء داود. ولقاء الشعب الذين معه.

و«أجاب كل رجل شرير ولئيم من الرجال الذين ساروا مع داود وقالوا لأجل أنهم لم يذهبوا معنا.. لا نعطيهم من الغنيمة».

«بل لكل رجل امرأته وبنيه.. فليقتادوهم وينطلقوا..»

«فقال داود لا تفعلوا هكذا (يا اخوتى)»

«إنه كنصيب النازل إلى الحرب. نصيب الذى يقيم عند الامتعة فانهم يقتسمون بالسوية».

«وكان من ذلك اليوم فصاعدا أنه جعلها (فريضة - وقضاء)

لاسرائيل إلى هذا اليوم»[١].

***

«ولما جاء داود إلى صقلع»

«أرسل من الغنيمة..»

«إلى شيوخ يهوذا»

«إلى أصحابه..»

«إلى الذين فى بيت ايل»

«والذين فى راموت الجنوب»

«والذين فى يثير»

«وإلى الذين فى عرو عير»

«والذين فى سفموت»

«والذين فى اشتموع»

«وإلى الذين فى راخال»

«والذين فى مدن البرحمثليين».

«وإلى الذين فى حرمة»

«والذين فى كور عاشان»

«والذين فى عتاك»

«وإلى الذين فى حبروك»[٢].

***

(١) الاصحاحان التاسع والعشرون والثلاثون - صموئيل الاول

(٢) - الاصحاح الثلاثون - صموئيل الثانى

أغمد شاول السيف فى قلب نفسه.

وانتحر شاول. أعطى أمرا لغلامه حامل سلاحه أن يقتله. ونصبت يهوذا «داود» ملكا على بيت يهوذا[1].

ونصبت اسرائيل ابشبوشت ابن شاول ملكا عليها وقامت عدة معارك صغيرة بين البيتين ولكن على مدى طويل. «وكانت الحرب طويلة بين بيت شاول وبيت داود وكان داود يذهب يتقوى وبيت شاول يذهب يضعف»[2].

العبرانية بطبائعها المتلفّعة بستائر من الدين تنكمش ويحل محلها تنظيم جديد يتمكن من الاستفادة بالدنايا والخطايا لصالح الادنياء المخطئين.. اليهود، بأسلوب أسرع ..

* أخلاق اليهود ...

«آب نير» أخلص المخلصين لشاول، ورئيس جيشه، وأعدى أعداء داود، عرف عنه ابن الملك شاول بعد موت أبيه. أن آبنير على صلة بزوجة أبيه «رصفة بنت أية» السرية، ولم يفعل شيئا أكثر من أن قال ابشبوشت لابنير لم دخلت إلى سرية أبى؟»[3] فاغتاظ آبنير جدا وقال: ولم أسلمك ليد داود وتطالبنى اليوم بإثم المرأة !!»

(١) الاصحاح الثانى - صموئيل الثانى

(٢و ٣) الاصحاح الثالث - صموئيل الثانى

* الخصوم يتعاهدون ...

وأرسل آبنير فورا إلى داود «هوذا يدى معك لرد جميع اسرائيل إليك»

قال داود فى رسالته «حسنا أنا أقطع معك عهدا.»

وانتهز داود الفرصة ليرد على ميكال بنت شاول التى أحبها ودفع مهرها لأبيها ولم ترض به زوجا فأرسل إلى أخيها يطلب إليه أن يبعث بها إليه وهو يعلم أنها تحت رجل هو فلطئيل بن لابش.. وتم له ما أراد «وكان رجلها يسير معها ويبكى وراءها!!»[1].

إن المثل العليا للعبرانيين فى اللحظة الساخنة لتكييفهم بأفكار جديدة لابد لهم من أن ينتزعوا هذا العائق عن الوثوب الذى يسميه أهل المنطقة «الشرف» و«العرض» إن التكوين الجديد يعمق أبعاد اللامبالاة. إلا بالمال شريطة أن يكون المال.. فى يد جماعة تحقيق الهدف وشريطة أن يكون العرض والشرف المبذوليْن.. مبذوليْن كذلك من أجل الهدف الذى يكونه العبرانيون فى اللحظة الساخنة.

***

.. ولابد من طقوس دنيوية وشعائر اجتماعية تزاولها الجماعة للتكريم والارتباط والتأييد بين فكرة التنظيم الجديد، والخونة المستفيدين من كل ما يبذله العبرانيون اليهود من أجل الدين الجدد المنطقى مع صفات اليهود وطبائعهم.

(١) الاصحاح الثالث - صموئيل الثانى

* تقاليد جديدة ...

«فصنع داود لآبنير وللرجال الذين معه وليمة ..!»

ولا تعقيب من أحد على هذه (الوليمة) فالمال وفير، وشائع. ولا يصعُب دفعه لأنه ليس من فرد وإنما من «الجماعة» وهي معقولة ومنطقية لديهم لأنها صنعت لعميل.. آثم .. لا لمذبح.. ولا لله.. .

ولما قتل آبنير «رثا .. الملك داود آبنير»[1]

والرثاء تقليد جديد ليس من أصول العبرانيين. ولكن الجماعة الجديدة والفكرة الجديدة تضع الطقوس والشعائر الاجتماعية. تعطى الذين معهم كل المباذل والمبذول - أحياء - وتعطيهم - موتى - رثاء وتمجيدا.

«وجاء جميع اسباط اسرائيل إلى داود وتكلموا قائلين. هوذا عظمك ولحمك.. نحن»[2] ...!

«فقطع الملك داود معهم عهدا»...

«ومسحوا داود ملكا على اسرائيل».

* الإنسانية الجريحة ...

وكان داود صاحب الفكرة الجديدة، يحب الصحة والأصحاء ويضرب بغيرهم المثل المادى على إبعادهم عن التجنيد فى التنظيم

(١) الاصحاح الرابع - صموئيل الثانى

(٢) الاصحاح الخامس - صموئيل الثانى

الجديد. فكان يصارح الناس بأنه يكره الأعرج والأعمى. لذلك فهو يطلب أن ينحيهم عن معركة كبيرة.. دخول يبوس.. (اورشليم) والاستيلاء عليها.. جزءا جزءا ..

«وقال داود. إن الذى يضرب اليبوسيين.. ويبلغ إلى القناة والعرج والعمى المبغضين من نفس داود».

«لذلك يقولون لا يدخل البيت أعمى أو أعرج»

***

* إلى أورشليم ...

«وذهب داود وكل اسرائيل إلى أورشليم أى يبوس»

«وهناك اليبوسيون سكان الارض»

«وقال سكان يبوس لداود..»

«لا تدخل إلى هنا»

«فأخذ داود حصن صهيون، هى مدينة داود»

«وقال داود»

«إن الذى يضرب اليبوسيين أولا .. يكون.. رأسا .. وقائدا

«فصعد أولاد يوآب ابن صرويه فصار رأسا»

«وأقام داود فى الحصن. لذلك دعوه مدينة داود»

«وبنى المدينة حولها من القلعة إلى ما حولها»[1]

---

(١) الاصحاح الحادى عشر - أخبار الايام الاول

* صهيون ...

إن رجال الجماعة الجديدة المُغيِّرين لوجهة نظر العبرانيين فى الحياة خلع عليهم اسماً جديداً «الابطال» الذين يخوضون معركة يهودية اسلحتها، وأسلوبها، وكيفية تكوينها والصفات والطبائع المستخدمة فيها، والأحلاف المنقوضة لصالحها هؤلاء هم الابطال. سكان حصن صهيون - أو هؤلاء هم الصهاينة.

ليست «الصهيونية بدعة حديثة، ولا فلسفة معاصرة وإنما نحن الذين نظن ذلك. ولعل اليهود يحبون أن نظن ذلك. حتى نمكنهم بظننا الطيب، من إعطائهم الفرصة أن يفصلوا أمام العالم. بين الدين والسياسة فى الوقت الذى يمارسون فيه هم دينا جديدا، خليطا من المظاهر الدينية يلبسها العدوان الايجابى المباشر.

ولم يعد الرجل منهم يوزن بأى ميزان إلا ميزان الصهيونية ليعرف مدى ما يعطيه لها.. ومدى ما تعطيه هى له، بعد أن سرقوا المدينة، و إله المدينة، وجعلوه شعار دينهم الجديد ... العدوان .

***

وهبت المنطقة التى تتعامل بالفضائل البشرية التى كسبها شعوبها على مدار التاريخ ضد هذا السيف المختفى وراء كسرة الخبز - العدوان وراء شعارات الدين.

* فى الشريعة الصهيونية الجديدة

إن الذى يقتل أولا، المالك الحقيقى للبيت، صاحب الأرض وسيدها، صاحب الحمى والوطن، إن الذى يقتله يصبح رئيسا وقائدا وبطلا.

إن العبرانيين بعد أن أصبحوا جماعة صهيون وتحددت لهم ملامح الصهيونية التى هى شريعتهم الجديدة - عاشوا فى الوطن السليب من أصحابه فى صورة معسكر «فالأبطال مقسّمون إلى (ثوالث) و(ثلاثينات) و(أصحاب سر) و(قواد المئات وقواد الألوف) و(ابطال الجيش)[1] ومساعدون فى الحرب و(نازعون فى المقلاع ورماة السهام[2])».

ومن علائم الافتخار العبرانية أن من بين هؤلاء الابطال بنايا ابن يهويا داع الذى ضرب الرجل المصرى الذى قامته خمس أذرع..![3].

* زفة شعبية ...

«وجمع داود كل اسرائيل»

«وصعد داود وكل اسرائيل»

(١ و٢) الاصحاح الحادى عشر - أخبار الايام الاول.

(٣) وفى التوراة (لا تَكْره مصريا لأنك كنت نزيلاً فى أرضه) الاصحاح الثالث والعشرون - تثنية.

صعدوا لينقلوا «تابوت العهد» من مكانه إلى مدينة داود.. إلى صهيون بعد أن نصب له خيمة.

«وكل اسرائيل يلعبون أمام الله بكل عز»[1]

«وبأغانى»

«وعيدان»

«ورباب»

«ودفوف»

«وصنوج»

«وأبواق»[2]

***

«وأخذ داود أيضا نساء فى اورشليم»[3]

وكشفت الجماعة الارهابية عن مفهوم البطولة عندما عيَّن داود بنايا ابن يهويا داع ضارب المصرى الذى طوله خمسون ذراعا.. إلى رئيس للجلادين[4].

ولم يرد فى أخبار الأيام الأول ما يشير إلى أن عداوة العبرانيين اليهود لشعوب المنطقة قد بَردت أو هَدأت وكذلك لم يستسلم الفلسطينيون داخل بلادهم.. الا أن تدبير جهاز العدوان الصهيونى كان واضح الخطة فى استمرار الاعتداء على المنطقة. ظلما وكرها

(١ و٢) الاصحاح الثالث عشر - أخبار الايام الاول

(٣) الاصحاح الرابع عشر - أخبار الايام الاول

(٤) الاصحاح الثامن عشر - أخبار الايام الاول

وبقوة السلاح. فقد بدأ داود.. يرسل جيوشه لمحاربة «بنى عمون» فى الأردن ويحارب أرام النهرين، ويرسل رسل الخديعة لبنى عمون[1] حتى ينيمهم عما يراد بهم بعد الانتهاء من أرام. ثم جمع داود كل اسرائيل وعبر الاردن وجاء إليهم واصطف ضدهم[2] ولم ينس فى الطريق أن يستولى على البلاد الصديقة التى آوته قبل ذلك. فقد حارب «جت» واستولى عليها[3].

***

★ الوعد المنسوخ ....

وتطلع من دار صهيون خرافة الوعد بالاستقرار الأبدى فى المنطقة .. من دار صهيون .. ليس الوعد من السماء. فوعد الله لابراهيم واسحق ويعقوب بالارض التى يملكهم أياها.. قد نسخ وكان النسخ صريحا بأنكم «غرباء» فى أرضى «نزلاء» عندى..

أما الوعد الصهيونى الذى حل محله والذى يتمسك به يهود العالم الصهاينة اليوم، ابناء اليهود الصهاينة أمس، فهو وعد داود شخصيا عندما جمع كل اسرائيل ليقول لهم إن «تابوت» العهد سيظل فى أيامه فى الخيمة، ومن يبنى له بيتا، لأنه ليس رجل دين. وإنما هو رجل حرب.

---

(١) و(٢) و(٣) فى الدرجة الاولى من «المخطط اليهودى بعد تنظيم الصهيونى أنهم يظهرون الاستعداد لعداوة (آرام) ليطمئن (بنوعمون) وفجأة.. يتم الانقضاض على المطمئنين (بنى عمون)..

* عزلة الدين ...

«اسمعونى يا اخوتى وشعبى»

«كان فى قلبى ان ابنى بيت قرار لتابوت عهد الرب»

«ولكن الله قال لى لا تبنى بيتا لاسمى»

«لأنك رجل حروب»

«وقد سفكت دما»

«وقد اختارنى الرب إله اسرائيل من كل بيت لأكون ملكا على اسرائيل..»

«إلى الأبد»[١]

***

* المنطقة تغلى ...

المنطقة كلها.. تستيقظ برد فعل قاس مرير

إن اليهود الرعاة، ساكنى الخيَّام.. الرُحَّل، صناع الخمول، المتعقبى الشرف والفضائل فى أنفسهم.. استلبوا البلاد من أصحابها، وغيرو اسماءها - وغيروا نظرتهم إلى الحياة. فأصبح لهم دار صهيون لإصدار أحكام القتل والعدوان لبنى الدنيا. ليأخذوا

(١) والذى يحب أن يستزيد. فعليه أن يقرأ أسفار صموئيل الرائى ويونان لنبى وجاد الرائى.

حقوقهم ويسفكوا دماءهم ..

المنطقة كلها تستيقظ بردود أفعال قاسية مريرة.. ومباغتة... فأين مصر..؟ مصر التى يقول عنها ابناؤها تلك الايام أنها «قرن الأرض».

إن هؤلاء اليهود، حتى وهم يمارسون أعمال الشر العسكرية فى المنطقة. ليسوا إلا خرافا وهكذا يسميهم ملكهم داود.

«وأما هؤلاء الخراف فماذا عملوا».. !![1]

وسلم داود مقاليد الحكم لابنه سليمان.

وجاء بعد سليمان «رحبعام»

كانت مصر.. قد أعدت نفسها.. لم تعد جيشها للاستيلاء والاقتناص وإنما لضرب المغتصبين.. وتأمين الحمى الكبير.. المنطقة.

خرج الجيش المصرى بقيادة سيتى الأول الذى يسميه العبرانيون «شيشق» ومع سيتى الاول «شيشق» ويليه ابنه عم رمسيس الثانى سنرى موقف مصر من الصهيونية اليهودية من جذورها.

إن مدونات اليهود، المعاصرة لهذه الاحداث، لعنت الصهيونية بعد تمجيدهم لها.

مجدوها عندما أقامت لهم «قلعة» يستطيعون من خلال دينها الجديد، وشريعتها الجديدة، ومبادئها المسكوكة بغاية الحكمة،

(١) الاصحاح الحادى والعشرون أخبار الايام الاول.

والمنفَّذة بمنتهى السرية، أن يسرقوا أرض شعب، وأن ينسبوه لأنفسهم اختلاسا وقحا فاستطاعوا بواسطة هذه القلعة أن يفتحوا لأنفسهم المجالات التى تنطلق فيها الطاقة اليهودية فى الكسب - عن أى طريق - ومن أى سبيل.. ولعنوها، عندما أبصروا أن أهل المنطقة لم يكونوا «غلفا»[1] كما كانوا يحسبون، وإنما هم رجال، وقد هبوا وحطموا القلعة - قلعة صهيون - دولة اليهود اللصة الذكية، التى لم تبق إلا أربعين عاما فقط، وضربها المصريون حتى لا يكتبوا لها تاريخية الاحتلال والاستيطان، فتزعم أن فلسطين لها بحق الأمر الواقع..

***

* المجرم العائد

إن (حق الفتح) الذى هو غير مشروع فى شريعة بنى الانسان، ليس لصهيون فى فلسطين. فقد أحالت حرب التحرير عاصمتها الجديدة باسمها الجديد إلى خرائب... ما أشبه الحق اليهودى المزعوم فى فلسطين بلص ضُبِطَ وهو يدارى المسروقات، فهرب.. هرب وظن أن المحكمة وقضاتها نسوا من هو اللص.. فجاء بعد آلاف السنين ووضع يده على المسروقات ليحملها ...

إن فلسطين التى سُرقت واختفت فى حوزة صهيون لمدة أربعين

(١) الصفة التى يَقْرن اليهود بها دائما.. في ذلك الزمان، أعداءهم، وذلك لأن الختان لم يكن معروفا لغيرهم. والغلفة هى القلفة.

سنة. ثم انتشر اليهود منها إلى الشتات والضياع والغربة مرة ثانية - يتجمع اللص بعد ثلاثة آلاف سنة ليدّعى أنه... صاحبها. ففى ظنه أن الناس نسوا الحكاية .. !!

والاربعون عاما التى ابتدأت بشريعة صهيون، بعيدا عن دين الله الذى عاهد عليه موسى.. يصورها أدق تصوير مراقبهم فى المحنة «حزقيال» النبى والذى هاجر من أورشليم مُنفلتاً يقول عنها:

* حجة نسخ الوعد ...

«ضربت المدينة»

«ولم أكن بعد ابكم. فكان إلى كلام الرب قائلا»

«يا ابن آدم، إن الساكنين فى هذه الخرب فى أرض اسرائيل يتكلمون قائلين...»

«ان ابراهيم كان واحدا وقد (ورث) الأرض...»!

«ونحن كثيرون»

«لنا أعطيت الارض ميراثا»

«لذلك قل لهم هكذا قال السيد الرب !..»

«تأكلون بالدم ...»

«وترفعون أعينكم إلى أصنامكم ..»

«وتسفكون الدم ...»

«... أفترثون الأرض.. ؟.»

«وقفتم على سيفكم ..»

«فعلتم الرجس ..»

«وكل منكم نجس امرأة صاحبه ...»

«... أفترثون الأرض ..؟؟»

«قل لهم هكذا قال السيد الرب: حى أنا» .

«إن الذين فى الخرب يسقطون بالسيف ..»

«والذى هو على وجه الحقل أبذله للوحش مأكلا ..»

«والذين فى الحصون وفى المغاير يموتون بالوباء ..»

«فاجعل الارض خربة مقفرة وتبطل كبرياء عزتها..»

«وتخرب جبال اسرائيل بلا عابر..»

«فيعلمون أنى أنا الرب حين أجعل الارض خربة مقفرة على كل رجاساتهم التى فعلوها»...

«وأنت يا ابن آدم»

«فإن (بنى شعبك) يتكلمون عليك (بجانب الجدران)..» .

«وفى أبواب البيوت»

«ويتكلم الواحد مع الآخر .. الرجل مع أخيه..»

«قائلين هلم اسمعوا ما هو الكلام الخارج من عند الرب ..»

«ويأتون إليك كما يأتى الشعب، ويجلسون أمامك.. كشعبى .. ويسمعون كلامك ولا يعملون به.. لأنهم بأفواههم - (يظهرون

أشواقا).. وقلبهم ذاهب.. وراء (كسبهم) !!..

«وها أنت لهم كشعر أشواق ...» !

«لجميل الصوت ...»!

«يحسن العزف ...»!

«فيسمعون كلامك ولا يعملون به». !![1]

***

★ منابع الاستربتيز ...

حزقيال، والرجال الصديقون يشهدون بما فعلته «أهوليبة»..

أورشليم صهيون، من استنكار لشريعة موسى، ورسوفها فى عبادة الذهب - والأصنام - والحياة اليهودية الخاصة.

«بل أرسلتما إلى رجال آتين من بعيد..»

«الذين أرسل اليهم رسول فهو ذا جاءوا »

«هم الذين لأجلهم ...»

«.. وكحلت عينيك»

«... وتحليت بالحلى»

«وجلست على سرير فاخر أمامهَ مائدة منضَّدة» ..»

«ووضعت عليها بخورى .. وزيتى»..!

(١) حزقيال - الاصحاح الثالث والثلاثون

«وصوت جمهور مترفهين معها»

«ومع أناس من رعاع الخلق ...»

«أتى بسكارى من البرية ...»

«الذين جعلوا (أسورة على أيديهما) و(تاج جمال على رؤسهما».. !!

«فقلت عن البالية فى الزنا .. الآن يزنون زنا معها»

«فدخلوا عليها كما يدخل على امرأة زانية ..!!

«هكذا دخلوا على أهولة.. وأهوليبة.. المرأتين الزانيتين!!»[1]

وتقرأ سفر حزقيال كاملا، وتطلع بنتائج ذات بال ... إن حدود مصر ليست غزة .. وإنما بعد ذلك.. ان «مجدل» على التخوم الفاصلة بين مصر وفلسطين .. ومن قديم.

وإن (كبرياء مصر) أبين فى الرؤية لخصومها من آثارها ومعابدها وأن (عزة) مصر أمر شراب فى فم اليهود.

«ويسقط عاضد ومصر، وتنحط (كبرياء عزتها) من (مجدل) إلى (أسوان)..»[2].

***

(١) حزقيال - الاصحاح الثالث والعشرون.

(٢) وتربط فى سفر حرقيال بين الحقد على (مصر) وعلى (كبرياء عزتها) ليس لقوتها فى حراسة حدودها من (المجدل) إلى (أسوان) وحسب.، ... وإنما (لعشق).. أهوليبة الزانية.. أى أمة اليهود فى مرحلتهم الثانية.. لكل من جعل (أسورة على يديه) و(تاج جمال على رأسه).. أى لعشقها للمصرى...

★ الجنس المتمرد ...

« يا ابن آدم »

« إذهب امض إلى بيت اسرائيل وكلمهم بكلامى »

« فلا تخفهم ولا ترتعب من وجوههم .. لأنهم (بيت متمرد) .. »!

« فجئت إلى (المسبيين) عند تل أبيب الساكنين عند نهر خابور وحيث (سكنوا) هناك. سكنت سبعة أيام متحيرا فى وسطهم..!!

وفى الحساب العبرى أن المدة التى أقيمت فيها الدولة المسروقة من أصحابها، تحت شعار صهيون، أربعون عاما فقط.

وقد سبق التمهيد لإقامة هذه الدولة بلا شعار إلا شعار « تابوت العهد » ثلاث مائة وتسعون سنة

وبعد الأربعين سنة.. بدأت مدة التشريد من جديد إلى أرض الضياع والغربة.. ثلاثة آلاف سنة حتى بدأ حكماء صهيون والاستعمار العالمى يفكرون فى افتتاح (مكتب اللصوصية) لتعليق اللافتة الجديدة اسرائيل ...

« واتكئ على جنبك اليسار وضع عليه إثم بيت اسرائيل »

« على عدد الأيام التى تتكئ فيها عليه تحمل إثمهم .. »

« وأنا جعلت لك سنى اثمهم حسب عدد الايام ثلاث مائة يوم وتسعين يوما فتحمل إثم بيت اسرائيل »

« فإذا أتممتها فاتكئ على جنبك اليمين أيضا فتحمل اثم بيت يهوذا أربعين يوما »(١)

---

(١) حزقيال - الاصحاح الرابع

«فقد جعلت لك كل (يوم) عوضا عن (سنة) !!.

***

* سوابق ...

ولم يكن داود ، فى ايجاده المنطلق الحيوى للطبائع اليهودية الخاصة، باستعماله كل ما هو (غير مشروع) من وجهة نظر أى «جوييم» أى انسان غير يهودى، و (مشروع) فى نظر اليهودى، لم يكن أول من عمل بالشريعة الصهيونية، بل هو على اليقين، الواضع لها هذا الاسم.. والمتوسع فى تحديد أسلوبها السياسى، والمكمل لدستورها العملى، والمطبق لهما فى إحكام شديد. إذ لا يعقل أن تظل الأجيال اليهودية فيما بين عهد موسى الكليم وبين عهد داود على سرقة البلاد من أصحابها بأى أسلوب آخر غير الأسلوب الصهيونى الذى ظهر صراحة وعلانية أيام داود...

الاسم جديد .. كما تبين

ولكن الفعل قديم ..

وأخذ داود هذا الفعل القديم، ونماه، ووضع له الدستور والأحكام واسم الشريعة الجديدة، ولم يبخل على طبيعة يهوديته ليفتح لها مجال الانطلاق.

وقد مارست الطبائع اليهودية وظيفتها فى الوجود ، بالأسلوب الذى تسمى فيما بعد بالصهيونية، فور انتقال سيدنا موسى عليه

السلام إلى بارئه.. وتلك حكمة الحِكم الإلهية ألا يشترك فى عمليات السطو والنهب ومضادة الانسانية فى حقوقها البديهية.. بسرقة البلاد من أصحابها..

* المبادئ اليشوعية ...

فبعد وفاة موسى الكليم، كان خليفته على أمر اليهود، بنى اسرائيل، خادمة «يشوع بن نون» رئيسا، أما الكاهن فكان أليعازار بن هارون و«يشوع بن نون» هو الذى دون التوراة، التى هى شريعة موسى وأحكامها ووصاياه، فى آخر أيام النبى موسى، ووضعها إلى جانب «العهد» بالتابوت.

وكان المظنون أن يسير يشوع على سنة نبيه، ولكن الحقيقة، أن موسى كان مصباحا، ينشر الضوء حوله، ويكشف كل فكرة أو مؤامرة تريد أن تبعد اليهود عن الضوء، وانطفأ المصباح، ورجع اليهود للظلام.. يقترفون فيه بطبيعتهم الخاصة، كل ما يشتهون.

* التحالف مع الخيانة ...

بدأ يشوع تكْملة الرحلة لدخول فلسطين.. وأرسل جاسوسين، إلى أريحا..

وكان هو وكل بنى اسرائيل قد اتخذوا لأنفسهم معسكرا بعيدا عن العالم فى المنطقة كل البعد، اتخذوا لأنفسهم المعسكر فى الوضع الحالى لـ «إيلات» تقريبا، وسموه «الجلجال».

ودخل الجاسوسان لبيت امرأة زانية.. فى أول بلد فلسطين، وتحالفا معها.. فتقارب الطبائع يمكّن من الوصول إلى نتيجة ورجع الجاسوسان، وشريعة موسى، وتوراته مليئة بما يمنع ذلك، إلا أن يشوع، مدون التوراة، والوصى على قراءتها على بنى اسرائيل، أيد الجاسوسين فيما فعلا، وبعد أن دخل البلد.. قتل جميع سكانها.. إلا الحليفة «راحاب» الزانية.. خائنة أهلها ...

يقول فى ذلك يشوع «راحاب الزانية فقط تحياهى وكل من معها فى البيت لأنها خبأت المرسليْن اللذيْن أرسلناهما»(١)

***

كان القطاع الذى نظر عليه يشوع «لسرقته» مكونا من واحد وثلاثين بلدا.. على كل بعد ملك.

لم يكن الشعب الفلسطينى، مندمجا فى أمة واحدة، يشتركون فى علاقات اقتصادية موحدة، وليس لهم سوق وطنية واحدة، على الرغم من اللغة الواحدة، والتعايش على أرض واحدة من الأزل.

كل بلدة مستقلة بنفسها حسبما شاء الملك.

واحد وثلاثون ملكا، كل منهم يظن أنه هو السيد، والأعظم والأهم..

(١) الاصحاح السادس - يشوع

والبلاد هى: ١ - أريحا - ٢ - عاى ٣- يبوس - ٤ - حبرون - ٥ - برموت - ٦ - نحيش - ٧ - عجلون - ٨ - جازر - ٩ - دبير - ١٠ - جادر - ١١ - حرمة - ١٢ - عراد - ١٣ - لبنه - ١٤ - عدلام - ١٥ - مفيدة - ١٦ - بيت ابل - ١٧ - تفوح - ١٨ - حافر - ١٩ - افيق - ٢٠ - شارون - ٢١ - مادون - ٢٢ - حاصور - ٢٣ - شمرون. ٢٤ - اكشاف - ٢٥ - تعنك - ٢٦ - مجدو - ٢٧ - قادش - ٢٨ - يقنعام ٢٩ - كرمل - ٣٠ - دور - ٣١ - ترصة ...[١]

غير ملك جوميم الذى قتل وسموا المكان.. الجلجال موضع إيلات.

* منابع الصهيونية ...

كان سلاح يشوع فى سرقة هذه البلاد، سلاحا صهيونيا مَحْضاً

١- البغتة. العدوان المفاجئ بالليل

«وأتى إليهم يشوع (بغتة) صعد الليل كله من (الجلجال) وضربهم ضربة عظيمة»..[٢]

٢- الاسلوب الجبان - أى القتال بواسطة رجال لا يعرفون الشجاعة.

٣- الحرق والابادة..

---

(١) الاصحاح الثانى عشر - يشوع

(٢) الاصحاح العاشر - يشوع

* حرق البلاد وإبادة الشعوب ...

حرق البلاد وابادة أصحابها

وكانوا يقسمون أنفسهم قسمين، قسم يتظاهر بأنه الجيش المهاجم لبلد مثل «عاى» فيخرج ملك عاى مع رجاله بشجاعة لملاقاة المهاجمين فيدخل القسم الآخر البلد ويحرقها بالنار ويبيد من فيها(١) وبعبارة التوراة «لم يبق بها شاردا».

إحراق البلاد بالنار. وقتل جميع السكان. هو أول أسلوب من أساليب إبادة الجنس الفلسطينى حتى اذا ما سرقوا أرضه لم يجدوا من ينهض ليطالب بها - ومع ذلك. فقد ظلت بلاد فلسطين الأخرى التى قاومت.. تناضل حتى تحررت بعض هذه البلاد المسروقة المغتصبة..

وهكذا حتى جاء داود ..

قوم لا وطن لهم. ويشعلون النار لإحراق البلاد، ويشنون حرب إبادة شاملة ثم يقرأون التوراة أيام يشوع «هؤلاء هم اليهود بعد موسى مباشرة».

* تنبؤات موسى ...

آخر عمل قام به موسى أمره بأن تكتب التوراة، وأن تقرأ أسفارها على اليهود وختمها بقوله:

(١) الاصحاح الثامن - يشوع

«خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون هناك شاهدا عليكم.

لأنى أنا عارف تمردكم..

ورقابكم الصلبة.

هوذا وأنا معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب.

فكم بالحرى بعد موتى؟

إنى عارف أنكم بعد موتى تفسدون.. وتزيغون عن الطريق الذى أوصيتكم به»[1]

وهذا هو ما حدث بعد موسى مباشرة.. الإفساد والفساد والزيغ عن شريعة موسى.. وتزييف نصوص جديدة حتى تكاملت لديهم الفكرة الصهيونية، دين اليهود اللائق بهم، والذى لا يليق له غيرهم. فاليهودية هى الجنس، والصهيونية هى أخلاق هذا الجنس، وأسلوبه فى تحقيق أهدافه.

* صهيون

مما سبق، ومن غضون النصوص، ينكشف المعنى الحقيقى لكلمة «صهيون» التى يذهب الناس، فى تفسيرها كل مذهب.

عندما دخل داود مدينة «يبوس» قبل أن يسميها أورشليم، اتجه

(١) الاصحاح الثامن - يشوع

فورا إلى جزء من المدينة، ليحتله، ويسميه مرة مدنية داود، ومرة أخرى «صهيون» أو «حصن داود» أو «حصن الصخرة» أو «الحصن» أو «الصخرة».

لم يكن يصدق اليهود، أن أهل المنطقة يسمحون لهم باحتلال بلد واحد، ولذلك فقد آثروا أن يعيشوا عيش الرعاة، يحملون خيامهم ومظالهم، وهم قبائل متفرقة، شتى، ويطنبون أوتادها فوق كل أكمة عالية.. أو تحت كل شجرة خضراء.

ولكنهم، اما أن امتدت أيديهم إلى جبل الصخرى، في يبوس.. أورشليم.. القدس... حتى أيقنوا أنهم فى «حصن» من مطاردة الأهلين لهم..

«صهيون» معناها «الحصن».

وتأتى فى المزامير بمعنى «الصخرة».

وباسمها، ورمزها الإيحائى، يعرف اليهود، أنهم فى طريق الفناء والتفتت كيهود أصحاب عقيدة خاصة، بعيدة عن الدين، وعن العقائد، ما لم يكن لهم وطن.. (حصن) يتحصنون فيه بطبائعهم عن عوامل التفتيت والإفناء والترقى، وأنهم إذا أرادوا أن يبقوا أبد الدهر محافظين على عقائدهم اليهودية الخالصة، فليلجأوا إلى (صهيون) الحصن، ولينجذبوا بعضهم إلى بعض حتى يصبحوا.. كالصخرة.

الفصل السادس

الملحمة الشعبية الخالدة

سليى العظيم
سيّد غض الشباب

«كل شئ صار يا يهود.. فرار.. عربات ملقيات.. بالقفار.. وخيول سحبت ذيل الهرب واليهود عليهم الأمر اختلط حسبوا النهر طريقا يعبرونه يالذل الخائفين.. المغرقين»

* حكمة سليمان ...
* مملكة ...
* يحيا الملك ...
* هيكل سليمان ...
* الشريعة الجديدة ...
* اعتزال .. العنصرية اليهودية ...
* قيمة الهيكل ...
* النبوة .. تكدير ...
* معنى السلام اليهودى ...
* تلامذة الكتاتيب ...
* الخلاف المصنع ...
* الإيمان الحضارى ...

* الوحدة اليهودية ...
* الهجرة..
* المصادر العبرية ...
* الغناء الشعبى ...
* منابع القومية العربية ...
* نبوءة يهودية بهلاكهم ...
* السلف ...
* الخلف ...
* المداحون الفراعنة ..

وانتهت عمليات أحلام اليهود بتحقيق إقامة دولة يهودية بأى شكل.. بمجئ داود.

ودفن داود فى حصن صهيون.

وجاء بعده ابنه سليمان الحكيم.

كان ذلك يجرى فى أيام نهاية الأسرة السادسة عشرة من تاريخ مصر القديمة وأيام الأسرة السابعة عشرة (ق. م).

فى سيرتهم يقولون، إنهم صاهروا مصر.

«وصاهر سليمان فرعون ملك مصر وأخذ بنت فرعون وأتى بها إلى مدينة داود»[1]

وليس من شك فى أن النبى سليمان الحكيم عليه السلام، كان صورة تختلف عن صورة أى عبرانى سواء فى عصره أو فيما قبل عصره، وقد تكون حكمته وبُعد نظره، أن يسأل الطير والوحش والجن عمن يتزوج، فأجابت الطيور والوحوش وعفاريت الجن، أن أمانته وسعادته لا تتم إلا إذا تزوج (بمصرية) ومن عجب أنه لم يرد فى أخبار سليمان أنه قدم ذبيحة هذا (الاثم).. لأن الدين الملوكى كان قد حَرَّم الزواج بغير يهودية.. رغبة فى إحكام الاعتزال.. وصيانة للغة الجنس.!!

فالزواج بالمصرية حلم من أحلام النابغين من رجال المنطقة، لما تواتر عن الأسرة المصرية من شدة التمسك بالفضيلة.. ولاعجب فى أن ينُسب إلى الإمام الشافعى المصرى «الغزاوى» مقولته التى عاشت وتعيش إلى آماد السنين «من لم يتزوج بمصرية فهو غير محصّن».

إن بنت فرعون المصرية، لم تكن من أهل الكتاب، ولا من المتدينات بالدين الموسوى، الدين الوحيد الذى نزل على النبى موسى الكليم، فهل رأت حكمة «سليمان» أن عادات مصر وتقاليدها، ودينهاالبشرى الذى لم يأت لهم من السماء، ووصلوا إليه بأسباب الحضارة، يقف جنبا إلى جنب أمام الدين السماوى.

(١) الاصحاح الثالث - الملوك الاول

العجب أن المصريين لم يدونوا هذه المصاهرة فى مدونات التاريخ، ووثائق الدهر الأبدية المحفورة على جدران البقاء التى نسميها المعابد والهياكل والبردى.

وأعجب من العجب.. أن «حور محب» بعد ذلك بسنوات قليلة، وبعد موت سليمان الحكيم، خرج بكتائبه، وبلا أمر، من حامية أهناس إلى صحراء بلبيس، وانتظر عريسا عبرانيا آخر ومعه رفاقه وحراسه وجيشه، ليصاهروا بيت الملك المصرى.. وقد أحس المصريون، ومن بينهم الضابط الشاب «حور محب» وما أن تلاقى بالزفة العبرانية.. حتى جز رأس العريس.. وأسقى بدماء رجاله.. صحراء الشرقية

⋆ حكمة سليمان

وسليمان الحكيم هو الذى وقف بصرامة أمام الانفلات العبرانى للمضاجع الذى يشبه انفلات السوائم فلقد بلغ ببعض النساء عندهم أن تتخذ لنفسها ملابس خاصة تميزها على أنها زانية علنا وبشكل رسمى لا يدعو للدهشة فقد أتت امرأتان (زانيتان) إلى الملك ووقفتا بين يديه[(١)]

«فقالت المرأة الواحدة استمع يا سيدى»

«أنا وهذه المرأة ساكنتان فى بيت واحد وقد ولدت معها فى البيت»

(١) الاصحاح الثالث - الملوك الاول

«وفى اليوم الثالث بعد ولادتى ولدت هذه المرأة أيضا»
«وكنا معا. ولم يكن معنا «غريب» فى البيت غيرنا»
«ونحن كلتانا فى البيت»
«فمات ابن هذه فى الليل لأنها اضطجعت عليه»
«فقامت فى وسط الليل وأخذت ابنى من جانبى وأمتك نائمة، وأضجعته فى حضنها»
«وأضجعت ابنها الميت فى حضنى»
«فلما قمت صباحا لأرضع ابنى اذا هو ميت»
«ولما تأملت فيه فى الصباح اذا هو ليس ابنى الذى ولدته»
«وكانت المرأة الأخرى تقول كلا بل ابنى الحى وابنك الميت»
«وهذه تقول لا بل ابنك الميت وابنى الحى»
«وتكلمتا أمام الملك».
«ايتونى بسيف»
«فقال الملك اشطروا الولد الحى اثنين واعطوا نصفا لواحدة ونصفا للأخرى»
«فتكلمت المرأة التى ابنها الحى إلى الملك، لأن أحشاءها اضطرمت على ابنها»
«وقالت استمع يا سيدى، اعطوها الولد الحى ولا تميتوه»
«وأما تلك فقالت لا يكون لى ولا لك.. اشطروه»
«فأجاب الملك وقال إعطوها الولد الحى ولا تميتوه فإنها أمه»

«ولما سمع جميع اسرائيل بالحكم الذى حكم به الملك خافوا الملك لأنهم رأوا كلمة الله فيه لإجراء الحكم»

* مملكة ...

تعليق اسرائيل كلها على «حكمة سليمان» أما الزنا، فإنه فطرة وسليقة ورأى ووجهة نظر.

ترك داود الملك.. بعد موته.. دولة سرقها اليهود من أصحابها قهرا.. تركها.. مملكة.. !! من الحدود المصرية، إلى النهر، إلى أرض فلسطين. كلها سُلبت من أصحابها قهرا واعتداء.. يحتل العبرانيون فيها كل أماكن أصحابها الأصليين، «وكان سليمان متسلطاً على جميع الممالك من النهر إلى أرض فلسطين وإلى تخوم مصر»[(١)]

* يحيا الملك ...

وكان لسليمان أخوة كثيرة من زوجات أبيه «التسع والتسعين» من بينهن «جميت» الذى طمع ابنها «أدونيا» فى ملك أبيه داود رغم وصايته لسليمان به. وما أن فاضت روح داود حتى أعلن «أدونيا» أنه هو الملك، وقال المتشيعون له «يحيا الملك»[(٢)] إلا أن المُلك تسلمه سليمان فى نفس اليوم، وطمع أدونيا من الدنيا كلها

(١) الاصحاح الرابع – الملوك الاول.
(٢) الاصحاح الثانى – الملوك الاول

في زوجة أبيه «المائة» أو التي عاشرته دون زواج.. فالنص يقول:

«وشاخ الملك داود.. تقدم من الأيام»

«وكانوا يدثرونه بالثياب فلم يدفأ»

«فقال له عبيده ليفتشوا لسيدنا الملك على فتاة عذراء»

«فلتقف أمام الملك»

«ولتكن حاضنة»

«ولتضطجع في... حضنك»

«فيدفأ سيدنا الملك»

«فوجدوا بيشح الشونمية..»

«فجاءوا بها إلى الملك»

«وكانت الفتاة جميلة جدا»

«فكانت (حاضنة) الملك ... وكانت تخدمه»

وهذه «بيشح الشونمية» التي أمر سليمان بقتل أخيه «أدونيا» صيانة لسيرة أبيه داود[1] بسببها ..

* هيكل سليمان ...

كان سليمان حكيما.. وملكا أديباً.. وشاعرا.

هو الذي بنى هيكل سليمان.. وقد يظن البعض أن للهيكل في ذاته قدسية عند اليهود، هم يقولون ذلك وينشرونه على الدنيا..

---

(١) الاصحاح الثاني - الأيام الاول.

والحكاية كلها أن الملك الأديب الشاعر.. لم ينظر للمال نظرة بنى جنسه .. هؤلاء الذين قتلوا ونصبوا واغتصبوا أيام داود الملك. ومع ذلك فقد ظلوا كما كانوا «خرافا» يعودون آخر النهار إلى الخيام..

العهد الذى كتب على لوحين - وعاهد الله به موسى فى جبل (حوريب) طور سيناء، أقدس ما يملك اليهود.. وضعوه فى تابوت، وأغلقوا التابوت.. وسموه تابوت العهد.

ورحم الله موسى والعهد

أغلقوا عليه التابوت، وأوصدوه، ووضعوه فى خيمة[١]...

★ الشريعة الجديدة ...

والكلام هنا حول ترك دين موسى لا يُلقى جزافا، أو لخدمة قضية ما.

وإنما الحقيقة أن شريعة موسى غُيِّرت إلى شريعة يهودية اجتماعية لا علاقة لها بالتوراة..

والشريعة الجديدة التى طلب الملوك اليهود أن تتلى بين الناس أسفار مغايرة.. وآيات كلها تخدم التغيير المستحدث من دين إلى آخر.

والدين الجديد مجموعة نصوص تمكّن اليهود من إطلاق الطاقة اليهودية فى مجال الحياة.. الحياة اليهودية من وجهة نظرهم هم.

والذى فى هذه الشرائع الجديدة. الدق المتواصل، وبشدة على

(١) مرَّ بك فى الفصل السابق أن داود الملك تعمد إبعاد الدين عن دار السياسة .. صهيون.

عدم تفتيت (العقيدة اليهودية المختارة من قبل موسى) وذلك بصيانتها من الاندماج بأصحاب العقائد والطبائع الأخرى من أى أمة.

* اعتزال العنصرية اليهودية ...

فالدين الجديد محرم فيه أن (يدخل فى دين موسى أى إنسان غير عبرانى).

فهل جاء ذلك بالتوراة...؟ لم يحدث...!

حتى أن الأنبياء والصدوقيين الذين جاءوا بعد موسى كانوا اذا أمر الملك بقراءة شئ من أسفار موسى وجدوها غريبة.!!

«فى ذلك اليوم قرئ فى (سفر موسى) فى آذان الشعب»

«ووجدوا مكتوبا فيه أن «عمونيا» و«موآبيا» لا يدخل فى جماعة الله إلى الأبد»[1]

يريد الناس أن يدخلوا فى دين الله.. الذى أتى به موسى.. ولكن اليهود يغيرون دين موسى، ويضعون دينا غيره يمكنهم من العزلة عن الناس لتنفيذ ما لم يأت به موسى، إلا أن الكهنة والصدوقيين من حَفَظَة شريعة موسى.. كانوا لا يعبأون بالدين الملوكى..!

(١) الاصحاح الثالث عشر - نحميا، وتأمل عبارة (ووجد مكتوبا فيه) لأنها تتضمّن أن شريعة موسى.. تنص على أن اليهود مأمورون بعدم ادخال أحد فى دينهم.. حتى العبرانيين الذين اختلطوا بغيرهم أمثال «عمونيا» و«موآب»..! و«العمونيون» و«الموآبيون» عبرانيون أصلاً، فهؤلاء أولاد بنت «لوط» وأولئك أولاد.. أختها،.. الأختان اللتان أسكرتا أبيهما الشيخ، وحملتا منه.. وهم بالجبل بعد خراب سادوم... !! (الاصحاح التاسع عشر - تكوين)

فبعض الكهنة الصالحين تزوجوا من نساء غريبة عن اليهود.. فأقام ملوكهم ضجة ضدهم واعتبروه إثما..

«فوجد من الكهنة من اتخذ نساء غريبة.. ومنهن نساء قد وضعن بنين..

وأعطوا أيديهم لإخراج نسائهم، مقربين كبش غنم لأجل إثمهم»[1]

«وفى تلك الأيام أيضا رأيت اليهود الذين ساكنوا نساء أشدوديات وعمونيات وموآبيات، ونصف كلام بينهم باللسان الأشدودى ولم يكونوا يحسنون التكلُّم باللسان اليهودى بل بلسان شعب وشعب، فخاصمتهم ولعنتهم وضربت منهم أناسا ونتفت شعورهم واستحلفتهم بالله قائلا «لا تعطوا بناتكم لبنيهم ولا تأخذوا من بناتهم لبنيكم ولا أنفسكم» [2].

أقام سليمان بناء ضخما، منسقا. ذا أورقة وأفنية وأعمدة، وحلاه بالذهب والفضة، والنقوش.. وجعل عليه نخيلا.. وسلاسل.. ورصعه بحجارة كريمة (للجمال) » [3] والمنائر وسرجها من ذهب خالص.. والأزهار من ذهب.. والملاقط من ذهب، والصحون والمجامر والباب والمصاريع من الذهب الخالص [4]

١ـ بالزاى المعجمة المفتوحة.

٢ ـ الاصحاح الثالث عشر ـ نحميا

٣ـ الاصحاح الثالث ـ أخبار الأيام الثانى.

٤ ـ الاصحاح الرابع ـ أخبار الأيام الثانى

* قيمة الهيكل ...

«وادخل الكهنة «تابوت عهد الرب) إلى مكانه»

لم يكن فى التابوت إلا اللوحان اللذان وضعهما موسى فى حوريب حين عاهد الرب بنى إسرائيل عند خروجهم من مصر»[1].

لهيكل سليمان قيمة جمالية، لا قيمة دينية إلا بمعنى أن الوعاء الذى يحتفظ بالعهد... بالتوراة...

ومن حكمة سليمان أيضا - أنه زوج معظم أولاده ببنات من أهل المنطقة.

* النبوة تكدير ...

ثم أطلقوا على كل نبى وكل رجل من رجال الله (إنه مكدر إسرائيل) [٢] لأنه يذكر بالخالق المعبود، إله موسى.. وأن ذكر الله وسيرة موسى تكدران الملوك اليهود..!!

* بعد سليمان ...

رجع اليهود، بعد وفاة سليمان إلى رسيمهم «المدق» التاريخى الذى لا يسلكون غيره. وجاء من عبده ابنه.. جاء «رحبوعام» ابن سليمان.

جاء «رحبو عام».. وغريمه.. شيشق [٢] الذى هو سيتى الأول.

١ - الاصحاح التاسع عشر - الملوك الأول.

٢ - الاسم باليهودى.

ولكن قبل أن نشاهد أحداث شيشق.

وقبل أن نمشى مع البطل العظيم مؤدِّب اليهود الخالد، نحو[1] أو رمسيس الثانى «سيسى» ذو العزم وأبو الوطنية ومعلم الدنيا الفداء رمسيس بن شيتى. يالهما من أب.. وابن.. ويا لخلودهما..

★ معنى السلام اليهودى ...

كانت المنطقة تغلى..

العبرانيون، البدو، سكان الخيام، ضاربو الطوب فى صوعن «صان الحجر» وفى «تحتفيس» [2] تنيس، وفى كل (تامرى) [3] الوجه البحرى، ثم فى «منف» الجيزة. الذين طردوا من مصر، والذين ما كانت تدل طبائعهم الخاملة على مثل هذا العمل المرحلى المرسوم بدقة: مساكنة بدو البرية، ثم مساكنة أهل المدن والاستئناس بالكرامين من شعب الأرض.. والفلاحين.. صنع لهم داود.. مملكة...

وأيضا هؤلاء الذين يدخلون البلاد مستجيرين بها من رؤسائهم.. وشيوخهم ويتركون بقية الشكوى لنسائهم، فتصبح نجوى.. ثم يرجعون بعد أن عرفوا الأسرار والمسالك وارتبطوا بعملاء وعشاق

---

١ ـ الاسم باليهودى.

٢ ـ الأسم باليهودى

٣ ـ اسم الوجه البحرى بالمصرية القديمة.

معاميد للجنس المباح.. يخدمون المملكة.. !!

وهؤلاء الذين تظاهروا بأنهم فرق، وشيع، وأخلاط. وأمشاج.. فعلوا ذلك من أجل المملكة.. !

سلبوا ذهب المنطقة وفضتها.. من أجل المملكة.

واندسوا كالمساكين - يتعلمون كل صناعة.. لأجل مملكة صهيون.. تحولت الجبة الكتان، والمظهر الكهنوتى، إلى دروع ولباس قتال.

وانقضوا فى خطة مذهلة.. هنا سلام مع هؤلاء بمعاهدة منقوضة. وهنا دموع وبكاء وشكوى من جار.. ويبدأ الانقضاض.. طبقا للخطة.. خدروا منطقتين.. واستلبوا ثالثة وأعلنوا السلام.. ثم أكلوا المسالمين.. غداء.. وأعلنوا السلام، ثم أكلوا الرحماء العاطفين على الشكوى من جار.. أكلوها عشاء.

وأعلنوا السلام..

الواقع أنهم طردوا أهل البلاد منها، وغيروا أسماءها.. وصدق الله العظيم حيث يقول فيهم «الفريسة المتوحشة» كما جاء فى مدوناتهم..

***

لقد أحست مصر بالخطر.. بالخطر يهددها بتهديد المنطقة.

مصر التى وصلت بتفكيرها الحضارى.. إلى الإيمان بالله منذ سنوات قليلة.. فى ثورة تل العمارنة... وعبد المصريون بإقليم

المنيا في العصر الفرعوني رب العالمين الواحد الأحد، «آتون» رب الأرباب الواحد.

* تلاميذ الكتاتيب:

هبّت مصر.وخرج سيتي الأول تلميذ حور محب صانع الدستور واضع فكرة الجمهورية للدنيا[1].

خرج سيتي الأول الذي تربى في «كتّاب» يتعلم المصريون فيه تعاليم «أمينمحات»و «حردادوف» و «أمين موبي» و «ايبور» وكلها تحض على التمسك بالفضائل الإنسانية.. وتحرض ضد كل باطل.. والكتاتيب موجودة قبل سيتي الأول بما يقرب من الألف سنة، والتعاليم والحكم، البسيطة، التي تحض الشعب على التمسك بأخلاق الشعب التراثية، وتحرض ضد الرذائل.. تعتبر من وجهة نظري.. منابع أدب المقاومة..

***

* الخلاف المصنع ...

والمدهش ـ المذهل. الذي لا يصنعه إلا الأبالسة.. صنعه اليهود الموجودون في مصر.

---

(١) أنبه مرارا إلى زن الحقائق التاريخية الغالية حول (حور محب) قد ركّز عليها كثيرا الدكتور سليم حسن أكثر من غيره من علماء الايجيتولوجي غير المصريين.

لقد صفقوا لسيتى الأول.. وطالبوه بأن يَجْهز على العبرانيين فى أورشليم.

والذى هو أكثر دهشاً ـ وإذهالاً ـ أن هؤلاء اليهود الذين يعيشون فى مصر خرجوا بعد ذلك ليحاربوا فى صفوف يهود أورشليم ضد رمسيس العظيم.. بما يجعلنا نضع أيدينا اليوم، على المنابع الأصلية التى أخذ منها حكماء صهيون «بروتوكولاتهم» بعد ثلاث آلاف سنة فى تطبيقها فى نفس المنطقة وبنفس الأسلوب الأصلى.

«فى السنة الخامسة للملك رحبو عام»

« صعد شيشق ملك مصر على أورشليم»

«بألف ومائتى مركبه»

«وستين ألف فارس»

«وأخذ المدن الحصينة التى ليهوذا »

«وأتى إلى أورشليم»

«قصعد شيشق ملك مصر على أورشليم»

«وأخذ خزائن بيت الملك»

«أخذ الجميع»[1]

وكان هذا اللقاء أول صدمة حقيقية للمملكة التى ظنت أنها استقرت.. بعد الغربة الأبدية..

---

١ ـ الاصحاح الثالث عشر ـ أخبار الأيام الثانى.

* الإيمان الحضاري ...

أعجب العجب..

إنه بينما كانت مصر .. تصل على يد أخناتون (امنحوتب الرابع) إلى التوحيد.. كانت أمة اليهود.. قد انتهت من دفن صحف موسى وتوراته وعهده في التابوت. وبدأت في تبديل اسم الله من (يهوه) العبراني، إلى الاسم الجديد «رب الجنود» ومن ثم، وبالتبعية المنطقية للتغيير.. كانت أمة اليهود.. «الفريسة المتوحشة» قد بدأت تؤمن بالعودان الإيجابي على البشر. وبالارتباط الأبدى بشريعة اليهود الخاصة بنظرتهم للسلوك الاجتماعي.. بين الناس فما من ملك منهم مات إلا وانتهى الكلام عليه بهذه العبارة العبرانية:

«وعمل الشر فى عينى ربه»

«وسار فى طريق أبيه»

«وطريق أمه»

«وطريق يربعام بن نباط الذى جعل إسرائيل يخطىء»

بعد حور بعام.. ملك على إسرائيل (آخ آب) ثم ابنة (أخريا) ثم أخوه يهورام على فترات من السنين لا تعد، ثم يهو فاشاط ملك يهوذا، فى عهدهم، وهو الذى عمل سفن ترشيش لكى تذهب إلى أوفير لأجل الذهب[1]

---

١ ـ الاصحاح الثالث والعشرون ـ الملوك الأول.

ثم يهورام ابنه فى عهد الملوك المقابلين لبنى رسرائيل فى نفس الزمن.

* الوحدة اليهودية ...

ثم جاء يوشيا الذى ملك إحدى وثلاثين سنة فى أورشليم [١]

ويوشيا هذا كان اسم أبيه (آمون)

وكان اسم أمه (زبيدة) [٢].

وهى إشارة عاجلة لمدة اللعب بالأسماء للإندساس بين أهل المنطقة عند اللزوم فإذا قابلت اليوم من اسمه أمين.. مثلا.

أو اسمه ثابت.. مثلا أيضا.

وقال لك إننى من المهجر.. وخذ أموالى لصالح القضية العربية، فلا تعجب أن توقعه مقاديره هو.. فى المأزق الذى سبق أن حدثتك عنه فى خيال الفنان الشعبى الذى وضع قصة الظاهر بيبرس.. واكتشفت أن أمين هذا أو ثابت، فى حقيقة اسمه.. ايلى.. أو كوهين.. أو هما معا..!!

وربما مثل هذا الذى يدعى إنه أمين أو ثابت وأنه من المهجر ومن القوم المبرزين من أهل سوريا هناك، ربما يكون قد فعل ما فعل.. إنتقاما، لا من الحادث اليوم من حصار حازم حول المعسكر الاسرائيلى الصهيونى.. بل قد يكون انتقاما لثأر قديم ـ يوم أن أتى

١ ـ الاصحاح الثالث والعشرون ـ الملوك الثانى.

٢ ـ بالزاى المعجمة المفتوحة.

ملك (أشور) بقوم من «بابل» و (كوث) و (عوا) و (حماة) وأسكنهم فى مدن (السامرة) عوضا عن بنى إسرائيل [1].. فجاء • أمين ثابت) يثأر!!

الذى تفعله مصر اليوم، فعلته أمس للحيلولة دون اغتصاب هذا الاغتصاب العلنى لفلسطين.

الذين تفعله سوريا اليوم فعلته أمس لنفس الغرض

الذى تفعله العراق اليوم فعلته أمس لنفس الغرض

الذى تفعله الأردن اليوم فعلته أمس لنفس الغرض

الذى تفعله البلاد العربية كلها اليوم.. فعلته أمس لنفس الغرض[2].

* الهجرة:

بدأت الهجرة تتوافد على إسرائيل فى عهد يوشيا ابن آمون.

الهجرة التى تحدث اليوم.. لها مسبقات فى التاريخ، ولنفس الأسباب.

جاءوا بمال اعتصروه من عرق الشعوب، ليضعوه تحت أمر «صهيون» الحمى والوطن والحصن الصخرى.

وجاءوا بأسرار تهم صهيون فى المعركة القابلة.. ثم لتدعيم بناء

١ ـ هى واقعه.. وليست خيالاً.. ولا مثال..!!

٢ ـ بنواقيدار أعرق العرب فى التوراة.. والاسماعيليون بعد ذلك.

دولة المغتربين.

رجع الذين ادعوا أنهم فروا إلى مصر.. هربا من حكام أورشليم ليخبروا «يوشيا» أن رمسيس بن شيتى الأول لم يكتف بما صنعه أبوه فيهم.

وسأل اليهود ومن هو يا ترى ابن شيشق؟ وما هى قامته فى الحرب والقتال..

وحدث فريق كبير من «النباطيين» الذين كانوا يدعون أنهم فروا من مستعمرات اليهود إلى مصر، أيام سليمان الحكيم، لأنه (أثقل النير عليهم» بمطالبتهم باتباع الخير.. والخير والحق والمعروف فى نظر اليهود.. الكل باطل.

وشاهدوا عودة سيتى الظافرة.. وشاهدوا الفارس الذى جلس فى مكان أبيه، شاهدوا «نخو» ابن «شيشق» الذى هو رمسيس العظيم ابن سيتى.

كان الخط المنطقى «للروح المصرية» أن تصعد وتتسع وتجرف أمامها كل ما يتصدى لها بقوة صارمة عنيدة.

دولة جديدة، لئيمة، شاع أهلها فى البلاد يبيعون فكرة اسمها «الدين الموسوى» وينظر الناس فيرونهم يقترفون نقيضه ـ ونقيض الفطرة الإنسانية ذاتها..

والدولة الجديدة، اللئيمة، تلعب لعبتها بحنكة واقتدار مريرين، يبيعون للناس «فكرة» وهو يعتنقون فكرة أخرى... وهى تأمين قيام

دولة تقوم وتتعالى على أنقاض شعبها الأصلى، ثم تنسرح تدريجيا لتدخل بلادا أخرى داخل محيطها..

وكانت مصر (الحورمحبيّة) مجددة شباب الحضارة، ومُقيمة العدالة، وواضعة الدستور، ومنشئة القضاء، قد فعلت ذلك تمشيا مع مسيرة الحرية المفتوحة العينين التى بدأها «سكنن رع» و «كاموس» و «أحموس».. ثم الوحدة الأقليمية التى نادى بها ونفذها «تحتمس الثالث» والتى سماها البعض «امبراطورية تحتمسية مصرية».

إن المصاهرة المصرية بين تحتمس الثالث وبين العراق (ميتانى) تشجب هذا الإدعاء السيطرى.

ولكن...

وحتى ولو كان تحتمس الثالث أقام امبراطورية. أفليس من حقه أن يرد على ما كان حائقا ببلاده منذ خمسين سنة فقط من أيام حكمه.

كانت مصر منذ خمسين سنة من ولاية تحتمس الملك، محتلة بجيوش امبراطورية الهكسوس التى جثمت على البلاد مائة وتسعين عاما، حتى كادت تطمس ملامح الروح المصرية.

إن وطنية سكنن رع، وكاموس، وأحموس، دعفت تحتمس الثالث إلى صيانة حدود بلاده، بتوسيعها إلى شعوب المنطقة، وإقامة علاقات من شأنها إضعاف شوكة هذا الجنس الذى لا يؤمن إلا

بنفسه، والذى يسلك الحياة كالفريسة حينا، وكالفريسة المتوحشة أحيانا.

كان «نخو» إذن، وهو خارج من مصر لملاقاة اليهود، ملىء الذهن، والقلب، بأن معه «الروح المصرية» التى عليه أن يعطيها مجال الإنطلاق لتنظيف نفسها من آثار الطعنة الهكسوسية.. ولدك معاقل هذه الدولة الجديدة التى يبدو أنها تريد أن تعيد السيرة المذلة.. أسر الروح المصرية واحتلالها..

ووضع «نخو» الذى صاح فى المعركة ينادى ربها.. قائلا «يارب مصر، يارب النصر» وضع فى ذهنه أن معركة كمعركة أبيه، قتال ونصر وعودة، أمر يفرح اليهود.. يفرح «خيتا» اللئيمة.. ولكن الأمة التى تعبد ذاتها «أمة اليهود» ولا تعبد شيئا آخر.. إذا ضربت الضربة المفصصة العظام.. لابد من أن تتصدع ذاتها إلى أمد طويل.

ويا ليت سيسى العظيم «رمسيس الثانى» تعلم مومياؤه، وتماثيله، ومعابده فى الكرنك، وفى أبو سمبل، أن ضربته قد أجهزت على اليهود ثلاثة الاف من السنين.. قبل أن يتجمعوا للرد على مصر، بشراسة وحقد، يحملان فى طياتهما عودة مصر اليوم إلى الارتكاز على «الروح المصرية» التى لا تموت، وعلى الآخوة الصادقة مع شعوب المنطقة.. هذه الأخوة التاريخية رغم أزياء الأسماء التى صنعها التطور التاريخى..

وكان العرب فى برية العراق، وفى الجزيرة، وفى كل مكان

يتأملون ويشاهدون.. وكانت «خيتا» تسميهم «قيدار».. ليت رمسيس الثانى، يعلم، أن نصف كتب اليهود، مليئة بالملاحم اليهودية التى حاول صائغوها أن يجبروا كسر عظام إسرائيل وصهيون بعد الشتات والضياع الذى سببهما لهما «نخو».

* المصادر العبرية ...

علم «يوشيا الملك» بقامة نخو الذى هو رمسيس الثانى، فجمع الجنس اليهودى فى وحدة واحدة، الأنبياء والرسل، والرؤساء، والمحاربين، وكل البيوت اليهودية، إسرائيل، يهوذا الذين أصبحوا عبدة لفكرة صهيون، والذين كانوا مندسين فى بنى عمون، وكالدانيا، وأشور، وبابل، «ووقف على المنبر»، وراح يوضح لجنسه حقيقة المعركة القابلة.

وخرج «يوشيا الملك» للقتال..

«وفى أيامه صعد فرعون «نخو» ملك مصر»

«فصعد الملك يوشيا للقائه»

«فقتله فى مجدو حين رآه...» !!

«وأركبه عبيده ميتا... من مجدو»

«وجاءوا به إلى أورشليم»...

«ودفنوه فى قبره... »(١)

١ ـ الاصحاح الثالث والعشرون ـ الملوك الثانى.

***

وظن اليهود أن المعركة انتهت بقتل ملك أورشليم، المتربع على كرسي إسرائيل ويهوذا.

وأقام اليهود ملكا عليهم «يهو آحاز» بن يوشيا.

وراح (يهوآحاز) يتحرك فى المنطقة، يبرم أحلافا مصنعة.. معاهدات حبالى بالنقض..

ودفعه (نخو) إلى القتال..

واندفع «يهوآحاز» إلى القتال..

«وأسره فرعون «نخو» فى ربلة...»

«فى أرض حماة لئلا يملك فى أورشليم»...

«وغرم الأرض»...

« بمئة وزنة من الفضة ووزنة من الذهب»

«وأخذ يهوآحاز وجاء به إلى مصر...»

«فمات... هناك.. !!»[1].

انتصر سيسى على الأب وعلى ابنه، فى معركة مصرية واحدة، وفى نظر اليهود معركتين.

ثم فرض عليهم الجزية.. المال - سلاح الههم الجديد.. صهيون «وملك فرعون نخو، اليافيم بن يوشيا، عوضا عن يوشيا «وغير اسمه إلى... يهو يافيم».

---

١ - الاصحاح الرابع والعشرون - الملوك الثانى.

«ودفع يهوياقيم الفضة والذهب لفرعون».

«إلا أنه قدم الأرض لدفع الفضة بأمر فرعون».

«كل واحد حسب تقويمه...»

«فطالب شعب الأرض بالفضة والذهب ليدفع لفرعون (نخو!!)[1]

صرع رمسيس الثانى.. يوشيا الملك.

ثم انتزع ابنه يهو آحاز.. أسيرا وأتى إلى مصر.

وأقام الابن الثانى ليوشيا.. بعد أن غير له اسمه تأديبا وتمثيلا إلى اسم آخر هو يهوياقيم.. ثم جعله الوالى عن مصر على اليهود.. ليجبى الجزية.. التى وصلت فى إذلالها إلى شعب الأرض.. الفلاحين اليهود.

هذه هى حقيقة الشخصية اليهودية.

الفريسة المتوحشة.

تتجاذب بالجاذبية الجنسية المحض، وتعيش فى حياة مقفولة عن الناس.. والشرائع.. والفضائل.. لعلمها بأن طريقها هو طريق جمع المال.. وترك الكلمات الرنانة للشعوب.. الكلمات الرنانة التى كلها باطل.. الحق.. والخير.. والجمال.. والمعروف. وعندما تضربها ضربة فى المقتل.. فى المفاصل.. فى العقيدة (النرجسية) عبادة الذات.. تنهار.. وتتفكك.. وتفكر بقيمها.. وتحاول البحث عن سبب معقول للهزيمة.. وطريق للنجاة من آثارها.. ومخرج للعودة

---

١ ـ أخبار الأيام الثانى.

إلى الطرق الموصلة للحياة المختارة من جديد.

***

* الغناء الشعبى:

كانت مصر قبل أيام رمسيس، تغنى الأغنية التى سجلتها لنا كل كتب الايجبتولوجى والمنسوبة للأميرة المصرية موتاريس وقد جاءت الأغنية كاملة بكتاب السيدة «م. مورى» «هكذا كانت مصر» (١) وما ترجمته بالنص: (٢).

صحيح نسيتنى يا سيد الكل
بيفوت على دارى ولا يطل
لابسه لمين أنا عقد الفل
ده يوم فراقه يوم عدمى

***

ما ليش يارب غيره حبيب
حتى دعايا ما لوش مجيب
ارحم بكايا أنا دمعى صبيب

---

(١) M . Murray: That was recorded Egypt.

(٢) تعود العلماء المصريون ترجمة نصوص الأغانى إلى العربية الفصحى، باعتبارها أغانيها الكلاسكية التراثية، ولكنى ترجمت هذا النص إلى العامية الدارجة، لشيوعها، باعتبارها من الكلاسيك الشعبى..

ده يوم فـــــراقـــــه يـوم عـــــدمـى

***

شـــفـــايفـى داقـت مـنـه الـشـــهـــد

وشـــعـــرى وصـــدرى والنـهـــد

وقلبى أنا مـــا يطقـــشى الصـــهـــد

والـقـلـب داب وقـــــرب عـــــدمـى

وقد ترجمت لم هذا النص، لأوقفك على مشارف الحياة المصرية وحضارتها فى تلك العصور فنحس أولا بأن هذه الآلاف من السنين لم تخرج المصرى عن مدار الحب الشفيف والعاطفة الحارة. المصاغة فى أدب فنى لا يقل حياء عن السلوك المصرى.

فالمصرية مفطورة على العاطفة وكذلك المصرى مفطور على انعكاسات النداء الطبيعى الذى يتحول من نداء غريزى إلى لهفات موحية بجمال الحياة الغنية بالعاطفة وبالحنين وبالفداء.

ولم تكن المصرية كاليهودية بنت «آخاب» التى غنت «لبعل» للعجل الذهب لقوته وماله..!!

كانت الأغانى الشعبية منتشرة بالوادى الأخضر وكان هناك الكتاتيب التى يعلم فيها العريف، أولادنا الصغار، الحكمة، كتلك الحكم الرائعة التى خلفها لنا «أمين موبى» والتى ترجمها لنا المصرى العظيم الدكتور سليم حسن.

وكان فى «اهناس» مدرسة تعلم الأولاد الكلام الجميل. الذى هو

الموال. كما كانوا أيضا يفردون للأرغول حصة لتعليم العزف عليه.

فلا عجب أن يغنى هذا الشعب ملحمة لسيسى ضارب اليهود فى «قادش»[١] وأن يسير المداحون الفراعنة الشراقوه بملحمتهم من صان الحجر حيث قاعدة عم رمسيس حتى طيبة والأقصر وأرمنت، قاعدة الوادى الأخضر التقليدية قبل صان الحجر وقبل تل العمارنة فى المنيا[٢].

* منابع القومية العربية:

وكان المصريون يتصاهرون مع العرب مع الكنعانيين والأشوريين والبابليين والكلدانيين العراقيين. أما اليهود فلا، إلا أيام (هوليبة) التى سيمر بك ذكرها.. !

وانك لتعجب كيف وصل الوثنيون جميعا فى المنطقة إلى القيم الانسانية الغالية وإلى الفضائل البشرية وإلى البحث عن المعبود الواحد الأحد.

---

١ ـ من المُحال أن يُقال عن وقوع المعركة فى قادش أن اليهود اختاروا أن تكون خطتهم دفاعية.. فمكان قادش يثبت أن خطتهم (خوفية) (رعديدية) (فرارية) لأنها راجعة إلى وراء الحدود كثيرا.. وأكثر مما احتاجوه لتخبئة جيش آخر.

٢ ـ صان الحجر.. واسمها بالمصرى القديم «رعميسيس» وباليونانية «تنيس» وبالعبرية «صوعن» وقد اشتق الاسم بالفلولوجية العامية (الأصوات) من العبرية لاختيار اليهود أرض الشرقية (جاسان) للسُكْنى منذ زار يعقوب النبى مصر.. وذلك حتى يكونوا قريبين من الفرار إذا دعاهم الداعى...

تعجب لذلك، ولا بقاء الوثنيين على الفضائل البشرية بينما اليهود الذين جاءهم موسى «بالدين» انصرفوا عنه. وظلوا شديدى التمسك بمعبودهم الأبدى. العجل.. الذهب القوى...

كانت أم اخناتون من (ميتانى) من العراق.

وكانت زوجة رمسيس الثانى قبل الجميلة الحبيبة نفرتارى كانت عراقية أيضا هى «رع نفرو» ابنة الأمير العراقي نختن. وكانوا يوظفون السوريين ويأتمنوهم على أعمالهم وعلى أسرارهم وشاهد قبر الكاهن السورى (روما) الموجود الآن بمتحف كوبنهاجن بالدانيمارك يثبت ذلك،

وقد وحد تحتمس الثالث، الجد الأعلى لرمسيس بلاد المنطقة كلها فى وحدة واحدة حتى يخمد أنفاس الدود الشائع فى المنطقة بالفساد العنصرى الخيتنى «اليهود» وقد تم له توحيد المنطقة حتى إلى ما بعد آسيا الصغرى وجزيرة كوس[١].

ومصر التى من عقائدها الشعبية، أنه لأجل الورد يسقى العليق. سقت اليهود من أجل النبى يوسف عليه السلام.

ولم يكن لهم عزوة ولا شأن ولا جاه قبل يوسف اذ كانوا مجرد جالية تسكن قرية حور من أعمال منف إلى جوار أبى الهول.

وازدادوا كثرة أيام النبى المصرى موسى عليه السلام، إلا أنه أمرهم بالخروج من مصر، لكنهم ترددوا ورفضوا فكل همهم أن

(١) مسقط رأس أبقراط الحكيم وهى غير «كوش» التى ترد فى المراجع العبرية فى مواضع مختلفة وكثيرة.

يسحبوا بساط الوادى الأخضر من تحت اقدام المصريين، ويتربعوا هم عليه، ويقول لهم موسى فى ذلك. فى التوراة:

* نبوءة يهودية بهلاكهم ...

«لكنكم لم تشاءوا أن تصعدوا، وعصيتم قول الرب الهكم وتمرمرتم فى خياكم، وقلتم الرب بسبب بغضه لنا قد (أخرجنا من أرض مصر، ليدفعنا إلى أرض الأموريين لكى يهلكنا) إلى أين نحن صاعدون، قد أذاب اخوتنا قلوبنا قائلين: (شعب أعظم وأطول منا) (مدن عظيمة محصنة إلى السماء) وأيضا قد رأينا عناق[1] هناك فقلت لكم لا ترهبوا ولا تخافوا منهم، الرب الهكم، السائر أمامكم هو يحارب عنكم حسب كل ما فعله معكم فى مصر أمام أعينكم، وفى البرية حيث رأيت كيف حملك الرب الهك كما يحمل الانسان ابنه فى كل الطريق التى سلكتموها حتى جئتم إلى هذا المكان».

كانت فلسطين موجودة

باعتراف موسى

كانت فلسطين موجودة وعامرة

باعتراف موسى

---

(١) الاصحاح الاول - سفر التثنية.
وعناق: عرب من الاسماعيلية، من ذرية اسماعيل بن هاجر المصرية.. استوطنوا منتشرين أراضى فلسطين الشرقية والجنوبية.

كانت فلسطين موجودة وعامرة ويسكنها شعبها الفلسطيني من الأموريين وليس من اليهود. ولما خرج اليهود من مصر ذهبوا ليستوطنوا فيها.

الشعب الأمورى الذى يقولون عنه لموسيانه (شعب أطول وأعظم منا).

كان فى فلسطين قبل أن يدخلها اليهود.

كان هناك مدن عظيمة محصنة للسماء.

***

* السلف ...

ومنذ أن خرج سيدنا ابراهيم من بلده «أور» فى جنوب العراق وجاء مصر وتزوج بالسيدة هاجر، وانجب منها اسماعيل، بقى اسماعيل فى الجزيرة العربية لا علاقة به بأخويه وبأولاد عمه أو أخوته من اسحق ويعقوب، ولحكمة أرادها الله أن يكون كل أولاد اسماعيل من العرب، ومن أولاد عناق.[1]

أمر الله يعقوب وهو يعبر الأردن أن يسمى نفسه اسرائيل.

ومن أول سيدنا يعقوب، بداية من ذريته، أصبح لليهود بيت له مقام وشأن انتسابا للأب يعقوب، بعد أن فصل الاسم الجديد بين يعقوب وإبراهيم وإسماعيل، فاسرائيل تبدأ من هنا ...

(١) وأولاد اسماعيل، جد العرب العاربة، قد انعزلوا عن الوراثة العبرانية، والدم العبرانى، بأمومة هاجر (المصرية) وبزوجة اسماعيل وهى مصرية أيضا (.. وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر..) «الاصحاح ٢١ تكوين».

* والخلف ...

اليهود كما ترى عائلات، وشيع، وفرق متناثرة مقلقلة من أول يوم لا وطن لها من أول الأمر، تشرق وتغرب، ولا أرض لها. ومن ذلك فإنها لم تكن في يوم من الأيام شعبا. إنها جنس يتحرك في تجمعات ولكنها ليست على الاطلاق شعبا.

«وفى السنة الخامسة للملك رحبعاك صعد شيشق ملك مصر إلى أورشليم وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وأخذ كل شئ»(١)

ومن قبله بسنوات قليلة ضربهم تحتمس الثالث وهو يكشف الشعور بوحدة المنطقة، ضربهم فى (ماجدو) وكذلك عم رمسيس، كان صاحيا جالسا فى بساتينه بصان الحجر يعد العدة، وقد أقام لها قلعة حصينة فى القنطرة (ثارو) وخرج اليهم فاختبأ اليهود فى احدى القرى، وتركوا له الطريق، حتى إذا ما واجه ممرا ليصعد إلى الجبل. هجم عليه الأعداء. الذين خرجوا من خلف (من المدينة التى كانوا مختبئين فيها)، وأخذت المفاجأة معظم أفراد الجيش إلا أربعة، أربعة أرواح مصرية. كما تقول الملحمة فقد ثبتوا فى مكانهم، أولهم. سيسى العظيم عم رمسيس وثانيهم وثالثهم الحصانان المصريان اللذان يحبهما رمسيس ويحبانه، واللذين خلع على الأيمن منهما اسمه «النصر فى طيبة» واسم الحصان الثانى «الالاهة نوت زوجة أمون مرتاحة» وسائق العربة الحربية...

---

(١) الاصحاح الرابع عشر - الملوك الأول.

⋆ المداحون الفراعنة ...

وبدأ المداحون المصريون القدامى الملحمة الدهرية العظيمة بنفس الأسلوب الذى يبدءون بها ملاحمهم فى العصور الأخيرة - أى بالمدح.

فتماما مثلما نسمع اليوم البداية (بالصلاة) علىٰ النبى.

أول ما نبدى القول نصلى على النبى

أو كما تسمع المداح الآخر يقول:

يا مداح النبى اشرح كلامك	وقول للناس رسالة المداحين
يا عم مدحنا فى الزين محمد	نبى عربى وآخر المرسلين
رجال الله لا خوف عليهم	ولا خوف على المدركين
رجال طلقوا الدنيا ثلاثة	وعن فعل المعاصى تائبين

ثم ينعطفون من المقدمة التقليدية التى هى شعارهم بالصلاة على النبى ومدحه. تماما كان المداحون القدامى يفعلون. فقد بدءوا الملحمة التاريخية على غرار أغانيهم الشائقة التى يقولون فى بداياتها ما ترجمته.

الصلاة على رع طلعته فى شرق السما

أو كما يمكن ترجمته بالفصحى، والنص مأخوذ من «كتاب الموتى» لأنشودة «إلى الشمس الغاربة» الواردة بنفس المصدر وبدايتها.

الصلاة على (رع حور أختى حينما يغيب فى أفق السماء الغربى،

وكالنصوص المغناة أيام التوحيد، أيام امنحوتب الرابع (اخناتون) أنت تبزغ (بجمالك) فى أفق السماء.

كما تسمع اليوم، **أنا مداح النبى وعاشق (جماله)**

أنت تشرق بجمالك يا آتون يا حى يارب الأبدية

أو كما جاء فى نصوص الأغانى الغزلية (الفلولكلور) الشائعة فى العصور وأشهر ما وصل إلينا منها المجموعة من أوراق شستربيتى

«أعبد ايزيس

«الواحدة الذهبية

«امدح جمالها

يريد الكلام أن يستطرد فى الواحدة الذهبية ايزيس العظيمة صاحبة الحياة التى تحولت إلى أول وأعمق دراما فى الوجود، بين زوجها الخير وسلفها الشرير[1].

... المهم ... ان الغناء يبدأ بلفظة المدح لله، وللبطولة، بنفس الأسلوب الذى يبدأ المداحون المصريون به غناءهم.

والواضح أن الملحمة مبتدئة بلحظة المفاجأة التى ثبت فيها سيسى العظيم.

يارب أمون

(١) حوّلت هذه الدراما إلى عمل فنى اذاعى كبير باسم «أنس الوجود» وأذيعت كثيرا، وتحتفظ به الاذاعة فى مكتبتها.

الحمد لك

يارب النصر

يارب مصر

أعبدك

سيسى العظيم سيد غض الشباب

شجاع القلب منقطع النظير

مثل الاله منتو، القوى، الغضوب(١)

فى بهاء «آتون» اشراق وطلعة(٢)

باعث الفرحة فى الناس جميعا

صاحب النصر على كل البلاد

الذى لا يستطيع عداه أسره

بل هو للجند أقوى من جدار

وهو درعهمو فى أيام الوقائع

لا مثيل له فى تصويب الرمايه

قوته مثل ألوف وألوف

زاحف أبدا إلى قلب المعامع

ما أشد قلبه حين النزال

إنه كالنار تلتهم الحطب

---

(١) منتو - معبود مصر قبل آمون، وهو رب الأقاليم المصرية، والأصالة المصرية هى التى جعلت القوم لا ينسون القديم.

(٢) آتوم - الضياء المعبودة أو اله الضياء

دائم متأهب جدا كثور
هو معروف لكل العالمين
الآلوف أمامه لا تثبت
والمئات من الألوف يهربون
هو رب الخوف فى أحشائهم
فى القلوب، قلب كل أجنبى
وادى الغزلان هو أسده
ظافر فى غزوه وحربه
عائد بالابتهاج وبالتواضع
محكم التدبير والأوامر
وهو فى الواقعة حامى جنده
قلبه كجبل من البرنز
ملك الوجهين قبلى وبحرى
يا رعمسيس ويا معطى الحياة

***

طلع رمسيس والصيف سويا
طلعا على الحدود المشرقه
ودعت قلعة «ثارو» جيشه
البلاد الأجنبية ترعد
تحمل الجزية خوفا ومتابا

جيش «سيسى» يقهر الصعب دواما
فهو يجتاز دروبا ضيقة
مثلما يجتاز فى مصر الطريقا

***

لمس الملك حدود الشمال
وهو دوما للجنود، مقدمه
هاهى «قادش» قد صارت أمامه
وأمير «الخيتا» قد جاء كذلك
يا أمير «الخيتا» انت يا مرتعد
أيها الخاسئ يا مقهور عد
أنه بالختل والشيم الدنية
جلب كل البلاد الأجنبية
من حدود البحر من أقصى البريه
فى حشود مالها عد وحصر.
إنهم مثل جراد منتشر
غطت الوديان من كثرتها
وأمير الخيتا لم يترك سبيلا
لبلوغ الهدف إلا سلك
مغريا اشياعه بالفضة
جالبا أحلافه بالذهب

وإذا ما العسكر الرمسيسى بانوا
اختفى «الخيتى». أين؟ أين راحوا
***
لم ير رعمسيس خيتيا أمامه
فمشى يمضغ الطرقات.. مضغا ..
تاركا من خلفه بلد «الجليل»
وأمير «الخيتا» فى مخبئه
خاسئا بين جنود خاسئه
ها هو رمسيس هم بالصعود
وإذا «الخيتا» له فى كوكبه
يركب الفرسان منهم مركبه
والمشاة فى عتاد وزرد
وصفوف لا تعد كالرمال
نظموا أنفسهم فى فرق
من كمين كان خلف قادش
هاجموا جيش رمسيس البطل
جيش رع هوجم فى قلبه
وهو يمشى غافلا عن قدره
هاجموه الخاسئون فجأة
فى قلبه من خلفه وأمامه

فتراجع بعض فرسان الملك

***

حاس يا حرب اليك اننى
رعمسيس ملك مصر العظيمه
أين درعى ونبالى وسلاحى
لا تخف يا أيها (النصر بطيبة)
ويا (الهة موت يا زوج أمون)
يا جوادى العظيمين، أنا
فى الطريق إليكما ، لا تهنا
لا ترع من كل عربات العدو
لا ترع إذ أنت أصبحت وحيدا
يا له من موقف صعب شديد
وصفوف الخيتا من حولى تزيد
لم يكن لحظتها معى... رئيس
لا ولا الفرسان منهم واحد
أو من الضباط فى الوقت معى
المشاة تركونى للعدا
بعدوا اذ فر معهمو الثبات
يارب أمون
يارب النصر

يارب مصر
يارب أمون
ماذا جرى
إن فعلى كله بمشيئتك
أعبدك أمدحك أمجدك
يارب مصر
يارب مصر يا عظيم
فيك ظنى واعتقادى، حسن
انت لا تسمح للوادى بسوء
انت لا تنحاز مع الأجنبى
قد أقمت لك آثارا عديدة
وبأسراى ملأت كل معبد
قد أقمت الكرنك العتيد لك
معبد يبقى لآلاف السنين
والهدايا والعطايا والمنح
والنباتات الجميلة، والعطور
والذبائح كل تلك القرابين
لك وحدك
أعبدك
أمجدك

يارب أمون

يارب النصر

يارب مصر

المحاريب لك وكل رائع

كل فعل حسن يؤتى بها

من صميم الروعة، أبوابها

وبأمرى شيدت عمدانا

كل عامود «يمثل» علما

وبنفسى اخترت من (أسوان) صخرا

آه يا «فنتين» يا أم الجبال[1]

للمسلات العوالى الشامخه

أحمل الأحجار يارب بنفسى

والسفائن رائحات غاديات

هذه تحمل من فنتين صخرا

ثم أخرى للبلاد الأجنبية

تجلب الأعطية والجزية لك

يارب أمون

يارب مصر

يارب النصر

أعبدك

(١) فنتين.. اسم أسوان أيام الجدود العظام

أمجدك
أنني ادعوك، ادعوك يارب
اننى فى وسط أعداد كثار
كلهم ضدى، وضدك، مجمعين
أنا لا أعرف منهم أحدا
وأنا فى محنتى الآن وحيد
وجنودى هجرونى كلهم
لم يستطيعوا الالتفاف - حذرا
وأنادى وأصيح ولا مجيب
هأنا أنادى ربى وحده
هو خير لى من كل الآلاف
ولقد سمع آمون ندائى
وندائى دق أبواب بلادى
كل من فى طيبة سمع النداء
سمعت أرمنت صيحاتى هنا
رغم بعدى عنهمو رغم المدى
مد لى ربى يدا يخرجنى
ها هو يقول لى إلى الامام
رمسيس إلى الامام أنا معك
أنت يا رمسيس عبدى القوى

واله النصر مع الأقوياء

***

ارجعى إلىَّ يا شجاعتى
يا فؤادى امتلئ بالفرح
كل ما كنت أؤمل فيه عاد
باليمين أضرب وبالشمال
وكأنى صرت «بعل» غاضبا
وهموا أعرف بقوة بعل...[1]
باليمين أضرب وبالشمال
ضربة هنا واثنتين هناك
وقفوا مندهشين بلا حراك
باليمين أضرب وبالشمال
ووصول أيهم نحوى محال
فالنبال فى يدى أقسى النبال
تلك عرباتهم كانت هنا
أين راحت، أين هم شؤم الرجال
أين هم يا أيها النصر بطيبة
يا مخيف الخصم فى يوم النزال
هزت الرعدة أوصال الرمال
وتمايلت بالعدا كل التلال

(١) إشارة صريحة إلى عبدة «بعل» العجل.. أو الثور.. اليهود

لم أمكن أيهم.. يتلفت
لم أمكن أيهم.. يتلفت
يا لبؤس النصل فى يد الجبان
يده من خوفه مشلولة
واذا فر لينجو.. وقعا
يقع فوق أخيه الخاسئ
كل شئ صار يا خيتا فرار
عربات ملقيات بالقفار
وخيول سحبت ذيل الهرب
والرجال عليهم الأمر اختلط
حسوا النهر طريقا يعبرونه
يا لذل الخائفين المغرقين

***

واذا الجيش الذى كان كمين
يوقف النشوة بالنصر بزحفه
والأمير الخاسئ الخيتى معهم
فى عتاد وعداد هائله
غير أن وجهه مغبر
فاقد السيطرة يرنو حائرا
وأشار لألوف الأمراء

للحراب فى أياديهم.. مضاء
وعرفت الخطة ذات الدهاء
همهم تصويبها.. لمفرقى
ثعبان تاجى همهم أن يرصدوه
كنت وحدى هدفا للخطة
دمى هو المطلوب من كل الحراب
وأريتهم أنى أدور تراجعا
حتى أوسع للجموع فتقترب
يا أيها السائق «منا» لا ترع[1]
ما قيمة الجبناء مهما أحرقوا
انظر إلى وجهى الذى لا يشحب
كالصقر يثبت ثقة بجناحه
وسائق العربة «منا» فى بوار[2]
وصوته من رعبه مثل الخوار

(١) منا.. ثالث الثلاثة.. الجوادان الفارسان..ومربيهما. سائق عربة سيسى.. «منا».
ترى..؟ هل رسب باللسان المصرى، القول عن الحصان المدملج، ذى الشباب الجموح «سيسى» تذكارا غائما فى الضمير.. لحصان سيسى العظيم..؟
(٢) الكلام هنا كلام المداحين وليس كلا م رمسيس.. ليس تنقيصا من قدر «منا» وانما لخدمة شخصية البطل...

يا سيدى الطيب ماذا تنتظر[1]
يا سيدى الآن نحن وحدنا
وعداك ها هم من حولنا
يا سيدى وقد نأى فرساننا
فلننج من هذا العدو المحدق
ثم انقضضت عليهمو فى بغتة[2]
وأذقتهم طعم يدى فى ضربها
وتحولوا إلى نعاج تذبح
وسمعتهم فى ركضهم يتصايحون
هذا الذى جئنا له ليس بشر
هو الاله «بعل» فى أعضائه
هل يعقل الانسان أن واحدا
منفردا يهزم آلاف الجموع
ليست القوة ضربا وحرابا
ليست القوة إحكام النبال

(١) الخطاب هنا موجه من «منا» لرمسيس.. والجدير بالأشارة.. أن القالب التعبيرى هو هو عند المداحين الفراعين.. المدحين الفلاحين اليوم..الحديث يُساق عن البطل غائبا.. ثم يوجه له خطابا حاضرا. ثم يجرى الكلام على لسانه فى وثبات مُذهلة...

(٢) المفاجأة.. كما هى السلاح اليهودى هى نفسها طريق النصر عليهم.. فالمفاجأة تحُدث «الارتباك» لدى الشجعان.. أما الجبناء.. اليهود.. فتحدث فيهم الذعر واليأس والفرار.

ليست القوة حتى من شجاعة
انما لو تبصرون وقفته
قدومه وهجومه ورزانته
لرأيتم الجبار فى قوته
تعالوا فلنول مسرعين
من يولى دبره فقد نجا
فالنجاة، النجاة، يا يهود
ناديت فى قومى الثبات يا جنود
ان انتصارى ليس يا فرسان نصرى
بل هو نصر الرب لى نصرامون

***

ياما أشد وما أمر وقوفكم
متخاذلين لحظة المباغتة
وياله من عبث أأعتمد
عليكمو يا أيها الفرسان يوما
مع أننى أصنع فى مصر الجميلا
من أجلكم أنتم يا فرسان بلادى
أخرجتكم من فقركم إلى الغنى
جعلتكم تشاركوننى الطعام
وأمرت أن ترثوا وأن تورثوا

ومحوت كل الشر من طريقكم
ومن الضرائب قد جزلت عطاءكم
واعدت ما اغتصبوه منكم ولكم
لأى شاك جاءنى قلت: نعم
من غيرى فعل الذى فعلته
صرحت بالسكنى لكم فى المدن
نظير يوم تفتدون بلادكم

***

ما كان أغنانى عن الحرب الضروس
لو أننى فضلت عيش الناعمين
كجدود لى كانوا يلعبون
وكنتموا أيضا بمصر تلعبون
والمجد فى الحرب دفاعا عنك مصر

***

راح الغروب بهمه وشجونه
وأتى الصباح المشرق المتلالئ
والخاسئ الخيتى احضر باكيا
يقبل الأرض أمام جلالته
وجلالة الملك العظيم ينظر
وقبلوا الأرض جميعا اليهود
والخاسئ الخيتى ظل يمدح

ويقول انت الملك الحامى الجنود
أنت الشجاع الحصن للعساكر
يا ابن (رع) يا خارجا من أوصاله
وهو الذى أعطاك كل الأراضين
(مصر) و(خيتا) وكل الأرض لك
فلا تكونن شديدا معنا
وأى خير فى العقوبة للخدم
ليتك تصغى لبكاء الثاكلين
جئنا لنطلب السلام يا ملك
إن الجنوح للسلام هو خير
السلم شئ لا يضر.. فافعله

***

جيشى السلام أتى لمصر مظفرا[1]
سيسى يعود لقصره منتصرا
والناس فى أعيادهم يتناشدون[2].

---

(١) هذا النص مأخوذ عن كتاب الادب المصرى القديم للدكتور سليم حسن، مع تصرف يحوله من (قصيدة) إلى ملحمة

(٢) خُذ من الملحمة الخالدة دليلاً، فى الطريق، قبل أن تترى الادلة المفحمة، على أن معركة رمسيس الثانى، المحفورة على جدران الكرنك.. وعلى بوابة أبى سمبل.. لم تكن ضد (آسيا الصغرى) كما ذكر علماء الايجبتولوجى، وانما كانت ضد اليهود.. الملحمة تذكر «قادش». وهى البلد التى وقعت بها المعركة لقربها من فلسطين المغتصبة.. التى كانت فى ذلك الوقت فى نهاية الأربعين عاما التى عاشتها كدولة..

الفصل السابع

التقويم المصرى - العبرى - المقارن

* زليخا ...
* الاستبرتيز ...
* حبيبة رع ...
* براءة ...
* المقياس ...
* الإقطاع ...
* الجاسوسية ...
* لمة الشمل ...
* رسالة إلى يعقوب ...
* زوج الست ...
* التمساح ...
* الغرباء ...
* وحوى وحوى ...
* فن الاعلام ...
* الوحدة الوطنية ...
* سنوحى ...
* المؤامرة ...
* اليهودية ...
* الوصايا المصرية ...
* الأحلاف ...
* الهكسوس ...
* سيسرا ...

فى تاريخ مصر، رجال عظام أعظم من الهرم، ومن صاحب الهرم نعم، فى تاريخ بلادنا ، رجال لهم سيرة، أطول من عمرهم، بآلاف السنين..

ومن هؤلاء، وعلى قمة الذكر الرفيع، رجال، كأنهم - رغم مئات السنين التى تفصل بين عصر كل منهم، ورغم اختلاف الوطن المحلى الذى ولد كل منهم فيه - كأنهم اجتمعوا سويا ، فى غرفة

واحدة، ووضعوا شريعة الوطنية المصرية، ثم وضعوا أيديهم جميعا، على التراب.. تراب مصر.. وأقسموا به أن يحافظوا على الشريعة.. ثم خرجوا.. سويا.. وتفرقوا، كل إلى جهة «على حدود البلاد.. ومنذ ذلك اليوم، وكل منهم واقف فى مكانه.. يذود بمواقفه، وبذكراه... وبشريعته التى خرج من أجل تنفيذها وصيانتها.. يذود عن الوادى الأخضر، الذى نعتته التوراة بجنة الدنيا مصر

١- الصعيدى: انتوف (١)

ومن أرسنت، رفع صيحته المهيبة الجليلة، فتردد صداها فى كل جنبات (كيمى) أى مصر.. مناديا بالوحدة الوطنية، وتم له ما أراد.

٢- الفيومى: أمنحات الأول (٢)

ومن أهناسيا، فى مدخل واحة الفيوم خرجت طلائعها لتبنى القلاع على حدود سيناء، والحدود الجنوبية، وليجدد ما سبق بناؤه من قلاع وهو صاحب ... (سنوحى) ..!!.

٣- الصعيدى - أحموسى (٣)

ومن قنا وسوهاج وأسيوط، أطلق موكب التحرير المندفع ضد

---

(١) حكم مصر ابتداء من ٢١٦٠ (ق.م)أى منذ أكثر من أربعة آلاف سنة. وهو مؤسس الاسرة ١١

(٢) حكم مصر ابتداء من ٢٠٠٠ ق.م مؤسس الاسرة ١٢ وبين الرجلين ١٦٠ عاما.

(٣) بطل التحرير.. محرر مصر من الهكسوس

الهكسوس.. حتى النصر النهائى.. ثم.. وسيأتيك الحديث عن « ثم » هذه..

٤- **ابن المنيا - حور محب.**

واضع أول دستور فى الدنيا ، وباذر أول بذرة لفكرة الجمهورية فى التاريخ الإنسانى، ورب القضاء البشرى.

٥- **الشرقاوى الرجل الملحمة.. رمسيس الثانى.**

هادم الدولة الصهيونية.. ومشتِّت معسكر اللصوص.. إلى الأبد.

★ زليخا..!

ولكن؟ أين (فرعون يوسف) فى هؤلاء..؟ ونحن بصدد حكاية اليهود..

وأين (فرعون موسى) أيضا.. ؟

ونحن نريد أن نعرف (فرعون يوسف) لا لنطابق بين التاريخ المصرى والتاريخ العبرى ونحن نضع التقويم وحسب، وإنما لنعرف من هى زليخا هذه..؟

كيف نواجه الموقف، ونحن نقص على الناس، من مدوناتهم، تاريخ الفحش والعار الذى هو تاريخ اسرائيل، ومن بيننا امرأة مثل زليخا.

لابد إذن من التقويم التاريخى لمعرفة من هى تلك هذه العاصية. ولكن الأمر سوف لا يخلو ممن يوجه نقدا للتقويم، ويقول إنه من

الجائز فى هذا التاريخ القديم أن يحدث خلاف فى بضع عشرات من السنين قبل حكم فرعون معين أو بعده..

وإذن فلابد من المنهاج الذى لا يخطئ ..[1]

منهاج الفولكلور الذى هو تفسير العادات والتقاليد والمجتمعات[2] المرأة التى تقفل الابواب وتقول لرجل نزوتها «هيت لك» أو بعبارة التوراة.. (اضطجع معى) لا يمكن أن تكون مصرية، لابد أن تكون امرأة مارست «الاستبرتيز» رقصا أو بغير رقص، هذا الطبع، حتى فى نطاق النزوة، ليس طبعا مصريا[3]

إنه طبع مدرَّب، وعنده الفحش، عادة مشروعة، كل ما فى الأمر أنها تخشى على نفسها من الزوج المصرى الذى بلغ به افتخاره بنفسه، أن يتضمن جدول مفاخره.. ما قاله رمسيس الثانى عن رجال مصر، بسماحه للمصورين أن يرسموه على جدار البهو الأيمن لداخل

---

(١) «إن (التقاليد الشعبية) الموروثة إذا لم تصل إلى منزلة الحقائق التاريخية فإنها تحتل بغير شك المنزلة التى تليها» سليم حسن - الأدب المصرى القديم - ص ٣٢٠.

(٢) «الفولكلور» كلمة تُكتب وتنُطق فى اللغات كلمة واحدة، والكلمة فى صرفها من كلمتين «فولك» أى السواد الأعظم، أو كما نقول اليوم «الجماهير» «لور» ومعناها بالانجليزية الكلاسكية «كلام» ويكون معنى «فولكلور» «كلام الجماهير» الذى هو بين الفنون يعتبر «الفن الشعبى».

(٣) يقول الدكتور سليم حسن عن الذين يعتمدون على الأوصاف المعاصرة لأى فرعون بأن ذلك لا يوصلهم إلى شئ.. إن الاوصاف المعاصرة التى خلفها لنا التاريخ عن هؤلاء الملوك لا تفيد المؤرخ الباحث أو الاديب الناقد فى كشف النقاب عن شخصية أى فرعون فى صورة واضحة جلية.. الادب المصرى ص

معبد أبى سمبل، بصورة أضافت إلى ألقابه، بين الناس «إله الخصوبة»..!

إن هذه الشيمة العارية الوقحة، التى لم تلاحظ فى عالم الحيوان، أن تنادى الأنثى ذكرها، والخالية من الحياء الغريزى، ومن الحياء الاجتماعى، ومن مكانة ملكة فرعونية، ومن كبرياء الدلال الأنثوى، بل وخالية حتى من مذلة الطاعة التى يأمر بها الحب.. ليست شيمة مصرية.

هل كان هذا الفرعون.. مريضا.. هزيلا.. باهتا.. دميما.. ؟

سيرى الناس أن جواب ذلك كله .. بالنفى.. !

إلى هنا، ومنهاج الفولكلور.. يحدث خلخلة تمكن من الدخول إلى نقطة أخرى.

هل زليخا هذه.. من جنس آخر غير مصرى..

أما أبوها فمصرى. وملك من الملوك الذين جاءوا من صلب ملك ناصع المصرية.

ولكن أمها تنطوى على زغل.. وشائبة..

فمن هى أمها ؟

إن التاريخ لم يذكر لنا اسم أمها.. وإنما ترك لنا سلسالا من النساء لم يذكر أسماءهن.. ولم يذكر جنسيتهن، ولكنهن تجمعن مع (رجال مخنثين) فى مؤامرة لاغتيال عاهل هذا البيت ومؤسس هذه الأسرة ..

* **حبيبة رع ...**

إن الملكة العاصية، هى الملكة «حبيبة». ! الاسم الذى اختارته لنفسها هو هذا الاسم (حبيبة رع) أما اسمها الملكى، الذى أطلق عليها فى البيت منذ ولدت.. فسنعرفه بعد قليل.

لا تتعجل الوثائق فهى كثيرة.

***

نقرأ نصوص «التوراة»:

«وأما يوسف فأنزل إلى مصر واشتراه فوطيفار خصى فرعون رئيس الشرط. رجل مصرى من يد الاسماعيليين الذين أنزلوه هناك. وكان الرب مع يوسف فكان رجلا ناجحا. وكان فى بيت سيده المصرى»[1]

أما فرعون «فوكّله على بيته ودفع إلى يده كل ما كان له» «ولم يكن معه شيئا إلا الخبز الذى يأكل وكان يوسف حسن الصورة حسن المنظر»[2]

«وحدث بعد هذه الأمور أن امرأة سيده (رفعت عينيها) إلى يوسف وقالت (اضطجع معى) ..»[3] «وكان إذ كلمت يوسف (يوما فيوما) أنه لم يسمع لها أن يضطجع بجانبها ليكون معها».

«ثم حدث نحو هذا الوقت أنه دخل البيت ليعمل عمله (ولم يكن

(١) الاصحاح التاسع والثلاثون - تكوين
(٢) نفس المرجع
(٣) نفس المرجع

إنسان من أهل البيت هناك فى البيت) فأمسكته بثوبه قائلة اضطجع معى. فترك ثوبه من يدها وهرب إلى خارج. وكان لما رأت أنه ترك ثوبه فى يدها وهرب إلى خارج أنها نادت أهل بيتها وكلمتهم قائلة انظروا قد جاء الينا برجل عبرانى.. (ليداعبنا) دخل إلىّ ليضطجع معى فصرخت بصوت عظيم»[1]

وقالت للملك بعد عودته «دخل إلى العبد العبرانى الذى جئت به إلينا ليداعبنى».

«فأخذه سيده ووضعه فى بيت السجن».

«المكان الذى كان أسرى الملك محبوسين فيه»[2]

***

وضع فى سجن الأسرى.. !!

ويمضى الخبر عن يوسف فى التوراة، دون ذكر لاسم الفرعون أو لاسم الملكة مزغولة الجنس، حتى إذا ما انزعج فرعون من الحلم الذى رآه، وقيل له إن يوسف السجين صاحب رؤيا ومفسر أحلام، أخرجه الملك من السجن وقص عليه الرؤيا، فأجابه يوسف «هو ذا سبع سنين قادمة شبعا عظيما فى كل أرض مصر ثم تقوم بعدها سبع سنين جوعا»[3].

وينتهى الحوار بما أشار به يوسف الصديق بتخزين «خمس غلة

(١) نفس المرجع

(٢) نفس المرجع

(٣) الإصحاح الحادى والأربعون - تكوين

مصر فى سبع سنى الشبع» حتى يكون القمح «ذخيرة لسبع سنى الجوع»[1].

* براءة ...

وقال فرعون ليوسف: «قد جعلتك على كل أرض مصر»[2].

وإلى هنا يميل الظن بأن (نبوغ) يوسف فى «المالية» «وشئون الخزانة» و«الإدارة» بعد نبوغ الرؤيا، ليست هى التى تملأ قلب فرعون بالصفح عن يوسف .. وإنما لابد أن يكون الفرعون قد تبين كذب اتهام امرأته ليوسف.. وأنه هو البرئ.. وأنها هى المزيوغة النفس والجسد، واختار فرعون ليوسف زوجة وزوجه بها.

«وأعطاه أسنات بنت فوطى فارع كاهن (أون)[3] زوجة»[4].

***

من العلامات الكبيرة التى تحدد لنا مكان هذا الزمن، علامة السبع سنوات الجوع..

والتوراة لم تذكر شيئا عن مقاييس النيل.

وإنما التقويم المصرى هو الذى أثبت ذلك.

الملكة التى حكمت مصر، منفردة، أربع سنوات فقط، وليس

---

(١) نفس المرجع

(٢) الاصحاح الحادى والاربعون - تكوين

(٣) أون هى اللاهون.

(٤) الاصحاح الحادى والاربعون - تكوين

معها زوج تشاركه فى الحكم، هى «سبك نفرو» وفى نهاية سنوات حكمها الأربع.. غاض النيل، أو كما يقول تقويم التاريخ «ولم تسجل مقاييس النيل فى بلاد النوبة وأسوان».

و«سبك نفرو» هذه، مارست الحكم، فى الفيوم (أهناسيا) فى الدولة الوسطى، بعد أن مات زوجها الملك أمنمحات الرابع، ثم فى نهاية سنوات حكمها (اختارت) ممن حولها، واحدا لم يكن من أمراء البيت المالك وتزوجته، ثم ذهبت إلى «صا الحجر» (تانيس) تتردد بين قاعدة الملك الشمالية، وبين الفيوم.

ثم ظل الظلام يتكاثف بعد ذلك شيئا فشيئا حتى كاد التاريخ المصرى لا يرى إلا فى الغبش.

* المقياس ...

والملك المصرى، الذى رأى فى الرؤيا أن مصر ستشبع شَبَعاً عظيما سبع سنين، ثم تدخل فى سبع (سنى الجوع) ثابت فى التاريخ أنه لم يدم له الملك إلا عشر سنوات ومات[1].

(١) الكشف عن تحديد هذا الملك (فرعون يوسف) وضبط زمنه لم يحقَّق قبل ذلك التقويم الذى وضعناه، وكان العلماء يقررون اسمه اعتباطا.
وواضح، بدهيا، من غير تقويم، أن تقريرهم عنه من أنه مرينبتاح بن رمسيس الثانى إنما هو تخبط، لأن يوسف قبل موسى، وان موسى قبل داود.. فى حكم داود وبعده وقعت المعارك.. والملاحم..

ولما مات انفردت زوجته بالحكم أربع سنوات ، وبعد ذلك تزوجت.

والملك المصرى الذى هو «امنمحات الرابع» (١٧٩٤ ق. م - ١٧٨٤ ق. م) هو الذى أخذ بكلام العاصية «سبك نفرو» فأودع يوسف السجن، ثم أخرجه ليفسر له الحلم، ثم (ليجعله على كل مصر) بعد أن زوجه «اسنات» «بنت فوطيفار».

وبدأت السنون الشبع شبعا عظيما ، فى آخر ثلاث سنوات من حياة امنمحات الرابع «ولما مات، ظلت سنوات الشبع الأربع الباقية، أثناء انفراد العاصية بالحكم وحدها ، وتزوجت من غير أمراء البيت المالك.. وبدأت المقاييس لا تسجل.. وبدأ النيل يغيض .. وتكرر عدم تسجيل المقاييس.. وبدأ الجدب والجوع والقحط تنشر كآبتها على البلاد.

ففزعت «سبك نفرو» إلى الشرقية وأسمت نفسها هناك «حبيبة رع».

وواضح أن امنمحات الرابع، عندما تحقق من رؤيا سنوات الشبع، أيقن أن التفسير صحيح، وأن جوعا شديدا سيحل بمصر العزيزة، فلم يحتمل الصدمة.. ومات، تاركا العاصية - بعد أن فرغ البيت من حاميه - تمارس الاستبرتيز. !!

***

فرعون يوسف إذن، هو «أمنمحات الرابع»[1]

وصاحبة يوسف، هى الملكة «سبك نفرو» ... حبيبة

فمن أى الأجناس كانت سبك نفرو ؟

هل كان الملوك المصريون يتزوجون بغير مصريات .؟

***

★ الإقطاع ...

مصر فى أيام الدولة الوسطى.

و «الفيوم» قاعدة الحكم، عابدة التمساح، فى أزهى أيامها..

والاقطاع فى أشده وقوته.

وامنمحات الثالث، حفيد (الرجل الملحمة امنمحات الأول) أنجب بنتين وولدين.. والولد هو امنمحات الرابع.

أمنمحات الثالث الذى حكم مصر ستا واربعين سنة (١٨٤٠ ق. م - ١٧٩٤ ق. م) وسهر على شريعة جده، وورث المجد والثراء العريض، لعب أولاده السراة حوالى قصر اللابرنت الجميل، وتشبعوا (بروح مصر) فى ظلال هذه العاهلية العريقة.. ولكن عاطفته نحو البنتين عاطفة غير متعادلة.

---

(١) تؤكد الرواية العبرانية موت (فرعون يوسف) فتقول: .. «ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف» الاصحاح الأول - الخروج

«بتاح نفرو» التى لم تعش طويلا بعد أبيها، وأوصى بشأنها، أن تدفن معه.. ولم يوص بذلك لسبك نفرو.. !![1]

والتقليد المصرى، أن يتزوج الملك بواحدة من أسرته، مصرية شديدة المصرية، وتكون هى «أم العيال» حتى لا يحكم البلاد إلا مصرى نقى المصرية.

هل كانت أم حبيبة من جنس ذى صبغة خاصة فى الطباع.

ان امنمحتب الثالث يضرب العصاة من الأجناس المعادية، وله صورة تذكارية وهو يرفع عصاه ويضرب (البدوى).. !!

وقبل أن يحكم امنمحات الثالث - بأربعين سنة فقط - زار قوم من أهل الطاعة لمصر من هذا الجنس، إقليم الوعل، فى المنيا، وصور المصريون لوحة تذكارية فى بنى حسن لهؤلاء البدو المطيعين على مقبرة أحد الأمراء[2].

السر - إذن - إزاء هذا الخط الاجنبى.. قد يوصلنا إلى اليقين من أمر «نوعية» هذا الجنس الذى أنجب حبيبة رع - صاحبة يوسف

أعتقد أننا كلنا قد عرفنا هذا الجنس الذى تنتسب إليه العاصية سبك نفرو حبيبة رع.. بالاستنتاج المنطقى بعد أن حدد لنا منهاج الفولكلور «نوعيتها» من طبعها، بالاضافة إلى صور أهل الطاعة...

---

(١) لا تنس أن هذه التى لم تَحْظ برضاء أبيها.. هى زليخا. !!

(٢) ما تزال هذه الصورة (التاريخية الواقعية) على أحد المقابر فى بنى حسن.

ولكنا نريد اليقين. فهل كان لهذا الجنس مطامع ما فى مصر، غير الطاعة ..!!

* الجاسوسية ...

بمطابقة رواية التوراة على المدونات المصرية يظهر لنا أن «يوسف» عليه السلام، قد تبنته مصر فى عهد العاهل الكبير، امنمحات الثالث، ومات العاهل العظيم، إلى أن صار يوسف فى نهاية الحلقة الثالثة من عمره، وتولى امنمحات الرابع، وتزوج أخته (العاصية) وجرى ما جرى، فما الذى منع يوسف من اقتراف الإثم؟

بلا شك، لأنه نبى.

ولكن: ما الركيزة السببية التى ارتكزت عليها النبوة حتى لا تتلوث، ويوسف (عبرانى) فهل كان يعلم أنه كعبرانى.. محوّط بالعيون الراصدة.. وأن جنسه مُتَّهم عند المصريين، أكثر من اعتبارهم نجسا لأنهم لا يضعون معهم أيديهم فى طعام ..

هل هناك وقائع تتهم هذا الجنس أكثر من هذه النظرة المصرية لهم.. هل هناك جرح غائر فى القلب لا يزال يقطر دما.. ؟

***

لندع التوراة نفسها تجيب.

«فأتى بنو اسرائيل ليشتروا بين الذين أتوا»(١)

---

(١) التوراة - الاصحاح الثانى والاربعون - تكوين

«لأن الجوع كان فى أرض «كنعان».

«وكان يوسف هو المسلط على الأرض. وهو البائع لكل شعب الأرض[١].

«فأتى إخوة يوسف وسجدوا له بوجوههم إلى الأرض» «ولما نظر يوسف اخوته عرفهم. فتنكر لهم، وتكلم معهم بجفاء وقال لهم: من أين جئتم؟ فقالوا: من أرض كنعان لنشترى طعاما. وعرف يوسف اخوته. وأما هم فلم يعرفوه».

«فتذكر يوسف الأحلام التى حلم عنهم وقال لهم...»

«(جواسيس) أنتم» .. !؟

«لتروا عورة الأرض جئتم ..»

«فقالوا: لا يا سيدى. بل عبيدك جاءوا ليشتروا طعاما، نحن جميعا بنو رجل واحد».

«نحن (أمناء)..» !

«ليس عبيدك (جواسيس).» !

فقال لهم: كلا بل (لتروا عورة الأرض جئتم) !

«فقالوا: عبيدك اثنا عشر أخا، نحن بنو رجل واحد فى أرض كنعان، وهو ذا الصغير عند أبينا اليوم. والواحد مفقود.. »

فقال لهم يوسف: ما كلمتكم به (قائلا جواسيس أنتم).. !![٢]

---

(١) أى كان المكلّف رسميا بالبيع نيابة عن الفلاحين المصريين.

(٢)التوراة – الاصحاح الثالث والاربعون – تكوين

* لمة الشمل ...

الشعور المصرى نحو هذا الجنس العبرانى، بأنهم يعملون (جواسيس سواء لحسابهم «لسبب مختف» عبر المصريون عنه بعد ذلك فى كلامهم قائلين: (الغرض فى نفس يعقوب). !! أو لحساب الشعوب المستطلعة لجنة الدنيا.. مصر.

«الحساسية المرهفة» المبنية على اعتقاد المصريين فى العبرانيين، هى التى ارتكزت عليها النبوة فى الفرار من المعصية مع ملكة مستحونة .. صارت حيوانا.. ونادت الذكر. !!

وراح أخوة يوسف، إلى يعقوب عليه السلام، وحدثوه بما جرى لهم مع «خازن مصر» ولكى يثبتوا لهم ما قالوه. وأنهم ليسوا جواسيس، فلابد من أن يرى الاخوة كلهم ليصدق روايتهم، وكان قصد يوسف من ذلك أن يرى شقيقه ابن أمه راحيل «بنيامين».

ولما جاءوا ورأى بنيامين قال له (الله يرضى عليك يا ابنى) تلك التى تغنى فى المنطقة إلى اليوم، وكانت عبارة يوسف عليه السلام (الله ينعم عليك يا ابنى)[1].

«فلم يستطع يوسف أن يضبط نفسه لدى جميع الواقفين عنده فصرخ: أخرجوا كل انسان عنى»[2].

---

(١) التوراة - الاصحاح الثالث والأربعون - تكوين

(٢) الاصحاح الخامس والأربعون - تكوين

«فلم يقف أحد عنده حين عرف يوسف اخوته بنفسه فأطلق صوته بالبكاء».

أين فرعون هنا.. ؟

أين امنمحات الرابع ؟

إن التوراة صريحة مباشرة كلما ذكرت سيرة فرعون، فهل ستذكره فى هذا الموقف؟ يمضى النص فيقول:

«فسمع المصريون»

«وسمع (بيت فرعون)

بيت فرعون.. كما يقول أهل منزله.. أى أنه لم يكن موجودا، والمدونات المصرية تقرر أن الغياب كان أبديا.. للموت.

***

* رسالة إلى يعقوب ...

وتلك نقطة وضحت، ولكن المزيد من الأدلة، تؤكدها أكثر، فلنمش بعض الشئ وراء (الغرض الذى فى نفس يعقوب).. بالمرة..!! تقول التوراة:

«فقال يوسف لإخوته تقدموا إلىّ. فتقدموا. فقال أنا يوسف أخوكم الذى بعتموه إلى مصر. والآن لا تأسفوا، ولا (تغتاظوا) لأنكم بعتمونى إلى هنا. لأنه لاستيفاء حياة أرسلنى الله.. قدامكم».

«لأن للجوع فى الارض الآن (سنتين)[1]

«وخمس سنين أيضا لا تكون فيها فلاحة ولا حصاد، فقد أرسلنى الله قدامكم. (ليجعل لكم بقية فى الأرض) وليستبقى لكم (نجاة) عظيمة».

«وهو قد جعلنى (أبا) لفرعون و(سيدا لكل بيته) ومتسلطا على على كل أرض مصر»[2].

«أسرعوا واصعدوا إلى أبى. وقولوا له هكذا يقول ابنك يوسف. قد جعلنى الله (سيدا لكل مصر).

«انزل إلى ولا تقف».

«فتسكن فى أرض (جاسان) وتكن (قريبا منى) أنت وبنوك وبنو بنيك، وغنمك وبقرك وكل مالك وأعولك هناك لأنه يكون أيضا خمس سنين جوعا لئلا تفتقر أنت وبيتك وكل مالك»[3].

«وتخبرون أبى بكل مجدى فى مصر»[4].

---

(١) أى أن ذلك قد حدث والعاصية «حبيبة» فى الشرقية - فى صا الحجر - ويوسف فى الفيوم.. (المسلط) الوحيد.. وعلى البلاد ملك اختارته العاصية. ينتقل بين الشرقية والفيوم.

(٢) العبارة تؤكد أن (بيت فرعون) ليس به (الاب الشرعى) امنمحات، اذ ليس بالمنطقى أن يقول يوسف عليه السلام إنه أب للفرعون الذى سجنه ثم صفح عنه، وإنما هو أب للفرعون الجديد.. الزوج.. زوج الست حبيبة عبرانية الأم..

(٣) فى الشرقية.. وهناك كما نعلم العاصية سبك نفرو حبيبة رع.. ولابد من أن نجرى وراء هذه اللقاءات فى الشرقية الميناء الخضراء بعد قحل الصحارى.. والمليئة بكل (شجرة خضراء...!).

(٤) الاصحاح الخامس والاربعون (التوراة) - تكوين

* زوج الست ...

كان زوج الست، الملك (المحظى) هو (سخم - رع - خو - تاوى) وأطلق على نفسه بعد ذلك اسما يقربه من أهل المنطقة فى الفيوم، وهو «امنمحات سبك حتب» وهو كما تقول اليوم سمك لبن تمر هندى فأمنمحات معناها (مفيش غيرة أمون) وسبك معناها (تمساح) وحتب.

وتدل آثار المتعاقبين بعد ذلك من أبناء الأسرة الثالثة عشرة، وأولهم هذا (المحظى) على أنهم سكنوا فى الشرقية (تانيس) أى صا الحجر.

***

هل كل ذلك لا يشبع ولا يعطى الدليل الجامع المانع من أن العاصية من جنس معين بذاته؟ وأن هذا الجنس له فى مصر أطماع، وأنه (يتخصص) فى الجاسوسية على مصر «لحسابه» أو لحساب غيره من الأمم الأخرى بالمنطقة ؟[1].

***

---

(١) كانت الهدية التى بعث بها اليهود إلى سيدنا يوسف عليه السلام مع اخوته أهمها (البلسان) وهو دهن طير بحرى بهذا الاسم «حوله أسطورة عن قيمته الجنسية..! فتأمل..!!

* التمساح ...

لماذا عبدت الفيوم التمساح ؟

لماذا رفعت أهناسيا، معبودها «سبك» أكثر من آلهتها الأخرى وبعد ذلك، انتشر حب المصريين للتمساح، بصورة فيها تقديس خاص وعلّقوه على كل باب كل دار بكل قرية.

إن هذا الحب، لابد من ورائه سبب، فماذا يقول منهاج الفولكلور. ؟ هذا التمساح فى حنوطه بالقش والتيل، على باب كل دار، له حكاية، ويظنه العلماء عبادة، ويحسبه الناس والفلاحون والسواح «تميمة» ورقية.. أو زينة محلية..

* الغرباء ...

فى الفيوم. وفى الأسرة التاسعة، وقبل عصر الملكة حبيبة، بخمسمائة سنة تقريبا، وكانت الحرب الاهلية طاحنة، بين الامراء الصعايدة وبين حكام أهناس، لا لنقل العاصمة من الفيوم إلى أرمنت، وانما لإحساس بأشياء تدور ضد أصحاب البلد من الفلاحين هناك، فى الفيوم.. الأمر الذى حول أدب المقاومة من تعاليم وحكم إلى قصص صريحة مباشرة، منها قصة الفلاح الفصيح الخالدة، التى ولدت وانتشرت فى هذا الزمن.. وكان ذلك الفعل، له رد فعل، هو إعلان شعار الوحدة الوطنية على أيدى الأمراء الصعايدة، الذى

انتهى بنصر الشعار نهائيا على يد أنتوف العظيم عام ٢٣٦٠ ق . م

في ذلك الزمن كان (الغرباء) قد كثروا في مصر أثناء دولة الإقطاع هذه.. فقد استوجبت عندهم مقتضيات الترف أن ينشئوا العلاقات مع (الغرباء) ومع الذين تنعتهم المدونات المصرية (بالغرباء). (والبدو) (والأسيويين).. و(أصحاب الأقواس التسعة) الخ[1].. مما لا يقطع بأن الجنس المعين بالذات هو الذى كان منفردا بالعلاقات مع أمراء الإقطاع وحكام أهناس، وإنما كان غيرهم من أجناس أخرى معهم.. وهم كلهم، من الناحية الشكلية، لا النوعية، في نظر المصريين،، شئ واحد.

وكان من بين أمراء اهناس، من دعته المدوّنات المصرية باسم «خيتى» وكان فظا ظالما.

نزل هذا الأمير إلى النهر ليستحم.. فهاجمه تمساح.. وقضى عليه.. ففرح الناس من أهالينا، وبأسلوبهم في التعبير عن مثل ذلك، اعتبروا أن الله انتقم لهم، أو اعتبروا أن رب الفيوم، وهو التمساح، قد ثأر لهم واقتص لهم من الأمير الظالم، ولم يمض هذا «الفعل» بمجرد الفرح والكلام وإنما برد فعل شعبى، هو تمجيد التمساح.. وباستمرار تخويف السفهاء والظالمين به، بتعليقه محنطا على عتب باب الدار.. بركة وحفظا، وتمجيدا، وإعلاما بأن «ربك» مع المنكسرين.. جابر.

---

(١) كل هذه أسماء مصرية لجنس واحد، وهذا الجنس الواحد ليس هو «عامو» أى الفلسطينيين.

* أساطير اليهود ...

وقبل زمن الملكة حبيبة رع (سبك نفرو) بما يقرب من مائة وخمسين عاما، أشاع هذا الجنس، أسطورة «نفررهو».. التى تحنى ظهور الناس، وتجعلهم قابلين باليأس، ومستعدين لقبول الهزائم. إذ أن لب الأسطورة، أن واقع الأمر الآن ملئ بالظلم، ليس به عدالة وأن الظلم والاعتساف و«الفرْعَنة» ستوصل الناس إلى حياة مليئة بالذل والجوع، والقحط.. وأن تعادل الحال لن يتم إلا على يد «المهدى المنتظر»!!

لماذا تشيع هذه الأسطورة، المحكمة الاعلام ، والموجهة ضد إرادة البشر، وعزيمة الشعب الذى تربى على المقاومة.. مقاومة الانحرافات الذاتية، ومقاومة الإعتداءات الخارجية..

ويلغ ذكاء هذا الجنس، فى النشر الشفاهى، والاعلام الأسطورى قديما[١] أن الاسطورة قيل عنها إنها من أيام الملك الجيزاوى سنفرو.. من أيام الأسرة الخامسة، وأنها نبعت من الجيزة «منف».

* فن الإعلام ...

الثابت من المدونات المصرية أنها بدأت فى الظهور والانتشار أيام «سنوسرت» الأول ابن الرجل الملحمة، امنمحات الكبير،

(١) وهم فى العصور الاخيرة، أذكى الناس فى الاعلام، والمسألة عندى ليست (عبقرية) وإنما هى (جدية) لا أكثر ولا أقل.

وأيضا، أن القول بأنها بدأت فى منف قبل ذلك بحوالى سبعة قرون، مما يقطع بأنها لم تنتشر فى الجيزة، ولا فى «كيمى» كلها شمالها وجنوبها، وإنما الذكاء الاعلامى الموجه لغرض فى نفس يعقوب صبغ عليها - مُتَعَمّداً - صبغة القدم، حتى تأخذ الفكرة الأسطورية الخالصة، فتثبت فى ضمير الناس ويبدءون يمشون منحنى الظهور.. يائسين.. فارغى العيون من النظرات المتأملة، عاقدى الأذرع.. منهزمين. ولا عجب فى أن يكون الجنس الذى يعمل دائما لغرض فى نفس يعقوب أسبق الاجناس والأمم فى استعمال الاعلام سلاحا فى التأثير والإثارة[1].

فهذا هو «يشوع بن نون» خليفة موسى الكليم فى الرئاسة على شعب موسى المتغرب ينشر أسطورة «حتمية» سقوط البلاد التى ينوى العبرانيون أخذها من أصحابها، لان «رب الجنود» سيحارب بنفسه فى صفوفهم، ونجحت الأسطورة فى التأثير والاثارة على بعض البلاد، فخرج سكانها كلهم، يحاولون التظاهر بالضعف والفقر أمام رب الجنود فحالفهم يشوع بن نون على أن يكون خداما له وأن تكون مهمتهم خدمة هذا الشعب الذى يحيا فى الظاهر حياة الرعاة، وهو يضمر غرضا فى نفس اسرائيل حرق البلاد، كل البلاد، وابادة السكان، كل السكان، ليستولى على الارض التى أباد أصحابها،

(١) يرى العلماء أن هذه الأسطورة فى صالح ملوك مصر، حتى يظن كل منهم أنه هو «المهدى المنتظر».

فلم يصبح هناك حق بعد أن أصبح الحق يتيما لطيما، لا صاحب له، ولا مطالب به..[1].

***

هذا الجو النفسى المصرى، قبالة اليهود، أيام الملكة حبيبة رع، وصاحبها يوسف، وأيام زوجها (أمنمحات الرابع) الذى صدق كلام زوجته أول الأمر فى (العبد العبرانى) يوسف أيام (أمنمحات الثالث) الذى سجلت له الوطنية المصرية صورة له وهو يضرب واحدا منهم بعصاه، ومن قبلهم كانت أيام (سنوسرت الثانى) الذى زارت مصر فى أيامه بعثةٌ من الجواسيس المتظاهرين بالطاعة، ومن قبل كل هؤلاء (سنوسرت الأول) الذى انتشرت فى أيامه أسطورة (نفر رهو).

⋆ الوحدة الوطنية ...

ومن قبل كل هؤلاء، الرجل الأسطورة، (أمنمحات الأول) عضو الاجتماع الذى رمزنا به لصانعى شريعة الوطنية المصرية، وتثبيت خط الوحدة، والذى يقف أمام عين التاريخ المصرى، هو وزملاؤه، إلى اليوم، وإلى ما بعد اليوم، على حدود البلاد، سهرا وحفاظا وفداء.

حقبة من الزمن، هى عمر الأسرة الثانية عشرة، عمرها ٢١٣

(١) تفصيل ذلك كله بسفر يشوع

عــامــا ، من سنة ٢٠٠٠ ق.م حــتى سنة ١٧٨٧ ، من أيام الرجل الأسطورة إلى تحت .. إلى أيام الملكة (سبك نفر) ، والارتباط شديد بين هذا الجنس المعــين.. وبين المصــريين، القــادة منهم.. فى القصور.. وشئون الحكم، والباقون هنا ، وهناك، فى الفيوم، أو فى صا الحجر.

ونحن لم ننس أننا نبحث عن الجرح الغائر بعد.

*** سنوحى ...**

ماذا فهمت من «الخلافية» لقصة «سنوحى» ..؟[1]

لماذا فر من قصر الرجل الأسطورة «أمنمحات الاول ؟

إن التاريخ المصرى، وكل المدونات المصرية، لم تختلف على أن «مؤامرة» مدبرة، ومباغتة، كادت تنفذ للتخلص من هذه «الصخرة» الجــاثمــة على مطامع الذين كــادوا أن يصلوا إلى شئ فى الدولة السابقة، دولة أهناس، وشتتهم المصريون الصعايدة.

*** المؤامرة ...**

والمؤامرة كما تحكى تفاصيلها ، نفس الرجل العظيم، امنمحات الأول، تعتبر عندى، ماسة متألقة الاصالة البهيجة، فى عقد الأدب المصرى، وتعتبر أيضا ، عندى وعندك وعند كل العالمين، «مأساة»

(١) اقرأ النص مشروحا باستفاضة فى موكب الشمس للدكتور أحمد بدوى - جـ ٢ - ص ١٠٥ .

الحاكم الوطنى الذى لا يساوِم على حبة من خردل، تسبح فى شعاع شمس بلاده عندما يقلب أعداء البلاد كل الحيل، للوصول إلى مآربهم، ويفشلون، ويجدون الطريق إلى هذه المآرب مسدودة، فلا يجدون إلا حلا واحدا هو إزالة هذه الصخرة.. من الطريق.. !! بالمؤامرة.

وكانت المؤامرة، قد دُبرت لقتل الرجل الأسطورة، والمتآمرون لم يسمهم بالاسم، وإنما بالنوعية والجنس، وكانوا نساء، ومعهم رجال مخنَّثون.

فوجئ الرجل، وأتاه الأعداء، من مأمنه .. وقاوم.. وفر سنوحى[1].

وسنوحى، لا يمكن أن يكون إلا واحدا من اثنين، أما مصريا، وأما منهم.. من هذا الجنس المندس فى القصر، ولا يمكن أن يكون من جنس ثالث.

فأى جنس ثالث، فى نظر اليهود، قوم (غلف) أى (قلف) لا يستعملون الختان - وسنوحى، تزوج بنت شيخ (بدوى) منهم بعد أن استدبر سيناء إلى أول برية فى فلسطين حيث ينتشرون مع غربتهم الأبدية فى كل برارى المنطقة.

* اليهودية ...

ولم يعرف التاريخ المصرى، أو العبرانى، يهودية، فى ذلك الزمان

(١) بعض العلماء يذكر أن واقعة الفرار قبل المؤامرة، ويتعجبون لوقوعها..

(تزوجت) بغير مصرى، لأنه ليس من (الغلف) إلا أن ذلك لا يمنع من أن تكون له (الخدينة) بغير زواج.

والسؤال: هل فر سنوحى ؟

١- لأى سبب يتعلق بالمؤامرة ؟

٢- لماذا لم يسلك الطريق إلى ليبيا وهى أقرب إلى الفيوم وسلك الطريق المدرَّب عليه فيما يبدو، والذى سيوصله إلى (ناس معرفة) اذ أنه - أى سنوحى - فى الأخبار التى ذكرها بعد ذلك عن رحلته إلى فلسطين والتى جاءت فى شكلها قصة شعبية، يقول إنه اجتاز الطريق إلى القلزم السويس، ثم عبر سيناء، حتى اطمأن إلى أنه لم يعد فى أرض مصرية.. قابل شيخا من (البدو) وسأله عن مصر!! وعن أحوالها..!! وعن البيت المالك.

وزوجه الشيخ ابنته !!.. وأنجب منها.. وعاش هناك ردحا طويلا، إلى أن هدأت الأحوال بعض الشئ، بعد وفاة الرجل الأسطورة، وفى أثناء مدة حكم ابنه (سنوسرت الأول) التى دامت أكثر من أربعين عاما، عاد إلى مصر.

ثم اشترك فى القتال مع سنوسرت ضد اللوبيين.

* الوصايا المصرية ...

يقول الرجل الأسطورة عن المؤامرة:

«قد جعلت (الرجل المغمور الذكر) يصل إلى غرضه مثل صاحب

المكانة»[1].

ويقول صاحب المأساة:

«وقد كان آكل خبزى هو الذى جند الجنود ضدى».

«والرجل الذى مددت له يدَ المساعدة هو الذى أحدث لى بها المتاعب»

والذين يرتدون فاخِرَ كتانى، عاملونى كالذين هم فى حاجة إلى الكتان»

«والناس الذين يتضخمون بعطورى[2] قد لوثوا أنفسهم.وهم يستعملونه بخيانتى».

«لم أحتط لنفسى ضد هذه المؤامرة، فإنى لم أفطن لها من قبل، هذا فضلا عن أن قلبى لم ينتبه إلى... (تراخى الخدم).. !!

«هل حدث أن النساء اصطفَفْن فى ميدان المعركة؟».

«لو كنت أسعف بالسلاح فى يدى لكنت شتتت شمل (مخنثى الأسويين)[3].

---

(١)النصوص هنا نقلا عن المصرى الكبير الدكتور سليم حسن من كتاب الادب المصرى القديم جـ ١، وهى مفسَّرة بغير تفسير منهاجنا .. وقد أقرنى رحمه الله على المضى وراء (الانفعال الادبى الوطنى) فلربما تُستَخْلص نتيجة لم يهتم بها العلم.

(٢) والنساء يقصد.

(٣) اقرأ النصوص كاملة فى التعاليم وفى قصة سنوحى
الدكتور سليم حسن - الادب المصرى القديم - جـ ١
الدكتور أحمد بدوى - فى موكب الشمس - جـ ٢

والمؤامرة، كما ترى، اشترك فيها «نساء» و«رجال مخنثون ممن هم فى طبقة (الخدم) ولكن الرجل رفعهم إلى مكانة يحبها لهم.

واليقين من صلب القصة، أن سنوحى مواطن مصرى، واليقين أيضا من كلمات الرجل الأسطورة، ومن متن قصة سنوحى، أن هذا المواطن كان همزة وصل رسمية بين العاهل الكبير، وبين «النساء» و«الرجال المخنثين» الذين، صنعوا المؤامرة، وأحالوها، فجأة و(بالليل) إلى معركة، إلا أن سنوحى «تراخى» و«تخاذل» لشدة قربه من «النساء» كما يتضح من متن القصة بعد عودته إلى وطنه، وهذا «التراخى» هو الذى حير العلماء المختصين، وعذرهم واضح لأنهم يبحثون عن النص، أو عن العلة المقتبسة من عبارة تخدم النص المقدر تقديرا.

إلا أن الذى يعيش بانفعاله الوطنى، فى هذه الحقبة، ويربط بها وبدولة أهناس، وفعل الاقطاع الفاسد المفسد، ورد الفعل الذى ظهر فى انتاج أدباء مصر العظام من أبناء هذه العصور، ويطابق ذلك كله على المدونات العبرية، يرى أن جنسا واحدا، إن لم يكن هو صاحب المطامع فى تخريب الجبهة الداخلية بمصر، لنهب خيراتها، واحتلال الأماكن ذات الامتيازات، فهو - على الاقل - أى هذا الجنس، هو المندوب المكلف من جنس آخر.. بالجاسوسية، والارتباط بعلاقات، ودراسة (عورة) الأرض ومسالكها، بالاغراء النسائى، وبالدقة فى إدارة الاعمال، وباحتمال الاستبعاد الوظفى، وبالتركيز فى الشمال

الشرقى لمصر.. الشرقية.. حيث الخصوبة الناتجة من المصبات والفرع البيلوزى، والكتان المنتشر على البحيرات، والتسلل إلى برارى كنعان و«كفتيو»[1] و«آسى» و(ارض الاله) التى هى بلاد العرب والقدرة على التسلل إليها بعيدا عن حصون المراقبة والقلاع.. ذلك كله يثبت، أن هذا الجنس، هو الجنس العبرانى الذى لم يكتم وظيفته واحد منهم، هو النبى يوسف، وهذه الوظيفة هى الجاسوسية وكشف «عورة الأرض».

***

* الاحلاف ...

ولم يكن بالمستطاع للعبرانيين أن يستقلوا بدولة اهناس، لانعدام التكافؤ العددى، والحضارى، والحربى، وأيضا لم يكن بالمستطاع لهم أن ينالوا أكثر مما نالوه.. بالخيانة والمؤامرات والارتماء.. تحت كل شجرة خضراء، ولذلك فليس لهم حل إلى أن يوجد هذا الحل، إلا بضرب مصر، بجنس أكثر منهم قدرة، وكفاءة، فارتبط العبرانيون مع هذا الجنس الاخ، الذى هو أقدر منهم قدرة وكفاءة، وهم الهكسوس.

وليس فى حياة الشعوب ما يسميه الناس بالحظ، أو القدر، وإنما هناك شئ اسمه السهر على المآرب، فما ان بدأت مقاييس

(١) بلاد الساحل الأشورى

النيل لا تسجل .. وبدأ القحط يتمطى بأنفاسه الساخنة فى صدور الناس، أيام الملكة العاصية، حبيبة رع، سبك نفرو.. حتى بدأ (الحلفاء) يعدون العدة للغزو..

وتواصل قحط الارض «بقحط الغزو فى الاحتلال الهكسوسى» الذى جثم على صدر البلاد مائة وتسعين عاما، أو فى بعض الأثبات التاريخية مائة وخمسين عاما.

* الهكسوس ..

من هم الهكسوس ؟

من هو قائدهم الذى استطاع أن يستعبد العبرانيين لمآربه؟

إن التاريخ المصرى، فى كل مراجعه، لم يشف الغليل فى ذلك أكثر من أن الهكسوس هم «حكام البلاد الاجنبية» ومن من حكام البلاد الاجنبية كان الهكسوس ؟

لا شك فى أنها كانت الدولة الساحلية التى تم التمازج فيها بين «كفيتو» و«آسى» «بعض ملوك فلسطين» «وبعض ملوك أشور» من البلاد المتشابهة فى الطبيعة الساحلية، وأن هذه الدولة المناوئة لمصر، كان لها قائد من طراز الغزاة الفاتحين، هو الذى تسميه «التوراة».. «سيسرا» ومعه رجال من الذين ترامت اليهم أنباء الرجال ومواقفهم وبطولاتهم «من أساطير اليونان المنتشرة على سواحل المنطقة». تحالف هؤلاء الهكسوس مع العبرانيين مع

الآريين الوافدين من أوربا طمعا فى الاقامة بدولة الساحل، كفتيو وآسى، فى نفس المكان الذى كان بعد ذلك بقرون عدة أول دولة للصليبيين بالمشرق، وتم التحالف بين الساميين والآريين بواسطة السمسار العالمى، والابدى، اليهود، لضرب قلعة البطولة. ومنارة الحضارة. ومروج الانسانية، ومراقى المدنية فى الدنيا القديمة كلها.. مصر

ومالت شمش الحرية المصرية، إلى الغروب، ووجه الملكة حبيبة رع، صاحبة يوسف فى الأصيل الدامى يتنزى عرقا وعارا.

وأشرقت، شمس الحرية المصرية.. بعد أكثر من قرن ونصف من الزمان، ملأ الهكسوس ضياءه بالغبش، أشرقته على وجه ملكة مصرية ووجهها يتألق بشرا ويضوع عطرا.. هى الملكة «اياح»[١].

★ سيسرا ...

ومن هو سيسرا يا ترى ؟

إن المدونات المصرية لم تعرف عنه شيئا.

---

(١) أم المصريين، الملكة «أياح حتب» و«اياح» معناها «قمر»، زوجها الشهيد «سكنن رع» وابنها الأول «كاموسى» وابنها الثانى، «أحموس» بطل الاستقلال.
الملكة قمر الزمان، زوجة البطل وأم البطلين، عاشت معركة تحرير مصر طفلة، وشابة، وكهلة، ولم تفض روحها الا بعد الاستقلال.
ماذا يغنى لها المصريون...؟ تابع الاطلاع على أنباء دوحتها الباهرة الأصالة فى الكتاب ...

وكذلك المدونات العبرية، أنها حقيقة تذكره.. ولكنها تذكره كمجرد اسم، ولولا جدية الاجتهاد فى البحث والمقارنة بالمنهاج والتقويم لا تكاد تدرى من هو

التوراة تقول مرة على لسان صموئيل النبى العبرانى :

«هكذا يقول الرب اله اسرائيل. انى أصعدت اسرائيل من مصر، و(أنقذتكم من يد المصريين ومن يد جميع الممالك التى ضايقتكم)..»!

الحمد لله، هذه اشارة صريحة واضحة على أن اليهود، يوم أن خرجوا، بعد ذلك، على أيام النبى موسى، كانوا، بالخروج، منقذين من المصريين، ومن عدة ممالك متحالفة معهم.

وتؤيد التوراة فى هذا النص نفسه، غيرة اليهود من هذا النظام المصرى الأمثل، نظام الدولة الذى يرأسه ملك، ليأخذ الجنس اليهودى عن طريق هذا الشكل، صفة أعلى من صورة البدو المشتتين، وطبعا لابد من غرض آخر فى نفس يعقوب.

«وأنتم قد رفضتم الرب الهكم الذى هو مخلِّصكم من جميع الذين يسيئون اليكم ويضايقونكم، وقلتم له نجعل علينا ملكا..» !!

مرة ثانية، مع ذكر رغبتهم فى أن يكون عليهم (ملك) يجئ على لسان صموئيل النبى، أن الله خلصهم - بالخروج - من (جميع) الذين أساءوا اليهم وضايقوهم.. الذين هم «حكام البلاد الاجنبية» عند التاريخ المصرى..

وتكشف التوراة اكثر من الحلف وقائده وزمانهما.

«ولما جاء يعقوب إلى مصر»

أى أننا نحن الآن فى زمن سيدنا يوسف، والعاصية حبيبة رع.. فى بساتين صا الحجر.. ويعقوب نبى مرسل، يدعو إلى الله بين العبرانيين، ولكنهم فى مصر.. سادرون فى مطامعهم وغوايتهم وعبوديتهم لحلفائهم من جميع الممالك الاجنبية، وتقول التوراة.

«فلما نسوا الرب إلههم، باعهم ليد «سيسرا» رئيس جيش حاصور وليد الفلسطينيين»(١)

هذا هو «سيسرا» وها هو مكانه.. (حاصور) وهو واحد من الذين تربوا فى المنطقة، و(حاصور) التى صارت (صور) من بلاد الساحل.. مما ينفى بعد ذلك أى غموض حول المنطقة التى خرج منها الهكسوس، وهى دولتهم التى على الساحل كما بينا آنفا(٢).

★ السؤال ؟

فى معركة حامية، قديمة، بين كاتبين، أحدهما مصرى والثانى يهودى، الأول عالم اسكندرانى اسمه «أبيون» والثانى الكاتب

(١) التوراة - الاصحاح الثانى عشر - صموئيل الاول، وواضح من كلمة «جيش» و«رئيس جيش» أن الامر متعلق (بدولة) والدولة يرمز هنا لعاصمتها حاصور أى (صور) أو «شاروهين» بالعبرية وهى دولة الهكسوس الساحلية.

(٢) لم يُحيِّر العلماء والمؤرخون مثلما حيرهم أمر تحديد دولة الهكسوس، ولولا المنهاج المقارن الذى التزمنا به.. لما وصلنا

المؤرخ اليهودى الشهير «يوسيفوس» وكان ذلك بعد المسيح عليه السلام بحوالى ثمانين سنة، ومصر آخذة بالالتزام المسيحى نصا وروحا. فى هذه المعركة سأل الكاتب المصرى المؤرخ اليهودى: لماذا أقبلت مصر على الدين المسيحى ولم تقبل على الدين اليهودى.؟

والحق أنها مسألة تدعو للعجب، لا يملك الكاتب إلا أن يتبادل الدهشة والسؤال مع قرائه.

مصر.. تقبل على الدين المسيحى وتدخل فى دين الله أفواجا.

وبعد ذلك بما يكاد يصل إلى ستة قرون.

نفس مصر.. تقبل على الدين الاسلامى.. وتدخل فى دين الله أفواجا.

أى عجب.

و«اشمعنى» الدين اليهودى.

لماذا ترفض مصر الدين اليهودى..؟

مصر تقول بلسان شعبها «ربنا عرفوه بالعقل، فاذا جاء أى يهودى، أى عبرانى، داعيا لدين الله.. فلابد أن يكون ذلك لغرض آخر غير الدين.. لابد من أن يكون لغرض فى نفس يعقوب..»!

***

هاجم العالم الكاتب المصرى «أبيون» اليهود، فانبرى للرد عليه المؤرخ الكاتب «يوسيفوس». لكشف المخبوء كله، مما يقطع بأن

اليهود يعرفون كل الذى نقوله اليوم، من زمان سحيق.. ومن مهماتهم كما يقول هرتزل أخيرا، أن أحدا لن يعرف دينهم الخاص..

قال يوسيفوس: إن اليهود والهكسوس قوم عظام.. وأعظم من المصريين، وأنهم سبق لهم أن احتلوا مصر، وأخضعوها، وسبوا نساءها أيام ملكهم «سلاطيس».

وسلاطيس هذا، يتضح هنا، ولأول مرة، أنه «سيسرا» الذى راح اليهود يصيدونه، فصادهم.. الا أن مصرعه كان فى مصر على يد اليهود كما تذكر التوراة باعتباره رأس الحلف، وقصة مصرعه بسفر صموئيل.

* الملكة قمر الزمان ...

فى صباح الحرية.

وشمسها الرطيبة الحانية، تشرق على الوادى الأخضر، ترى وجه السيدة المصرية العظيمة، (السيدة قمر)، أو الملكة «اياح حتب» التى عاصرت نهاية المحنة الهكسوسية، أيام المقاومة، ثم شاركت زوجها البطل العظيم، الذى استشهد فى معركة التحرير ضد الهكسوس، الملك «سكنن رع» فتولى بعده كاموسى العظيم، ثم ابنهما الذى انتهى على يده النصر النهائى لمصر ضد الهكسوس، بعد معركة دامت خمسا وأربعين سنة.. وهو بطل التحرير «أحموسى».

* الزورق الذهبى ...

ولم يشأ ابنها «أحموسى» بعد وفاتها، أن تعبر «الغرب» الا بما تليق به، فليس مثلها من يعبر إلى الدار الآخرة، والحياة الثانية، كما يعبر الآخرون، فإنها ملكة، زوجة شهيد حرية بلاده، وأم البطل كاموسى، وأخيه محرز نصرها النهائى أحموسى.

لقد حلاها ابنها بقلائد وأساور غاية فى القيمة.. ومن (ذهب البطولة)[1]..

ووضع تحت أمرها.. زورقا مصفّحا بالذهب.. مجدافاه جاهزان للحركة.. حتى اذا ما همت بالعبور.. عبرت بزورقها الذهبى..[2]

* فى الشرقية ...

أعجب العجب، أن الهكسوس، تركوا لمصر حُكماً خاصا غير حكمهم، واستقلوا هم بشرق الدلتا، يعبدون «البعليم».. الحمار!! وتركوا المصريين ينعمون بحكومات شكلية فى «سخا»[3] و«فى طيبة» أما منطقتهم هم ففيما بين سخا والفيوم.. أما عاصمتهم هم فهى تانيس المصرية،

---

(١) كان من عادة ملوك مصر الابطال أن يكافئوا الشجعان من الرجال بالمال.. ذهباً خالصاً.

(٢) الثابت أن الملكة (اياح) أو (قمر الزمان) من أم مصرية من بنات الشعب هى «تيتى شيرى»..

(٣) كانت «سخا» قاعدة الوجه البحرى و«طيبة» قاعدة الوجه القبلى، أيام احتلال الهكسوس مصر

التقويم المقارن
للتاريخ المصرى ـ العبرى

الاسرة	من سنة الى سنة (ق٠م)	سنوات حكمها	المصريون أهمهم ٠٠ بالترتيب	من سنة الى سنة	العبرانيون
التاسعة والعاشرة وتوابعهما	٢٤٤٥ ـ ٢١٦٠	٢٨٥	عصر الصراع بين أمراء الوحدة الوطنية بالصعيد ضد امراء اهناس	العصر الاهناسى	العبرانيون بدو فى كل برارى المنطقة ومنهم جالية فى مصر
الحادية عشرة	٢١٦٠ ـ ٢٠٠٠	١٦٠	أنتوف العظيم واح ـ عنخ ـ أنتوف سهرتاوى انتوف واح ـ عنخ ـ أنتوف الثالث	من ٢١٦٠ حتى ٢١٣٠ من ٢١٣٠ حتى ٢١٢١ من ٢١٢١ حتى ٢١٠٩ من ٢١٠٩ حتى ٢٠٩٨	العبرانيون يندسون الى شعوب المنطقة كلها والرعوس بالبرارى

● يلاحظ أن التقويم الجريجورى المعمول به فى العالم كله اليوم ، هو نفسه التقويم الشمسى المصرى القديم ، تطور من تقويم قمرى الى تقويم شمسى حسبت فيه أيام النسيئة فى مصر القديمة .

(تابع) التقويم المقارن للتاريخ المصرى – العبرى

الأسرة	من سنة الى سنة (ق٠م)	سنوات حكمها	المصريون أهمهم بالترتيب	من سنة الى سنة (ق٠م)	العبرانيون
بقية الحادية عشرة			انتوف الرابع	من ٢٠٩٨ حتى ٢٠٨٨	ويندسون فى مصر أكثر من قبل
			منتوحتب الاول	من ٢٠٨٨ حتى ٢٠٧٠	
			منتوحتب الثانى	من ٢٠٧٠ حتى ٢٠١٩	
			منتوحتب الثالث	من ٢٠١٩ حتى ٢٠٠٧	
	٢٠٠٠		منتوحتب الرابع	من ٢٠٠٧ حتى ٢٠٠٠	
الثانية عشرة	٢٠٠٠ ١٧٨٣	٢١٢	امنمحات الاول «الأسطورة»	من ٢٠٠٠ حتى ١٩٧٥	فى عهد هذه الاسرات الاولى ، تمت زيارة سيدنا ابراهيم لمصر
			سنوسرت الاول	من ١٩٧٠ حتى ١٩٣٥	
			امنمحات الثانى	من ١٩٣٥ حتى ١٩٠٠	
			سنوسرت الثانى	من ١٩٠٠ حتى ١٨٨٠	
			سنوسرت الثالث	من ١٨٨٠ حتى ١٨٤٥	

(تابع) التقويم المقارن للتاريخ المصرى ـ العبرى

الأسرة	من سنة الى سنة (ق٠م)	سنوات حكمها	المصريون أهمهم بالترتيب	من سنة الى سنة (ق٠م)	العبرانيون
بقية			امنمحات الثالث	من ١٨٤٥ حتى ١٧٩٧	يوسف فى مصر طفل رقيق
الثانية عشرة	١٧٨٣		امنمحات الرابع الملكة سبك نفرو (حبيبة رع)	من ١٧٩٧ حتى ١٧٨٧	يوسف فى سن الثلاثين يوسف متسلط على كل مصر
الثالثة عشرة	١٧٨٣ ١٧٧٠	١٤٥	سخم ـ خو ـ ثاوى رع (زوج حبيبة) ثم يكملون ستين ملكا بعضهم قبل دخول الهكسوس مصر والباقون فى « سخا » وفى « طيبة » فى ظل الاحتلال	من ١٧٨٣	زيارة سيدنا يعقوب لمصر والعبرانيون يتكاثرون تدريجيا فى مصر فى ظل الاحتلال الهكسوسى

(تابع) التقويم المقارن للتاريخ المصرى – العبرى

الأسرة	من سنة الى سنة (ق٠م)	سنوات حكمها	المصريون أهمهم بالترتيب	من سنة الى سنة (ق٠م)	العبرانيون
الرابعة عشرة	١٧٧٠		وعدد ملوكها ٢١ ملكا فى ظل الاحتلال ويبدءون بالملك (نحسى)		العبرانيون فى حلف مع الهكسوس بمصر ولا يستطيعون احتلال مصر كلها (فى عهد فارص)
الخامسة عشرة			فى ظل الاحتلال		
السادسة عشرة	١٦٢٥			١٦٢٥	(فى شرق الدلتا)
السابعة عشرة	١٦٢٥	٢٢ سنة مقاومة شعبية	سنحم – رع – هرى – حر وسخم – رع – وب – ماعه ونب – خبر – رع وهو أول من أثار الرأى العام ضد الهكسوس	من ١٦٢٥ حتى ١٥٨٠ الثورة – تعبئة الرأى العام	الهكسوس وحلفاؤهم فى الفيوم مع الشرقية والعبرانيون فى المنيا وفريق فى الشرقية وفريق فى الفيوم
		–	سكننن رع (الاب الشجاع) وزوجته (بنت الشعب ، تيتى شيرى	الثورة – الاعداد النهائى للمعركة	
	١٦٠٣	معركة التحرير	سكنن رع (الابن البطل الشهيد) وزوجته أم أحموسى وبنت تيتى شيرى	الثورة – المعركة الفاصلة تبدأ زحفها الى المنيا	

(تابع) التقويم المقارن للتاريخ المصرى ـ العبرى

الأسرة	من سنة الى سنة (ق٠م)	سنوات حكمها	المصريون أهمهم بالترتيب	من سنة الى سنة (ق٠م)	العبرانيون
بقية السابعة عشرة	١٥٥٨	معركة التحرير معركة التحرير حتى النصر النهائى	كا موسى العظيم ما تزل الملكة (قمر) اياح فى الميدان مع ابنها ـ بعد زوجها الشهيد سكنن رع ● احموس بطل الاستقلال ما تزال الام العظيمة (قمر) فى الميدان بعد زوجها الشهيد، وبعد ابنها كاموس العظيم	١٥٩٠ ـ ١٥٨٠ من ١٥٨٠ حتى ١٥٥٨	المعركة ضد الهكسوس والعبرانيون فى مصر فى عهد (حصرون) ابن فارص النصر النهائى على الهكسوس والعبرانيون مازالوا فى مصر فى عهد (آرا) حفيد فارص
الثامنة عشرة	١٥٥٨ ١٣٥٠	٢٠٠	● احموس ● أمينوفيس الاول ابن بطل الاستقلال وزوجته هى أخته (أحموس نفرتارى بنت الملكة (قمر ؛ العظيمة	من ١٥٥٨ حتى ١٥٣٥	مولد موسى أيام طرد الهكسوس فرعون موسى (أيامه عميناداب صهر هارون) فى عهده بدأ خروج العبرانيين مع موسى

(تابع) التقويم المقارن للتاريخ المصرى ـ العبرى

الأسرة	من سنة من سنة (ق٠م)	سنوات حكمها	المصريون أهمهم بالترتيب	من سنة الى سنة (ق٠م)	العبرانيون
بقية			تحتمس الاول	من ١٥٣٥ ـ ١٥٢٥	نحشون (فى أول عهده وفاة موسى)
الثامنة عشرة			حتشبسوت	من ١٥٠٥ ـ ١٤٩٨	نحشون ـ سلمون
			تحتمس الثالث	من ١٤٩٨ ـ ١٤٦١	سلمون ـ بوعز
			أمينوفيس الثانى	١٤٦١ ـ ١٤٣٦	بوعز ـ عوبيد ابن راعوث
			تحتمس الرابع	من ١٤٣٦ ـ ١٤٠٤	عوبيد
			أمينوفيس الثالث	من ١٤٠٥ ـ ١٣٨٠	يسى بعد وفاة عوبيد
			اختاتون	من ١٣٨٠ ـ ١٣٦٣	داود (وفاة يسى)
			سمنخ كارع	من ١٣٦٣ ـ ١٣٥٥	داود
			توت عنخ آمون	من ١٣٥٥ ـ ١٣٥٣	داود
			آى	من ١٣٥٣ ـ ١٣٥٠	داود
	١٢ =				وفاة داود فى أوائل حكم حور محب

(تابع) التقويم المقارن للتاريخ المصرى – العبرى

الأسرة	من سنة الى سنة (ق٠م)	سنوات حكمها	المصريون أهمهم بالترتيب	من سنة الى سنة (ق٠م)	العبرانيون
التاسعة عشرة	١٣٥٠	٢٣٠	● حور محب (رب السيف والقلم)	من ١٣٥٠ – ١٣١٥	سليمان الحكيم بعد وفاة داود
			● رمسيس الاول	من ١٣١٥ – ١٣١٢	حكم سليمان
			● سيتى	من ١٣١٢ – ١٣٠٢	وفاة سليمان وتوليه ابنه رحبعام
			● رمسيس الثانى	ن ١٣٠٢ – ١٢٣٠	يوشيا
			● مرين بتاح (او) منفتاح	من ١٢٣٠ – ١٢٢٢	العبرانيون يبكون دولة «اسرائيل»
	١٢٠٠		● ست نحت	١٢٠٠	من ١٢٢٢ – ١٢٠٠
العشرون	١٢٠٠ ١٠٨٠	١٢٠	● ست نحت	من ١٢٠٠ – ١١٩٠	
			● رمسيس الثالث	من ١١٩٠ – ١١٦٠	
			(الرعامسة من الثالث حتى رمسيس التاسع)	من ١١٦٠ – ١٠٨٠	

وبعد..

فأنا لا أزعم أننى طلعت وحدى بهذه النتائج، ولأول مرة، فى التاريخ كله، من غير معاونة جادة صادقة، بذلها علماء الايجبتولوجى عامة، والمصريون خاصة.

ومن يقرأ المدونات المصرية المنقولة للعبرية، يرى أن «مصريتهم» كانت تقذف بهم فوق كل نص يشير إلى اليهود أو العبرانيين أو البدو أو الخابيرو، ويضربون معاول الاستقراء والاستنتاج لعلهم، ينقعون غلة، ويحصلون على أجوبة لأسئلة تتردد على ألسنة الأجيال، وبخاصة الأسئلة الشعبية التى تحب أن تعرف من هو فرعون يوسف، وكذلك من هى (زليخا) ثم من هو فرعون موسى.

إلا أن أخذهم أنفسهم، وبشدة قاسية، بضبط الانفعالات الوطنية، وبالتزامهم الرهيب لآراء أساتذتهم من المنقِّبين الأصليين من علماء الايجبتولوجى الاجانب، أبعد بهم عن الحقيقة، وجاء التاريخ «اجتهادا» ومجزءا غير مترابط، واختلطت العصور، وكثرت فى التخريجات «لعل» و«ربما» ثم انزلقوا من وراء التخمينات إلى نتائج أبعد ما تكون عن الواقع، ورؤى عندهم من يسبق فى عصره من كان فى التاريخ هو السابق بالفعل[1].

(١) مثال ذلك ما اختلط عليهم من أن «شيشق» فرعون التوراة، والذى كشفنا عنه من أنه سبتي الاول، هو - فى تخريجهم - الملك غير المصرى من الاسرة السادسة والعشرين «ششنق».

وإن هذا الكتاب، ليتمنى أن يكون قد واصل رغبات هؤلاء العلماء المصريين المضنية فى سبيل الكشف عما غطته النصوص المجزوءة والمتجمعة من هنا وهناك، ومن الصواب ومن الخطأ، بفضل الجدية التى التزمنا بها دهرا طويلا، والقراءات والرحلات التى أخضعناها لمنهاج الفولكلور ولتقويم مقارن، استطعنا بهما أن نبرز «السببية» و«العلة» فى موقف معين من ملك مصرى أو ملكة مصرية، وبكشفها، مع ربطها بالخط الواحد المسيطر على ذلك كله، وهو البحث عن «حكاية اليهود مع مصر والمنطقة كاملة» من كل المدونات، بذلك كله، حصلنا على هذه النتائج التى أرى أنها امتداد، طبيعى، ومنطقى، لجهد أساتذتنا عشاق مصر الكبار على الاخص من علماء الايجبتولوجى.

* فرويد وموسى ...

وعلى الرغم من أن كل كتاب اليهود، قد أخفوا الحقائق، وطمسوا فى تشويه خسيس - تاريخ علاقة جنسهم بمصر، إلا أن اثنين منهما، واحد فى القرن الاول الميلادى هو المؤرخ يوسيفوس «اليهودى» الذى امتلأت بآرائه معظم مراجعنا العربية عن التاريخ بعامة. والثانى هو العالم النفسى «فرويد» أعطيا، بما وصلا إليه من نتائج مغلوطة، معالم يمكن الافادة بها إلى حد كبير، فهذا هو

«فـرويد» فى كـتـابه الرائد، النبى مـوسى[1]، «موسى والتوحـيد» محاولا فيه أن يجعل من (أمينوفيس الرابع) اخناتون تلميذا عقليا لموسى، وشديد التأثر به بدينه، مما يوحى بأن موسى واخناتون كانا يعيشان فى زمن واحد، وان عقيدة اخناتون فى التوحيد ظهرت عنده طفرة، وبالتأثر الحادث من شخصية موسى، بينما نحن نرى هنا، ومن التقويم المقارن، أن اخناتون يجئ زمنه بعد زمن موسى، بمائة وستين عاما تقريبا، مما يؤكد بأن «عوامل» أخرى هى التى لعبت هذا الدور فى التطور الدينى بمصر.

الفكرة العنصرية التى استهوت فرويد، واعتمد فى الوصول إليها عن تاريخ اضطراب العصور وتداخلها، أفادتنا فى دفع البحث عن كشف العوامل المسببة لهذا التطور، فإذا بحقائق جانبية تظهر لتخدم الخط الأصيل، موقف اليهود من مصر.

★ السمسار ...

وقفت طويلا عند أبطال معركة التحرير.

تلك الأسرة المصرية الرائعة الوطنية، والفارهة الأصالة الشريفة الشهيد سكنن رع، وأمه، وزوجته، وانتقالهم جميعا من موطنهم

---

(١) S. Freud, Moses and Monthiesm.

ونسوق فى المناسبة «ملاحظة»: (ان الطبع اليهودى) هو الذى (كشف) له منهاجه (الجنسى) فى التحليل النفسى، لأنه (يهودى) ولم يؤمن بالمجتمع، تكوينا، وصراعا طبقيا، فى بناء النفس الانسانية.. !!

«ادفو» إلى أسيوط فى معركة دائرة ومتصلة، ثم إلى المنيا، لمواصلة المعركة، ثم إلى منف، وقد حمل الراية كاموسى، ثم أحموس، وخروج أحموس إلى خارج الحدود، لمحاصرة الهكسوس فى مواقع الانسحاب المسورة والمسلحة، ودكها، وهدمها.. كان نهايتها «صور» التى تسميها المدونات «شاروهين».. !!

وعندما كشفت قبل ذلك عن مواقف اليهود بمصر، فى منف، أيام أن كانوا جالية يتفرجون على مدرسة الفروسية التى يتعلم فيها المصريون فنون القتال عند أبى الهول، ثم مواقفهم فى اهناس، وهم يتسقطون المناصب من خلال الدولة الإقطاعية المنحلّة، ثم وهم يفرون إلى المنطقة التى اتخذوا منها، مرفأ يتحصّنون به لقربه من سيناء ثم من البرارى التى يجوسون فيها من قديم.. فى «الخيام» و«المظال»، وهى منطقة الشرقية التى أقام فيها الهكسوس - حلفاؤهم - بعد ذلك عاصمتهم فى صا الحجر (تانيس) وسموها «أورايس».. ثم ما جاء فى التوراة، صراحة، على لسان «يوسف» من أنهم يعملون «جواسيس» لكشف «عورة الأرض» ومسالكها.

* بعد الهكسوس ...

هذا الخط الواضح، ينبئ بنذير، وشر مستطير لليهود، وليس معقولا ولا مقبولا، كمجرّد استنتاج، عند مصر الثائرة المتحررة، أن تطرد الهكسوس، وتبقى على «السمسار» الحليف.

هكذا يدفع بى المنهاج إلى التقويم، ودائما فى هذا البحث، وتحسست الطريق وأنا أماشى «امينوفيس» ابن احموس..

ثم رحت أساير تحتمس الاول، خليفته..

ورأيت أن المسألة ليست نصوصا، إذ أن الشجرة الوطنية الأصيله.. قد انقطعت عن أمينوفيس.. وأن تحتمس الاول ليس من ذريته ولا من أبنائه، ولا من اخوته

ثم إلى أين انتهى أمينوفيس.

إن أمينوفيس، يستلم لردة الاقطاع رويدا رويدا فى عهده، بعد أن بدأ أبوه وعمه وجده يفتتون الاقطاع، ركائز الاعداء، الهكسوس والعبرانيين.

ولكن الدوحة المصرية النقية الدماء والنبض، والباهرة الاصالة الشريفة، ما تزال موجودة، فأم المصريين[١] قمر ما تزال موجودة.

ومن حولها بناتها وعلى الأخص «أحموس نفرتارى» بالاضافة إلى بنات الشعب الكثيرات اللاتى يملأن بيت البطولة بالحب وبالولاء.

إن أولاد الأسرة الذكور، يبدو أن المعركة قد أتت عليهم ولم يبق منهم إلا أمينوفيس وأخوته وبنات عمه البنات، فالنصوص تؤكد أن الملكة قمر «اياح» أم المصريين، وبناتها، وبنات الشعب كانوا من حول أمينوفيس بعد أن صنعت الثورة الوطنية وحدة الفكر بين الرجل والمرأة فى مصر.

---

(١) الذى سماها بهذا الاسم،الدكتور أحمد بدوى

* وحوى، وحوى ...

وكانت مصر كلها، على لسان أطفالها، تغنى للحرية، والخطاب موجه للملكة قمر الزمان «التى مات عنها زوج، ومات لها ابن، من أجل مصر، ثم خرجت مع ابنها البطل «أحموسى» إلى الحدود، لتمتع عينيها بمنظر جلاء الهكسوس عن مصر..

غنى الأطفال..

واحا، واحا، اياحا

أى، افرحى، افرحى، يا قمر.

ونحن بلساننا العامى، نقلا عن الطفولة الابدية المصرية، نغنيها، وسنظل نغنى.

وحوى، وحوى، اياح.

* أزهار الوداع ...

ونبحث فى نهاية حياة امينوفيس، مكان موته، طيبه؟ منف؟ أين تاريخ وفاته لتستدل؟ من الذى شاركه فى الحكم ؟..

أما تاريخ وفاته فيحدده التقويم المقارن، وما بعد ذلك ضائع، لا شئ إلا مومياؤه ..

إن ظاهرة فريدة نراها فى مومياء «أمينوفيس» ليس لها شبيه فى

حالات تجهيز ملك ينتقل من حياة الدنيا الأولى، إلى الحياة الثانية.

إنه الوحيد الذى غطى الزهر والورد والرياحين جسده.. وهو فى «حنوطه» وهو غير مصاب بطعنات تدل على أنه مات فى معركة قتال. كما وضح من الكشف على جثة عمه كاموسى[1].

إن التقويم المقارن عندما اهتديت به إلى أن «أمينوفيس» هو «فرعون موسى» ومن مقارنة عمريهما، وضح أنهما كانا صبيين فى وقت واحد، وشبا عن الطوق فى سن متقاربة، كان فيها أمينوفيس أكبر ببضع سنين عددا، وأن الأسرة الفارهة الأصالة، هى التى احتضنته، وربته وجعلته كمصرى أول الأمر فى طفولته الباكرة، ثم كمصرى عبرانى فى حداثته، ثم كرئيس وزعيم للعبرانيين فى كهولته، وذلك الذى دعا موقف المجابهة بينه وبين صاحبه أمينوفيس، لا يأخذ شكل القتال، وإنما يأخذ صورة المساجلات، والدعوة من جانب موسى إلى أن يدخل المصريون فى دين الله، والرفض من جانب المصريين أن يدخلوا فى (دين العبرانيين) الذين يعرفهم المصريون خير المعرفة، وأنهم لا يدعون إلى شئ، ولا يفعلون شيئا الا لغرض فى نفس يعقوب، ولما دعا موسى قوم وبنى جنسه إلى الخروج من مصر. وعصاه قومه وبنو جنسه، وسَخَّر الله

(١) فى« معركة التحرير ضد الهكسوس، مات الاب شهيدا، والابن جريحا فقد ثبت من الكشف على جثته (المومياء) أنه أصيب بطعنات عدة..
وزوجة الشهيد العظيم، وأم كاموسى الجريح، وأم بطل الاستقلال، هى التى تربى فى ظلال دوحتها.. النبى موسى عليه السلام.

موسى معجزاته لبهر اليهود ولإقناعهم بأن السير وراءه لن يدعهم يخسرون كثيرا اذا ما خرجوا من مصر، وتردد العبرانيون، وكانت مصر ما يزال جرحها غائر منهم، ومن أفعالهم القديمة بالتحالف مع الهكسوس، وحاليا بالتجمع، وبمحاولة الاتفاق على أن يستقلوا بمنطقة جاسان، وإلا فإنهم سيفعلون بالقوة، خرج أمينوفيس، لشفاء الجرح الغائر، الذى لا أحسب أن أم المصريين «اياح» كفت لحظة عن البوح به لحفيدها أمينوفيس.. وهرع اليهود إلى موسى، فتلمس عصاه التى انقلبت إلى حية، وضرب بها البحيرات، بحيرة الملح وبحيرة آمون (بحيرة المنزلة) وانفلق البحر، وبان طريق للعبرانيين، لم يكونوا بحاجة إليه، فالطريق الموصلة إلى المنطقة حول ثارو كثيرة[1] لا يقطعها إلا جدول ماء عذب، فرع النيل البيلوزى، لولا أنهم فى حالة فزع من قدوم أمينوفيس على رأس جيوشه التى شاهدوها بأعينهم تطارد الهكسوس وتلقى بهم عبر البرارى ومسالك الفرار، فخاضوا الطريق وحلا، وخاضه وراءهم أمينوفيس، عبر العبرانيون وراء موسى، وعادت المياه إلى مواقعها، فغرق أمينوفيس.. بعد أن اجتذبه موسى بعيدا عن تانيس - أورايس - لمنطقة الغرق..

ولما انتشل المصريون، جثة «العزيز» رأوا أن يعبروا له عن رأيهم فيه، يوم أن يعبر الغرب، ويصل إلى الحياة الثانية، فيرى

(١) ثارو قلعة.. كان مكانها عند القنطرة الحالية.

الورد والزهر والرياحين.. كانت معه لحظات العبر، كبضعة متجسِّدة من شعور أهله وقومه نحوه.. اذ اعتبروه صاعدا إلى الرفيق الأعلى، واحد من أسرة الشهداء، محررة الوادى، الفاره الأصالة المصرية..

* الطفل موسى ...

ألا ترى هذين الصبيين اللذين يتحاوران على شاطئ النيل، ومصر فى زينتها.. تغنى ترقص، وتقيم على الشواطئ عيدا، لا لإقبال النيل العظيم كعادته، مبشرا بالنعيم، حاملا على ظهره الخيرات للمصريين، وذلك وحسب، وانما «يوم الزينة» وهؤلاء الناس الذين هم، كأنهم فى الحشر.. جاءوا يحتفلون بالعيدين معا، إقبال النيل.. وعيد الانتصار على الهكسوس وعودة مصر لاستقلالها وأيامها..

هذان الفتيان.. هما .. أمينوفيس.. وموسى.. وقد بهرهما منظر «أحموس» مخترق الجموح.. يتبادل مع الشعب، تحايا النصر.. وكأن (روح مصر) فى شخص أحموس.. هى التى تواصل النبض فى القلوب.. بمزيد من الاستقلال.. بإخراج اليهود من مصر..!

***

المصريات يتحدثن فى البيت الملكى، حول الأم العظيمة، قمر، وقد بلغت من العمر عتيا.

والمصريات يأخذن جانبا فى هذا الحديث الهامس، إن أمينوفيس لم يترك ولدا ذكرا.. أما البنات، فهاهن مشرقات حول جدتهن - هاهى «أحموس نفرو» التى سعى إليها التاج سعيا.

ولكن الرجال، من الأمراء، والأبطال من أبناء الشعب الذين لم يتم النصر لأحموس، إلا بهم، وبهذا الشعور الوطنى المتدفق والمتوازى بين أبطال البيت المالك وبين الشعب، يشعرون أن الزمن الذى يمر بهم ليس مجرد زمن كلاسيكى، ولا تقليدى، وإنما هو زمن الحرية... والمواقف .. والرجال.

ولا تعرف المدوّنات كلها من هو تحتمس الذى تزوج بالأميرة صاحبة الحق فى عرش البلاد.. على الرغم من ذكر هذه المدونات لأسماء الأبطال ، وخاصة قائد الأسطول النيل.. (أحموس الكابى).

* ابن الشعب ...

تزوج ابن الشعب تحتمس، من الأميرة أحموس.. فأنجب منها أميرة ..

وتزوج ابن الشعب، تحتمس، غيرها من بنات الشعب، فأنجب ولدا..

أما الأميرة، فهى (المظلومة) فى المدونات.. حتشبسوت،

أما الأمير فهو تحتمس الثانى.

وإذا نظر المصريون، يوم ذاك، إلى تحتمس الثانى وحتشبسوت، فسيجدون أن «نطفة» البطولة .. من الأسرة الفارهة الأصالة، موجودة فى حتشبسوت، من أمها حفيدة الأبطال أجمعين.

وأما تحتمس الثانى.. فهو الولد الوحيد فى الأسرة، والذى جاء من أب وأم من الشعب، من (تحتمس) ومن (موت نفرة)..

لم تنتظر حتشبسوت حتى يوضع أولاد الشعب الخلص فى الامتحان فصنعت المستحيل، عن طريق كهنة آمون، عشاق مصر، لتنفرد بالعرش، وأن تصنع الذى لم تقدر على صناعته أمها.

وكتبت على المعابد الأسطورة الذكية التى حاولت بها حتشبسوت أن تثبت فيها رضا الآلهة عنها.. لأنها بنت «آمون» حتى تستقل بالحكم

ولكن موجة الحرية، ومنطق زمن الرجال، أرغم حتشبسوت على أن تتزوج أخاها تحتمس الثانى، الذى كان فى قرارة نفسه مقتنعا بحق حتشبسوت فى العرش، فشاركها الحكم.. وأعطاها السلطان.

***

* حتشبسوت العظيمة ...

إن حتشبسوت تعيد سيرة أمها، فلم تنجب إلا بنتين هما (حبيبة رع) (مرية رع) و«ثفرو رع».

وتحتمس الثانى يعيد سيرة والده، ويتزوج من المصرية ابنة الشعب «ايزيس» فينجب منها ولدا هو «تحتمس الثالث».

ويقضى تحتمس الثانى، زوج حتشبسوت، نحبه، فتتحقق أحلامها بأن تنفرد بالحكم. بعد أن أصبحت الوصية على ابن زوجها، وعلى بنتيها..

ماذا كان من أمر ابن الشعب تحتمس الثانى.

تجمع المدونات على أنه لم يترك السلطان لزوجه حتشبسوت، ويعقد الذراعين، وإنما وقف الرجل «للبدو» للعبرانيين الذين لا يريدونها أن تجئ البر كما نقول نحن العوام.

إن حتشبسوت تجعل أبناء الشعب مستشاريها، فها هو قائد البحر «أحموس الكابى» يعيش فى بلاطها، ومعه غيره كثيرون، أخصهم «البناء» (أننى) وهى تصدر الأحكام بإملاء من (روح مصر) باسم الصغير «تحتمس الثالث».

ولقد أسقط المؤرخون على حتشبسوت مافيهم هم من نظرة للحياة فى الأزمنة الأخيرة من تفسخ أخلاقى، فزعموا أن حتشبسوت عندما قربت منها رجلا هو «سنموت» إنما قربته لغرض انحلالى، وقد احتطب فى حبلهم مؤرخون مصريون، وأنا لا أستبعد ذلك وحسب، وإنما أمحوه بالأدلة.

١- دليل منهاج الكتاب، بمعنى أن البلاد قد نظفت تماما من اليهود بعد معرفة المصريين بهم.

وسنرى ماذا سيئول إليه الأمر بعد أن يرجعوا للخدمة عند المصريين.

٢- تدينها بالدين المصرى التراثى.

★ الدين ...

وأحب هنا أن أشير إلى أن الدين المصرى، لا يندرج كما يحسب البعض فى «الوثنية» كما صنع العبرانيون قبل موسى، وبعد موسى، يعبدون «بعل» أو «كالهكسوس» يعبدون «البعليم» ..

وإنما الدين المصرى، خلاصته أن رب الأرباب آمون، هو «سر الوجود» وأنه قد استخلف على مصر، أبناءه الملوك، وأن بنوتهم المقدّرة له، ليست كبنوة اليهود، مجرد كلام يناقض الفعل. وأن هناك «حساب» بعد الموت[١]، وأن الذى لا يعمل السوء هو الذى يحيا مرة ثانية.

فالدين المصرى، دافع إلى التمسك بالعادات، وبالتقاليد، وبالفضائل البشرية المحضة، ثم يدفع ذلك كله نحو ربط الحضارة بالمدنية، عندما نظموا القوانين لصيانة الحضارة الشعبية، وتوسيعها كحق قانونى من حقوق الناس أجمعين.

وحتشبسوت قد بنت لآمون معبده الفريد فى الدير البحرى، هذا المعبد الذى أرسلت من أجل إحضار الأشجار العطرية له بالسفن فى رحلات متعددة من الصومال نظير الهدايا المصرية التى أرسلتها لتلك البلاد لتنشئ العلاقات الودية مع الشقيقات الأفريقية.

---

(١) يذكر (بريستد) فى كتابه (تاريخ مصر) كثيرا من العبارات التى تعتبر شهادة من الناس للمتوفى حتى تقرأ محكمة أوزوريس والاثنان وعشرون قاضيا الشهادة ثم تحاسبه على أعماله.

٣- وأنها أفردت مسلتين من مسلاتها الأربع، لذكرى أبيها تحتمس الثانى ولربما آمون.

٤- قيامها على ما تواصى به الآباء من السهر على حماية الحدود، واستقلال مناجم سينا.

٥- حسن رعايتها للبطل الشعبى الصاعد، «تحتمس الثالث» زوج ابنتها، ولا يمكن لمثل تحتمس الثالث أن يكون ربيب صاحبة إفك على الاطلاق.

٦- لم يتمكن الهكسوس ولا العبرانيون من الانتقاض على أن منطقة أو بلد من البلاد التى أدبها أجدادها بالبقاء فيها من بلاد الساحل.

⋆ تحتمس أبو المعارك ...

بدأ العدو التقليدى، يتحالف مع معظم شعوب المنطقة، اليهود المطرودين من مصر، والهكسوس المندحرين، ومملكة أشور، وحصنوا أنفسهم فى «مجدو» تحصينا على أعلى درجة من الكفاية.

ويشرح «نيلسون» فى كتابه «معركة مجدو»[1] شجاعة تحتمس الثالث الذى لم يختر الطرق السهلة، وإنما اختار الطريق الأصعب، «الممر الضيق» المُفْضى إلى مجدو، والذى يثق الخصوم بأن أحدا لا يقدر على أن يسلكه لأنه يضع نفسه فى أيديهم[2] لو أنه فعل ..

(١) وفيه شرحٌ للخطة الحربية باسهاب

(٢) من عَجبٍ أن يفعل ذلك أبو الابطال رمسيس الثانى بعد ذلك.

يعنينا هنا ما نهتم به من خط اليهود.

لقد كان من بين أسرى تحتمس الثالث، ملك مجدو ومغانم كثيرة من اليهود، منها العجلة الحربية الموشاة بالذهب والفضة التى كان يركبها اليهودى رئيس «مجدو»[1].

وتحتمس الثالث، هذا الذى حاول المتعصبون ضد مصر من كتاب العالم أن يشوهوا «واحديته» المتفردة بفنون القتال، سواء بالحصار، أو بضروب الشجاعة، أو بالخطة الحربية فى القتال، التى بدت فى المعركة التاريخية بأن ينسبوا إليه أنه استعمارى، وأنه عمل لأن يكون امبرطورا ويجعل من بلاد المنطقة كلها امبراطورية مصرية تدحض المدونات الايجبتولوجية نفسها هذا الزعم.

وحتى إن هو فعل بهذا الزعم، فلا تثريب عليه يومذاك، اذ أن البلاد حوالى مصر، تسمع كلام الخيتى السمسار، ذلك اليهودى الذى سبق له أن جاء بالهكسوس وجثم على صدرهم قرنا ونصفا ونيفا من الزمان، ولا شئ يرد به مطامعهم المستمرة فى مصر، إلا أن يخضع هذه البلاد.

الا أن تحتمس الثالث كما هو ثابت من تلك المدونات، أنه جاء بالأسرى من كل تلك البلاد، وفتح لهم دور الثقافة فى طيبة، ليعلمهم فيها تعاليم الحضارة المصرية، ليترقى بهم من عقائدهم الهمجية ويدخلهم فى زمرة الانسانيين،

وكونه ينقل عاصمة الملك إلى منف (ميت رهينة) مرة أخرى،

(١) من البلاد التى اغتصبها بالحرق والابادة يشوع بن نون، مجدو.

ويعيد لمدرسة الفروسية سابق عهدها، ويربى ابنه «أمينوفيس الثانى» حفيد حتشبسوت تربية الفروسية، لايدل على نزعة امبراطورية، وإنما يدل على أن أبناء الشعب اذا اعتلوا الحكم، كان ولاؤهم لتراب الأم العظمى.. مصر، مثلهم فى ذلك سلالة ملوك مصر..

* الأسرى الجواسيس ...

المهم.. جاء تحتمس الثالث، فيمن جاء به من الأسرى.. هؤلاء النساء المدربات على الخدمة فى بيوت الحاكمين.

عدد البلاد التى ينهبها اليهود من أصحابها يتزايد. والعبرانيون يقسمون أنفسهم بين «أدوم» وبين «أفيق» قوم فى فلسطين وقوم على الحدود السورية. ولا أحد فى المنطقة، من كل ملوكها، يعرف حتى الآن كيف يوقف عمليات السلب والنهب العبرانية، لا لقوتهم، وإنما لقدرتهم التى لا تحد فى إقناع غيرهم بأنهم فرق، وبيوت، واسباط، وأنهم فى خلافات داخلية بينهم لا تنتهى، وهو سلاح كسب من ورائه اليهود الكثير.

* بنات سادوم ...

أمينوفيس بن تحتمس الثالث، ينقض على «أدوم»[1] إحدى

(١) بلد العبرانيين الأوائل من أسرة لوط وهى المسماة (سادوم).

قلاعهم التى يتركزون فيها ، ثم ينقض على «أفيق» ويسوق لأسرى إلى مصر.. إلى مدارس التحضير والتهذيب وتعليم الأسرى كيف يحبون مصرويحبون الحضارة، وبدأ الرأى فى مصر ينعقد على أساس أن يتولى الرئاسة فى بلاد المنطقة ممن هى فى حوزة مصر، هؤلاء الذين تفتح لهم مصر قلبها، ومدارسها، فى تعال عن التعصب القومى، والدينى، ملأت به كتب الايجبتولوجى النصوص.

* الجوارى ...

وثلاث ملوك على التوالى، أب، وابنيه، يتزوجون جوارى من العبرانيين، فهذا أمينوفيس الثانى يتخذ لنفسه زوجة (أبوها ملك) و(أخوها ملك) أى من هذه البلاد والقرى التى تنصب كل منها على نفسها ملكا من الحوييين والأمويين التى وقعت فى أيدى اليهود، وهذا تحتمس الرابع ابنه يكثر من الزواج من بلاد المنطقة المختلفة، ويجئ امينوفيس الثالث الابن الثانى (لأمينوفيس الثانى) فيتزوج من بنات الشعب «تى» ثم يتزوج بنت صاحب النهرين، المدللة التى ساق أهلها معها من الجوارى، ما يزيد على الثلثمائة جارية[1]

* صراع ...

والمصريون، فى ظل فكرتهم الجديدة، الارتقاء بالجنس المتمرد،

(١) تحكى المصادر مدى عشق أمينوفيس الثالث لهذه المدلله «جيلوخيبه» بنت أرتناما ملك النهرين.

ناكرو الجميل، وبمصاهرتهم، ومصاهرة ملوك المنطقة، يظنون أنهم يعملون على تهذيب العلاقات والتحول بها من علاقة عداء واعتداء، إلى علاقة تفاهم، وهم لا يدرون ماذا بيَّت عليه العبرانيون النية ! على الرغم من دعواهم بأنهم لا يطلبون أكثر من الرعي بالمنطقة.

لقد كثر كلام العبرانيين عن أنفسهم من أنهم ضعاف، مساكين، خراف، لا حول لهم ولا قوة، فهل انعكست هذه الفكرة على أمينوفيس الثالث عندما صف تماثيل الكباش على جانبى الطريق إلى معبد آمون، بعد أن أخذ بمنطق العبرانيين من أن الدين لله.. والأرض للجميع فلاحين ورعاة..

* رسائل العمارنة ...

إن «اخناتون» بن أمينوفيس الثالث يوسع الفكرة، ويعلن الايمان بالله الذى هو آتون، وليس آمون، وينقل العاصمة إلى الاقليم الثالث بالمنيا، فى تل العمارنة.

ولكن الأخبار تأتى من أهل يبوس إلى تل العمارنة، تقول إن احداثا جساما تدور هناك، وأن ملكا عبرانيا يستولي على «يبوس» ويسميها (أورشليم)[٢] وتتزايد الرسائل.

والمصريون التراثيون أصحاب العقيدة المصرية، فى كفة،

(٢) ذكر اسم أورشليم لاول مرة فى الايجبستولوجى بعد أن اكتشفت فلاحة مصرية تلك الالواح الاثرية الكثيرة المعروفة (بألواح العمارنة) فى المتاحف العالمية.

يقاومون التيار الجديد، وأخناتون ومن حوله فى القصر من المستشارين الأجانب، فى كفة، والمعركة دائرة بين كهان «آمون» وكهان «آتون» الجدد[٣] والأخبار ترد من يبوس التى أصبح اسمها أورشليم، بأن العبرانيين هناك يصنعون دولة كبيرة، لا مجموعة من القرى الملكية كما كان سابق العهد بها..

واليهود فى مصر يعلنون أنهم أعداء هؤلاء «الكفرة» الذين يجهزون على بقية فلسطين، وهم يستبطنون أمرا آخر لا علاقة له بالايمان أو بالكفر..

* نفرتيتى ...

وتشتد الثورة فى مصر على أخناتون،ولكن «نفرتيتى» أخت أخناتون، وزوجته، بنت جيلوخيبة، هى وأقاربها، وجواريها، ومستشاريها، يقاومون الثورة، وينادون.. بالسلام. ذلك لأن السلام عند اليهود لا يعنى مضمونه الحقيقى، وإنما هو يعنى إعطاء الفرصة لأفكارهم وأهدافهم أن تتحقق، وأخناتون نفسه عن طريق أمه وأخواله ومستشاريهم الأجانب، يجعل من نفسه رمزا للمبادئ الجديدة.. مبادئ السلام.

(٣) كان دين اخناتون الجديد - فى نظر المصريين التراثيين - يدعو لعزل الدين عن «الوطنية» وقد توارث المصريون عقيدة الايمان (برب مصر) آمون.

* روح مصر ...

إن العبرانيين، أصحاب تجربة قديمة، ومتجددة، مع مصر، ويعتقدون ان سر (قوة مصر) وسر (كبرياء عزتها) كامن فى هذا الهواء الروحى الذى يكتنف ربوعها وقلوب أبنائها والذى نسميه (روح مصر) وها هم يمدون أيديهم لمحاولة خنق هذا الروح، بتبشيرهم بالاله الجديد «أدونيا» أي «السيد» الرب، والتى حرفت بعد ذلك إلى (آتون) والمصريون يرون أن العبرانيين وغيرهم سينالون من مصر مآربهم بفضل الفجوة الحادثة عن فصل الدين عن الوطن..

وكان الذى يحكم مصر فى هذه الايام، أيام اخناتون، ومن بعده توت عنخ آمون، وزوج المرضعة، «آى» هم هؤلاء «الجبهة» التى استمسكت فى سبيل خنق (روح مصر) التى هى التطابق الشديد بين عبادة الله وعبادة الوطن.

ونفذت الجبهة إلى معتقدات «اخناتون» الذى وصلت به حضارة بلاده إلى فكرة توحيد الالهة ..

* مدرسة الصراع ...

وفى ظل هذه الثورة، تربى ابن الشعب، رب السيف والقلم، «حور محب» الذى لم ينتظر، وهو ما يزال بعد ضابطا فى حامية (اهناس) أن يأخذ الأوامر من «نفرتيتى» وجبهتها، وإنما تلقى الاوامر.. من

«روح مصر» فخرج بحاميته أكثر من مرة ليجهز على أنصار «السلام اليهودى» الداخلين مصر.. تارة بحجة الرعى.. وأخرى.. بحجة الاستجابة لدعوة الملكة الام.. نفرتيتى.. فتاريخ مصر الماضى كله تعبير عملى عن السلام لكل القبائل التى تدخل مصر فرارا من «جوع» و«خوف» البرارى..

* دولة صهيون ...

توطدت دولة صهيون، نهائيا، على يد الملك داود، وكان حور محب قد أعاد إلى مصر ثقتها بنفسها، وطهرها من الجبهة الخائنة، ومن الطابور الخامس، وتصوف فى عشق أمه العظمى، مصر، ورد إليها عقيدتها، وكيانها، بل ووضع القوانين المدنية. التى توسع من الحضارة الشعبية ليجعل الحق والخير والعدالة والامان، ليست بفعل العادات والتقاليد وحسب، وإنما بحكم القانون، وقرب منه الشباب الفارس المؤمن بتراث بلاده، دينها، وشعبها، وحدودها، وجعلهم يمارسون الحكم فى حياته. وهذا هو سيتى الكبير، الذى ما أن تسلم مقاليد الحكم، حتى اتجه لدك الدولة المنهوبة من أصحابها، والتى قامت لتنشر الفتن وشريعة الغاب فى المنطقة .. اسرائيل.

وعادت اسرائيل إلى المعاهدات المنقوضة، معاهدات السلام اليهودى، ولكن رمسيس الثانى، أبو الابطال المصريين، يستبطن ألا يسمع إلى كلمة «السلام اليهودى» الا بعد أن يقضى على هذا

الكائن الشرير.. الفريسة المتوحشة.. اسرائيل.. فحارب يوشيا الملك. وأسر ابنه، وولى عليهم يهوديا يجبى الجزية لمصر. وأخذا بمنهاجنا المقارن، نسوق من «التوراة» ما يؤيد الايجبتولوجى.

«وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون»

«موآبيات، وعمونيات. وآدوميات. وصيدونيات. وحثيات»

«من الامم الذين قال عنهم الرب لبنى اسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم»

«فالتصق سليمان بهؤلاء فى المحبة»

«وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلاث مائة من السرارى. فأمالت نساؤه قلبه»

«وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب الهه كقلب داود أبيه»

«وعمل سليمان الشر فى عينى الرب ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه»

«فغضب الرب على سليمان»(١)

***

«وأقام الرب لسليمان (هدد) الادومى»

«كان من نسل الملك فى أدوم»

---

(١) التوراة - الاصحاح الحادى عشر - الملوك الاول.

«وحدث لما كان داود فى أدوم عند صعود يوآب رئيس الجيش لدفن القتلى وضرب كل ذكر فى أدوم، لأن يوآب وكل اسرائيل أقاموا هناك ستة أشهر حتى أفنوا كل ذكر فى أدوم».

،أن (هدد) هرب هو ورجال آدميون من عبيد أبيه معه ليأتوا إلى مصر،.

،وكان (هدد) غلاما صغيرا. وقاموا من مديان وأتوا إلى فارا وأخذوا معهم رجالا من فاران وأتوا إلى مصر. إلى فرعون ملك مصر. فأعطاه بيتا، وعين له طعاما. وأعطاه أرضا،.

،فوجد (هدد) نعمة فى عينى فرعون جدا،

،وزوجه أخت امرأته،

،أخت تحفنيس الملكة،

،فولدت له أخت تحفنيس (جنوبث) ابنه،.

،وفطمته تحفنيس في وسط بيت فرعون (بين) بنى فرعون..،

،وكان(جنوبث) فى بيت فرعون (بين) بنى فرعون..،

،فسمع (هدد) فى مصر بأن داود قدا ضطجع مع آبائه،

،وبأن يوآب رئيس الجيش قد مات،

،فقال (هدد) لفرعون. أطلقنى فأنطلق إلى أرضى،

،فقال له فرعون.. ما ماذا أعوزك عندى حتى تطلب الذهاب إلى أرضك،.

«فقال لا شيء وإنما أطلقني» ..!![1]

***

«وأقام الله خصما آخر «رزون بن البداع» الذى هرب من عند سيده (هدد عرز) ملك صوبة»

«فجمع إليه رجالاً فصار رئيس غزاة عند قتل داود إياهم»

«فانطلقوا إلى (دمشق) وأقاموا بها و(ملكوا) فى دمشق»

«وكان خصما لإسرائيل فى كل أيام سليمان مع شر هدد»

«فكره اسرائيل وملك على آرام»[2]

***

و«يربعام بنى ناباط افرايمى م صردة»

«عبد لسليمان واسم أمه صروعة وهى امرأة أرملة رفع يده على الملك»

«وكان الرجل يربعام جبار بأس»

---

(١) التوراة – النص كاملا – الاصحاح الحادى عشر – الملوك الاول. و«تحفنيس» هى نفرتيتى، والفرعون هو أخناتون، ولعل هذه الصورة من التوراة، تعطينا أوضح فكرة عن مدى العلاقة الجديدة بين اليهود وأخناتون من ناحية. ومن ناحية أخرى وأهم، عن «اللعبة» اليهودية بالتظاهر بالخصومة والانقسام.. لخدمة الغرض الأول الذى هو فى نفس يعقوب.. !! تظاهر (هدد) بأنه خارج على بنى جنسه، وفى اللحظة المناسبة، رجع إليهم، بما معه من أخبار.. وأسرار .. المهم.. أنه تزوج حفيدة جليوخيبة ..!! بمصر

(٢) التوراة – المرجع السابق. وهذا دليل (عبرانى) على أن (لعبة الخروج والهرب للتظاهر بالانقسام) وهى فى الحقيقة لغرض فى نفس يعقوب...

«وطلب سليمان قتل يربعام وهرب إلى مصر..»
«إلى.. (شيشق) ملك مصر
«وكان فى مصر إلى وفاة سليمان»[(١)]

***

وتجدر الاشارة هنا، بأن الذى أوقع المؤرخين جميعا، فى الخطيئة العلمية، بقولهم إن بنى اسرائيل لم تذكرها المدونات المصرية، الا أيام مرين بتاح أو منفتاح بن رمسيس الثانى، فذلك مرده إلى أن القصيدة التى امتدح بها الشعراء ابن البطل الكبير، ذكرت فيها كلمة بنى اسرائيل..

ولو أدرك المختصون، أن نفس القصيدة، بها ذكر (للخيتا) أى اليهود، لعرفوا أن المدونات ذكرتهم قبل ذلك تحت اسم «البدو و«الرعاة» و«الخارو» و«الخبيرو» و«أصحاب الاقواس التسعة» وصوروهم مضروبين بالعصى فرادى، وصوروهم جماعات، وصوروا المعركة الخالدة لرمسيس الثانى..

أنظر إلى صورهم المحفورة بكتاب الدنيا الدهرى «الآثار المصرية» وطابق هيأتهم المذكورة فى التوراة - ولن تشك فى أنهم هم اليهود.. قُرص الشعر الحليق من وسط الرأس.. واللحى المدببة..

---

(١) التوراة - المرجع السابق. ويهودى آخر.. لعب نفس اللعبة فى (دمشق)!! وهذا دليلٌ عبرانى على أن اللعبة متقنة عندهم (من بدرى..) اذ لعبها يربعام أيام سليمان، وأفاد بها «الجنس المتمرد» أيام داود ....
وهو أيضا دليل مُفْحم على أن «شيشق» الذى هو سيتى، ليس «شيشنق» وأن «شيشق» اسم منطوق بالعبرانى، وششنق اسم منطوق بالمصرية القديمة.. فتأمل من أين جاء اللبس.. !!

الفصل الثامن

وإسرائيل.. لماذا صار غنيمة؟!

* لأنك قلت لا أتعبد ...
لأنك على كل أكمة عالية ...
... وتحت كل شجرة خضراء
أنت اضطجعت زانية..

«أرميا النبي»

* وأما المصريون فهم ناس، لا آلهة ...
لذلك اسمعوا كلام الرب، يا رجال الهزؤ..
ولاة هذا الشعب الذى فى أورشليم ...

«أشعياء النبى»

* «بموشى كتان من مصر...»
«... عطرت فراشى بمر، وعود، وقرفة...»
«.. هلم نرتو.. ودا.. إلى الصباح ...»
«.. نتلذذ بالحب ...»
«.. لأن الرجل ليس فى البيت..!!»

«سليمان الحكيم»

إن السؤال:

كيف يتحول اليهودى واليهودية من ديدان الأمية البشرية إلى قوم أصحاب مطامع يذودون عنها ويحاربون أحر قتال.

يقول الاستعماريون.. إنهم بدءوا يأخذون بأسباب الحضارة والحقيقة هى أنهم تحولوا بالتصنيع لا بالحضارة إلى ما هم عليه الآن.

إنهم شخصيات (مصنّعه) أكملت الأسلحة الاستعمارية المطيعة لهم (النقص) المروع فى تكوينهم.

وبالتفاؤل الهادئ يمكنك القول إن العرب يوم أن يتم لهم التكافؤ فى القوى السلاحية. تصبح المعركة بين نوعين، نوع ملئ مسمط الامتلاء بالشخصية. ونوع كأعجاز نخل خاوية رغم طاعة السلاح الاستعمارى فشتان بين الشخصية المطبوعة على حقيقة واستواء، والشخصية المصنّعة

ويا ليتنا نطلع على ما بداخل الشخصية اليهودية من اعتقاد.

أول ما نراه، من كلام النبى موسى عليه السلام.

«الاصحاح التاسع والعشرون، سفر التثنية»

«ودعا موسى جميع اسرائيل وقال لهم»

«أنتم شاهدتم ما فعل الرب أمام أعينكم فى أرض مصر بفرعون»

«وبجميع عبيده وبكل أرضه»

«التجارب العظيمة التى أبصرتها عيناك وتلك الآيات والعجائب العظيمة»

«ولكن لم يعطكم الرب قلبا لتفهموا»

«وأعينا لتبصروا»

«وآذانا لتسمعوا»

«إلى هذا اليوم»

(وفى الاصحاح الثانى والثلاثين - سفر التثنية)

«إنهم أمة عديمة الرأى ولا بصيرة فيهم»

«لو عقلوا لفطنوا بهذه وتأملوا آخرتهم»

«كيف يطرد واحد ألفا»(١)

«ويهزم اثنان ربوة.. لولا أن صخرهم (أى ربهم الذى يستندون إليه) باعهم والرب سلمهم»(٢).

---

(١) وهذه العبارة بنصها، وردت فى الملحمة الخالدة.. عند المقابلة بين رمسيس الثانى فى واحديته.. وألف من الجنس المتمرد.. اليهود

(٢) «لولا أن (صخرهم) باعهم، والرب سلمهم،» عبارة توضح لك، من المقابلة بين (صخرهم) و(الرب) أن صخرهم هنا هو «صهيون» الحصن الصخرى الذى استبدلوه بـ(يهوه)... بالله

«لأنه ليس كصخرنا صخرهم ولو كان أعداؤنا القضاة»
«لأن من جفنة (سدوم) جفنتهم»
«ومن كروم (عموره) عنبهم»
«عنب سم.. ولهم عناقيد مرارة»
«خمرهم حمة الثعابين وسم الأصلال القاتل»
يعنى أن اليهود أساسا من ذرارى الموآبيين أهل «سدوم» و«عموره»

ومنشأ هؤلاء ذكرتهم كل الكتب السماوية بأبشع جريمة زنى اقترفته اختان مع أبيهما الشيخ بعد أن أسكراه وسقياه نبيذاً.

واذا أردت أن تعرف من أين ترسَّبت على ألستنا كلمة «التنبيط» بمعني أن فلانا «بينبِّط عليك» أى يتسقط أخبارك ليعلنها، ويعلنها بأسلوب جارح وبطريقة اذا حاسبته عليها لم تقدر.. لأن التنبيط عبارة ملفوفة ومصاغة باقتدار. لها ظاهر عادى وباطن مرير. هو يقصد الباطن. ويهرب قائلا إنه يقصد الظاهر..

التنبيط أسلوب يهودى أصلا.

والنِبَطْ امة منهم

وجدهم الأعلى يربعام بن نباط

ويرجع اليهود حبهم للخطايا لأخذهم بشريعة يربعام بنى نباط بعد أن نبذوا شريعة موسى.

«فى السنة الخمسين لعزريا ملك يهوذا ملك (فقحيا بن منحيم)

على اسرائيل فى السامره سنتين، وعمل الشر فى عينى الرب (لم يحد عن خطايا يربعام بن نباط الذى جعل اسرائيل يخطئ)[1].

وانظر إلى هذه الصورة الفصيحة فصاحة تغنى عن كل بيان.

«وكان أن بنى اسرائيل أخطأوا إلى الرب إلههم»

«الذى أصعدهم من أرض مصر من تحت يد فرعون ملك مصر»

«واتقوا آلهة أخرى»

«وسلكوا حسب فرائض (الأمم) الذين طردهم الرب من أمام بنى اسرائيل وملوك اسرائيل الذين أقاموهم».

«وعمل بنو اسرائيل- سرا - ضد الرب إلههم أمورا ليست بمستقيمة»

«وبنوا لأنفسهم (مرتفعات) فى جميع مدنهم من برج النواطير إلى المدينة المحصّنة».

«وأقاموا لأنفسهم انصابا وسوارى على كل تل عال وتحت كل شجرة خضراء»

«وأوقدوا هناك على جميع المرتفعات مثل الأمم الذين ساقهم الرب من أمامهم»

«وعملوا أمورا قبيحة (لإغاظة الرب)».

«وعبدوا الأصنام التى قال لهم الرب عنها لا تعملوا هذا الأمر»

«وأشهدوا الرب على اسرائيل وعلى يهوذا عن يد جميع الأنبياء.

(١) الاصحاح الخامس عشر - الملوك الأول.

وكل راء قائلا ارجعوا عن طرقكم الردية واحفظوا وصاياى، فرائضى حسب كل الشريعة التى أوصيت بها آباءكم والتى أرسلتها لكم عن يد عبيدى الأنبياء»

فلم يسمعوا.. بل صلبوا أقفيتهم.. كأقفية آبائهم الذين لم يؤمنوا بالرب إلههم»

«ورفضوا فرائضه وعهده الذى قطعه مع آبائهم وشهاداته التى شهد بها عليهم»

«وساروا وراء الباطل»

«وصاروا باطلا»

«ووراء الأمم الذين حولهم الذين أمرهم الرب ألا يعملوا مثلهم»

«وتركوا جميع وصايا الرب إلههم»

«وعملوا لأنفسهم مسبوكات عجلين»

«وعملوا سوارى وسجدوا لجميع جند السماء»

«وعبدوا.. البعل»

«وعبرا بنيهم وبناتهم فى النار عرفوا عرافة، وتفاءلوا»[1] وباعوا أنفسهم لعمل الشر فى عينى الرب (لإغاظته)

«فغضب الرب جدا على اسرائيل. ونحاهم من أمامه»

«ولم يبق إلا يهوذا وحده.. ويهوذا أيضا لم يحفظوا وصايا الرب الههم بل سلكوا فى فرائض اسرائيل، التى عملوها»

---

(١) من أخص خصائص اليهودى.. أنه متشائم بالطبع.. وأن التفاؤل عنده .. حرام..

«فرذل الرب كل نسل اسرائيل وأذلهم ودفعهم ليد ناهبين حتى طرحهم من أمامه... لأنه شق اسرائيل عن بيت داود فملكوا - يربعام ابن نباط - فأبعد يربعام بن نباط اسرائيل من وراء الرب وجعلهم يخطئون خطية عظيمة»[1].

«وسلك بنو اسرائيل فى جميع خطايا يربعام التى عمل.. لم يحيدوا عنها»

«حتى نحى الرب اسرائيل من أمامه.. كما تكلم عن يد جميع عبيده الأنبياء»

فسبى اسرائيل من أرضه إلى أشور.. إلى هذا اليوم.[2]

وتستطرد الآيات بنفس السفر:

«لا يتقون الرب ولا يعملون حسب فرائضهم وعوائدهم ولا حسب الشريعة والوصية التى أمر بها الرب بنى يعقوب الذى جعل اسمه اسرائيل».

وإن الملاحم التى تكاد تستشعر شيئا من المبالغة بها لما تحسه فى ألفاظها من نبض وما تسمعه وراء خيالها من أصوات عالية وما تراه فى نسيجها من ألوان باعتبار الملاحم «المأساة» فى الفن الشعبى. إن هذه الملاحم لم تطل على باطن الشخصية اليهودية

---

(١) اختارت اسرائيل أصلح من يكون ملكا عليها، «يربعام بن نباط» لأنه العليم بكل أكمة عالية.. وبكل شجرة خضراء..!!

(٢) الاصحاح السابع عشر - الملوك الثانى

واحشائها أثناء القتال وبعده. ولكن الكتاب المقدس يقول فى ذلك[1].

«انظروا

«اسمعوا على أورشليم

«المحاصرون آتون من أرض بعيدة فيطلقون على مدن يهوذا صوتهم»

«كحارس حقل صاروا عليها.. حواليها»

«لأنها تمردت علىّ، يقول الرب»

«طريقك وأعمالك صنعت هذه لك»

«هذا شرك».

«فإنه مر... فإنه قد بلغ قلبك»

«احشائى .. احشائى...»

«توجعنى جدران قلبى»

«يئن فى قلبى»

«لا أستطيع السكوت لأنك سمعت يا نفسى صوت البوق وهتاف الحرب بكسر على كسر نودى. لأنه قد خسرت كل الأرض».

«بغتة ضربت خيامى وشققى فى لحظة..»

«حتى متى أرى الراية وأسمع صوت البوق»

«لأن شعبى أحمق»

---

(١) أرميا – الاصحاح الرابع.

«إياى لم يعرفوا»

«هم بنون جاهلون وهم غير فاهمين»

«هم حكماء فى عمل الشر»

«ولعمل الصالح... ما يفهمون»

وإسرائيل.. ؟

«لماذا صار غنيمة»

سؤال مطروح فى الكتاب المقدس (الاصحاح الثانى)

(والجواب بنفس الاصحاح)

«لأنه منذ القدم كسرت نيرك وقطعت قيودك.. وقلت (لا أتعبد)

«لأنك على كل أكمة عالية»

«وتحت كل شجرة خضراء»

«أنت اضطجعت زانية»

«وأنا قد غرستك (كرمة سورق) زرع حق كلها. فكيف تحولت فى «سروغ» جفنة غريبة»

«فإنك وان اغتسلت (بنطرون) وأكثرت لنفسك الاشنان فقد نقش إثمك أمامى يقول السيد الرب»

«كيف تقولين لم أتنجّس»

«وراء بعليم لم أذهب»

«إنظرى طريقك فى الوادى»

«إعرفى يا ناقة خفيفة ضبعة فى طرقها»

،يا أتان الفراء قد تعودت البرية،

،في شهوة نفسها تستنشق الريح،

،عن صنيعها من يردها،

،كل طالبيها لا يعيون،

،في شهرها.. يجدونها،

إحفظي رجلك من الحفا،

،وحلقك.. من الظمأ،

،فقلت.. باطل،

،لا،

،لأنني قد أحببت الغرباء. ووراءهم .. أذهب،

«كخزى السارق إذا وجد هكذا خزى بيت اسرائيل َوملوكهم ورؤساؤهم وكهنتهم وأنبياؤهم.

«قائلين (للعود) أنت أبى

«وللحجر أنت ولدتنى»

ما رأى أصحاب القمصان البيضاء ذوات الياقات المنشأة من الاستعماريين الايجابيين والاستعماريين السلبيين من المثقفين الذين تسرَّبت الدودة الاسرائيلية إلى وجداناتهم فأكلت فيهم أوراق القومية اليانعة العطرة.

يطالبوننا بأن نفرق بين اليهودية واسرائيل والصهيونية بدعوى أن لفظة اليهود تنحسب على المتدينين منهم..

ردوا على الرب إلهكم إذن..

(وفى الاصحاح الثانى من نفس السفر)

،وقال الرب فى أيام يوشيا الملك[1]،

،هل رأيت ما فعلت العاصية اسرائيل،

،انطلقت إلى كل جبل عال،

،وإلى كل شجرة خضراء،

،وزنت هناك،

،فقلت (بعد ما فعلت كل هذا)

إرجعى إلى،

،فلم ترجع،

،فرأت أختها الخائنة يهوذا،

،فرأت أنه لأجل كل الأسباب اذا زنت العاصية اسرائيل فطلقتها وأعطيتها كتاب طلاقها،

،لم تخف الخائنة يهوذا بل مضت وزنت هى أيضا،

،وكان من هوان زناها أنها نجست الأرض،

،وزنت مع الحجر.. ومع الشجر،

«وفى كل هذا أيضا لم ترجع إلى أختها الخائنة يهوذا بكل قلبها، بل بالكذب يقول الرب»

«فقال الرب لى قد بررت نفسها العاصية اسرائيل أكثر من

---

(١) الذى صَعَدَ المنبر ليجمع اليهود فى معركة ضد عم رمسيس.. فجند له البطل.. وصور حكايته معهم على معابده.

الخائنة يهوذا...»

يا له من يقين قديم ودائم وأبدى.. وياله من عار لا استطاعة فى التشكيك فيه. عار لا يغسله حتى النطرون.. عار ينسحب على الرجال منهم وعلى بنات.. آخاب.

وفى الاصحاح الثامن والعشرين - سفر اشعياء.

‹لذلك اسمعوا كلام الرب يا رجال (الهزؤ) ولاة هذا الشعب الذى فى أورشليم›

‹وأما المصريون فهم أناس.. لا آلهة›

وقد يحسب البعض أن رمى يهوذا واسرائيل بهذه النقائص والشنائع المتأبِّدة فيهم رميا مطلقا وعاما، والحقيقة أن التفصيل شائع فى الكتاب.

فالمرأة منهم تنظر إلى النسل ليس كمثل ما ينظر إلى ذلك الناس من أن الأمل فيه أن تأتى به المرأة لرجلها منه يحمل اسمه وعبئه ويخلد ذكره. بل هى تنظر إلى الولد على أنه (زرع بشر) ولا نظر إلى شرط أو حق أو معنى.. (١)

وعبارة (زرع بشر) منصوص عليها. إذ جاءت على لسان السيدة حنة أو صموئيل الأول عندما نسلت ضرتها أولاداً من زوجهما الفانه

(١) فى دينهم الخاص، السرى، اهتمام المرأة بأن (يأتى) المولود.. فالمُهم أن يظل (زرع) البشر موجودا.. وأن يأتى (الزرع) ذلك غاية، حتى لا تنقرض الذرية.. ولتيسير ذلك، فإنه لا داعى للفضائل ووجوب الإتيان به من الرجل الزوج.!!

بن يرحام.. فصلت إلى الرب وبكت بكاء ونذرت نذرا.

وقالت يارب الجنود إن تظرت نظرا إلى مذلة امتك وذكرتنى ولم تنس أمتك بل أعطيت أمتك (زرع بشر) فإنى أعطيه للرب كل أيام حياته.. ولا يعلو رأسه موسى[1].

وينظر الرجل للمرأة على أنها «شَرَك» يُنْصَب للرجال وهاهو الملك شاول الذى كان يحس بأن الشاب «داود» سينافسه فى الرئاسة والملك وأراد أن يعطل نبوغه ويحد من إرادته. فماذا يفعل؟ عرض أولا ابنته ميرب ليتزوجها وبعد أن يقيده بالمصاهرة يؤلب عليه الفلسطينيين.

أجاب داود من أنا.. وما هى حياتى وعشيرة أى فى اسرائيل حتى أكون صهر الملك..

وأحبت ميكال.. أخت ميرب، بنت شاول، داود، فما فعل شاول الملك، وميكال ابنة شاول أحبت داود فأخبروا شاول «فحسن الأمر فى عينه».

وقال شاول أعطيه إياها فتكون له شَركا.. وتكون يد الفلسطينيين عليه وراح شاول يدس أصفياءه على داود.. ليوقعه فى حبائله. هذه الحبائل التى أهمها ابنته... ميكال

ويضرب شاول عصفورين بحجر. يبسط لداود المهر بأن يجعله «مائة غلفة» من الفلسطينيين أعداء اسرائيل وشاول فى ذلك يعرف

---

(١) الاصحاح الاول - صموئيل الاول

أنه إذا قتل داود مائة شاب فلسطينى فإنه سيصبح العدو اللدود لهم يقتفون أثره..

«فقال شاول هكذا تقولون لداود. ليست مسرة الملك بالمهر[1] بل بمائة غلفة من الفلسطينيين للانتقام من أعداء الملك. وكان شاول يفكر أن يوقع داود فى يد الفلسطينيين»[2]

ولم يكن شاول ملك اسرائيل هو وحده الذى يتربص بداود الدوائر إنما كان هناك من أشهر أغنيائهم فى البرية فى ذلك الوقت السيد نابال الأحمق - والذى رماه بالحماقة زوجته «الجيدة الفهم الجميلة الصورة».

وطلب داود ثمن حمايته لنبال فى البرية وحماية غنمه من عدوان المعتدين. فرفض نابال، وعرف رجاله أن داود سيذعين للرفض.

ولكن الجميلة، أبيجابل ركبت وذهبت لمقابلة داود

* الشرك اليهودى يتحرك ...

«وسقطت على رجليه

«وقالت يا سيد أنا هذا الذنب

---

(١) ما رأى الناس فى هذا المهر؟.. مائة شاب فلسطينى يقتلهم العريس ليحظى بنت ملك اليهود.!!

وما رأى الحياء العام فى هذا العبير عن الرجل (بقلفته) ويدعون بعد ذلك أن لهم أدب.. وحضارة.!!

(٢) الاصحاح الثامن عشر - صموئيل الاول.

«ودع أمتك تتكلم فى اذنيك واسمع كلام امتك

«لا يضعن سيدى قلبه على الرجل اللئيم هذا.. على نابال لأنه كاسمه هكذا هو.. نابال اسمه والحماقة عنده».

وعفى داود[1].

ولما مات الاحمق

راحت ابيجابل وتزوجت داود

فانتقمت ميكال بنت الملك وتزوجت بغير داود.

وكان شاول هذا أهود اليهود.. فهو يضع ابنته شركا «لداود» ثم يأمر ابنه بقتل داود، ليتم له السلطان لشاول، وليتفرغ لإخماد أنفاس الفلسطينيين.

«وحارب الفلسطينيون اسرائيل».

«فهرب رجال اسرائيل من أمام الفلسطينيين وسقطوا قتلى فى جبل جلبوع».

«فشد الفلسطينيون وراء شاول وبنيه».

«وضرب الفلسطينيون.. يوناثان.. وأبيناداب.. وملكيشوع.. ابناء شاول».

«واشتدت الحرب على شاول فأصابه الرماة رجال القسى فانجرح جدا من الرماة».

«ولما رأى رجال اسرائيل الذين فى عبر الوادى والذين فى عبر

(١) الاصحاح الخامس والعشرون - صموئيل الاول

الأردن ان رجال اسرائيل قد هربوا وان شاول وبنيه قد ماتوا..

تركوا المدن.. وهربوا..

«فأتى الفلسطينيون وسكنوا بها»[1]

* شمشون الجبار ...

شمشمونهم: مادة الفن اليهودى واشياعهم من عشاق الأدب المكشوف .. إن فى أخبار شمشمون الكثير من مفاتيح الشخصية اليهودية ذكورا واناثا بالاضافة إلى الوجود الفلسطينى باسمه هذا العربى وبوجود الشعب الكنعانى والأمورى وبنى عناق - قبل احتيالهم على دخول هذا الموطن.

فلقد كان هم اليهود أن يستفيدوا بالشرك - بالمرأة اليهودية وجمالها فى ربط العلاقات بأصحاب البلاد... أحب شمشمون فتاة (فلسطينية) ولكن الفتاة الفلسطينية لم يغرها منظره - ولم تحبه - وكذلك ابوها.. ولكن شمشمون الذى يحمل الحمار.. ويضرب به الف رجل ترك العاطفة.. وساق القوة البدنية للارهاب. واذعن الرجل.. وصاهر شمشمون - نسمع من النص أفضل..

(الاصحاح الرابع عشر من سفر القضاة) ونزل شمشون إلى «ثمنه» ورأى امرأة من بنات الفلسطينيين واخبر اباه وامه، وقال رأيت امرأة فى ثمنه من بنات الفلسطينيين فالآن خذاها لى امرأة،

---

(١) الاصحاح الحادى والثلاثون - صموئيل الاول

فقال له ابوه وامه أليس فى بنات اخوتك وفى كل شعبى امرأة حتى أنك ذاهب لتأخذ امرأة من الفلسطينيين الغلف..! فقال شمشمون لأبيه، إياها خذلى لأنها حسنت فى عينى».

يقول النص بعد ذلك ما يتمشى مع حقيقة واقع البلاد فى تلك الايام «وفى ذلك الوقت كان الفلسطينيون متسلطين على اسرائيل» ونمضى مع قصة الفتاة الثمنية، ونتكشف معها أن شمشمون لم يتزوجها لسواد عيونها. وإنما للتكسب من وراء أهلها الاثرياء.. بكل حيلة.. وبات شمشمون الطويل العريض القوى فى نظرها مجرد «منظر» أشبه بدولاب مزخرف الواجهة بالصدف وبداخله خرق بالية. لم يكن بداخل شمشمون رجل.. وإنما كان بداخله قاطع طريق.. ولما كشفت الفتاة حقيقته وخسته، وفضيحته.. هرب. هرب شمشون الجبار.. ولما عاد - ليرى زوجته وجدها بالطبع قد تزوجت من اختارت.

«ودليلة»... دليلة.. التى ارتبط اسمها باسم شمشمون فى الادب والموسيقى.. ترى هل كان «سان سانس» الفرنسى المصرى يعرف هذه الحقائق عن شمشون. وهو يؤلف قطعته الموسيقية «شمشون ودليلة» كان فى بلادنا.. ويمجد اعداءنا.. يا لشعبنا الطيب الذى نزع عن نفسه. جلبابه، وعقائده، وتاريخه.. مرة واحدة. وهل يعرف شعبنا، فى جيل آبائنا، أنه كان يشرب شجائر «سمسمون» وهو لا يعرف أنها دعاية يهودية لشمشون الجبار..

فهكذا اسمه لدى الاجانب وان كثيرا من حصيلة الربح الذى دفعه آباؤنا.. كان جزءا من الرصيد. لقتالنا. وتأتى سيرة شمشون بالكتاب المقدس عند اغتصاب «يبوس» التى سموها «أورشليم».

«وحارب بنو يهوذا أورشليم وأخذوها وخربوها بحد السيف وأشعلوا المدينة بالنار وبعد ذلك نزل يهوذا لمحاربة الكنعانيين سكان الجبل والجنوب والسهل»

لقد باعت «دليلة» شمشونها.. بالفضة.. بالمال، ولو أن دليلة أحست بأن داخل هذا المنظر.. ذى الشهر المهوب من حيث القوة الخارقة. لو أن بداخله «انسانا» لأحبته.. ولما سلمته للمتربصين به .. أو لحافظت عليه للرباط العنصرى بينهما - ولكن المال أولا وقبل كل شئ. «عند دليله» المال ولا شئ إلا المال عند اليهود.. والربا دينهم الدنيوى المختار. والمعبود ولا غير ذلك.. وإليك النص:

«وصرخت إلى اليشع امرأة من نساء بنى الانبياء قائلة إن عبدك زوجى قد مات.. وانت تعلم ان عبدك كان يخاف الرب.. فأتى (المرابى) ليأخذ ولدى له عبدين[1]»

وقد يظهر من بينهم من يثور على الخطايا. مناديا بالاقلاع عن البهيمية وسلوك الحياة بين الناس بالفضائح.. وبالشر.. ولكن..! ظهر من بينهم «ياهو» واحتال على عبدة البعل بأن جمعهم ذات يوم

(١) الاصحاح الرابع - الملوك الثانى.

فى أحد بيوت عبادته.. الذهب.. والقوة والانحلال. وما أن دخل الرجال والنساء.. حتى «قال ياهو للسعادة والثوالث ادخلوا اضربوهم..».

«لا يخرج أحد»

هكذا يا هو.. اللهم أعنه على استئصال جرثومة الفحش من معدنه.. ونعود للنص:

«فضربوهم بحد السيف وطرحهم السعاة والثوالث».

«وساروا إلى مدينة بيت البعل. واخرجوا تماثيل بيت البعل وجعله مزبلة إلى هذا اليوم».

«واستأصل يا هو البعل من اسرائيل».

شد حيلك يا سيد ياهو. حتى يكون من بينهم ولو رجل واحد يحارب الشر والفسوق ويقضى على شريعة يربعام بن نباط.. هه؟.. نعم ؟..

«ولكن خطايا يربعام بن نباط الذى جعل اسرائيل يخطئ لم يحد ياهو عنها (أى عجول الذهب التى فى بيت آيل والتى فى دان)..!

«ولكن يا هو لم يتحفظ للسلوك فى شريعة الرب إله اسرائيل من كل قلبه».

«ولم يحد عن خطايا يربعام الذى جعل اسرائيل يخطئ..»[1]

(١) «يا هو» نفسه الذى ثار على الفسق والوثنية، عاد وارتد إلى دين اليهود الخاص..!
لقد كانت بالنسبة للسيد يا هو.. نزوة.. نزوة فضيلة.!!

وبنات آحاب. بدأ سلوكهن العارى المنطلق مع الشهوات وتمجيد الجسد فى علانية تفصح عن الافتخار بالفحش وإقامة «العليات» فى البيوت وفوق التلال والجبال وتحت كل شجرة خضراء فى المروج والبساتين. بما يجعلهن وكأنهن يقمن للزنا المعابد والهياكل. كان البدء عندما ربط آحاب ابنته امرأة له.. رجل يجعل من ابنته له ربيطة.. وبنتا تختار أباها. وكان الرجل ملكا على اسرائيل.. ولتقرأ النص:

«وفى السنة الخامسة (ليورام بن آحاب (ملك اسرائيل) ويهو شافاط ملك يهوذا».

«ملك يهورام بن يهو فاشاط ملك يهوذا».

«كان ابن اثنتين وثلاثين سنة حين ملك».

«وملك ثمانى سنين فى أورشليم».

«وسار فى طريق ملوك اسرائيل كما فعل بيت آحاب».

«لأن بنت آحاب كانت له امرأة..!

«وعمل الشر فى عينى الرب».

البيتان الكبيران فى اليهود، اسرائيل ويهوذا. مصممان على اختيار «بعل» العجل الذهب. الذهب للرجل وقوة العجل للمرأة.. ويجئ فى النص ايضا (الاصحاح الثامن - الملوك الثانى) «وفى السنة الثانية ليورام بن آخاب ملك اسرائيل (ملك أخزيا بن يهورام ملك يهوذا) واسم أمه عثليا بنت (عمرى ملك اسرائيل) وسار فى

طريق بيت آحاب.. وعمل الشر فى عينى الرب.. كبيت آحاب لأنه كان صهر بيت آحاب..»

واليهودية غاية فى الصراحة فى اختيارها الرجل.. إنها انثى صريحة عارية من كل تقليد.. عاطلة من كل نبرة اجتماعية. الحياة عندها كرمة واسعة لعبادة الطقوس الغريزة البهيمية. وهى لا تريد الرجل مقومًا. بعلم. أو بفكر. أو بفن. أو بشهرة. أو حتى بنبوة ويقول النص (الاصحاح السادس عشر - أخبار الأيام الأول).

«أشرفت ميكال بنت شاول من الكرم».

فرأت الملك داود يرقص ويلعب.. فاحتقرته فى قلبها..

وقد مر بك أنها رغم ذلك الاحتقار.. قد تزوجته. لتكون له.. شَرَكا. وداود. كان له من النساء «تسع وتسعون نعجة»..

أخرجهم الرب.. اخرج بنى اسرائيل من مصر.. فحقدوا على الله سبحانه وتعالى وعصوه ورأوا فى ذلك تبريرا صريحا لأن يفعلوا ما شاءوا، والكتاب المقدس (العهد القديم) ملئ بتلك الأخبار - (ففى الاصحاح السابع عشر - الملوك الثانى).

«وكان أن بنى اسرائيل اخطأوا إلى الرب إلههم».

«الذى أصعدهم من أرض مصر من تحت يد فرعون ملك مصر».

«واتقوا آلهة أخرى وسلكوا حسب فرائض الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى اسرائيل وملوك اسرائيل الذين أقاموهم».

«وعمل بنو اسرائيل (سرا) ضد الرب الههم، أمورا ليست

بمستقيمة».

«وبنوا لأنفسهم مرتفعات فى جميع مدنهم».

«وأقاموا لأنفسهم أنصابا وسوارى. على كل تل عال.. وتحت كل شجرة خضراء» وأوقدوا هناك على جميع المرتفعات مثل الأمم الذين ساقهم الرب من أمامهم».

«وعملوا أمورا قبيحة لإغاظة الرب».

«فرذل الرب كل نسل إسرائيل، وأذلهم، ودفعهم ليد ناهبين حتى طرحهم من أمامه لأنه شق اسرائيل عن بيت داود.. فملكوا يربعام ابن نباط».

«فأبعد يربعام اسرائيل من وراء الرب وجعلهم يخطئون خطية عظيمة».

ولن أحدثك عن «استير» التى وضعت «شَركا» لأحد ملوك التتار لا، ولا عن «سالومى» التى قتلت أمها زوجها أبا سالومى لتتزوج أخاه عم سالومى.. وقتلت سالومى نبيا شابا جاء برغبة أمها وعمها الملك.

وقدمت رأسه للزناة.. وهى ترقص.. لن أقدم لك قصتيهما، فاقرأهما فى الأدب العالمى ان شئت، وفى النصوص بين الكتاب المقدس أيضا وكما كتب لك شاكسبير الشخصية اليهودية فى «تاجر البندقية» كتب لك أوسكار وايلد الكاتب الانجليزى.. نفس الشخصية فى «سالومى».

وإنما أحب أن تقرأ أناشيد الإنشاد «تقرأ وصايا سليمان الحكيم، والنبى الاديب. فهو الذى قال «الوصية مصباح والشريعة نور» وتوبيخات الأدب طريق الحياة وهو صاحب المثل «الصيت ولا الغنى حيث يقول (الصيت أفضل من الغنى العظيم).

النبى سليمان، وصف لبنى قومه، ولنا، وللزمان كله.. الزانية (فى الاصحاح الثامن امثال).

* بالديباج فرشت سريرى ....!

«من كوة بيتى».

«من وراء شباكى»

«تطلعت، فرأيت بين الجهال».

«لاحظت بين البنين غلاما (عديم الفهم) (عابراً فى الشارع)»

«.. عند زاويتها.. وصاعدا فى طريق بيتها».

«فى العشاء، فى مساء اليوم، فى حدقة الليل والظلام».

«وإذا بالمرأة استقبلته».

«فى زى زانية».

«وخبيثة القلب».

«صخابة هى وجامحة».

«فى بيتها. لا تستقر قدماها..!!

«تارة فى الخارج.. وأخرى فى الشوارع..!!

«وعند كل زاوية تكمن.. »
«فامسكته وقبلته.. ».
«أو تحت وجهها وقالت له.. على «ذبائح السلامة».
«اليوم .. (أوفيت نذورى) ».
«فلذلك خرجت للقائك.. لأطلب وجهك حتى أجدك.
«بالديباج.. فرشت سريرى..
«بموشى كتان من مصر، عطرت فراشى بمر، وعود، وقرفه».
«هلم نرتو ودا إلى الصباح».
«نتلذذ .. بالحب ...».
«لأن».
«لأن الرجل .. ليس فى البيت».
«ذهب فى طريق بعيدة».
«أخذ»
«أخذ صرة (الفضة) بيده! ..».
«يوم الهلال يأتى إلى بيته.. ».
«أغوته بكثرة فتونها».
«بملث شفتيها.. طوحته».
«ذهب وراءها لوقته.. كثور».
الثور
العجل الذهب

بعل

الذهب والقوة.

ترى يحسب الناس منذ متى هذا المعتقد الاسرائيلى.. ؟

كان النبى موسى، فوق الجبل، يكلمه الله ويتناول من ربه (لوحى الشهادة) ورجع ..

رجع للشعب الذى ينتظره وينتظر لوحى الشهادة.

فوجد الشعب قد صنع من اقراط النساء عجلا من الذهب... عجلا مسبوكا وسجدوا.

وكيف وجد الشعب وهو يعبد الذهب.. والقوة..

وجده عاريا.. يرقص !..

ذهب موسى الكليم إلى الله ليأتى لليهود الذين تجمعوا كلهم معه بعد خروجهم من مصر وراحوا ينتظرونه بعيدا عن الجبل بعض الشئ ليأتى لهم بالوصايا وطقوس العبادة.. ذهب وعاد فى نفس اليوم. ذهب وكلهم خشوع لموسى ولربه.

ثم عاد.. فإذا بهم جميعا.. عرايا.. يرقصون . للذهب. وللقوة.[1]

والشعب يتساءل ويجيب فى دهشة ما الذى أصاب هذا الرجل موسى ليخرجنا من أرض مصر..

والعبارة بالنص من نفس المرجع «لأن هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ما الذى أصابه..»

(١) الاصحاحان ٣١ ، ٣٢ من سفر الخروج.

هذه الآلاف من السنين. أى منذ ذلك التاريخ، حتى اليوم، واليهود رجالهم يجمعون الذهب ونساؤهم فى العليات، وفوق التلال وتحت كل شجرة خضراء وفى الشوارع، وعند كل كمين.. يتقربن إلى عبادتهن.. بالعرى والرقص والصخب والجموح..

فلا عجب - إذن - أن يملكوا معظم ذهب الارض - يشترون به ضمائر الدول العاصية «عديمة الفهم». مثل غلام سليمان الحكيم. ولا عجب أيضا أن يبحشوا للنسل البالغ اليوم حوالى الاثنين والعشرين مليونا منهم. والناتج عن زرع البشر من أى طريق لايجاد وطن يخفى فيهم عقد النقص حتى يحققوا حلمهم الذى انتزعهم منهم موسى الكليم.

ولكن .. ولا حين الذى يرجون

فاسرائيل خطية

والرجل.. تيس الخطية.

والمرأة.. النعجة

لقد وصلوا بالفعل إلى درك الاعتقاد فى انفسهم بأنهم يشتركون مع الحيوانات فى هذه «الحرية البهيمية» فى تحريم الفضائل الانسانية.

«ولا تجعل مع بهيمة مضجعك فتتنجّس».

ولا تقف امرأة مع بهيمة لنزائها[١]».

(١) الاصحاح الثامن عشر - لاويين

الفصل التاسع

خراب أورشليم

الملاحم البكائية لاشعياء بن أموص، ودانيال الرائى ومرثية أرميا النبى ترسم صورة للبطل رمسيس بالعبارة الأدبية.

«أيتها النساء المطمئنات»
«تجردْن»
«تعريْن»
«وتنطقن على الأحقاء..»
«لاطمات على الثدى من أجل الحقول المشتهاة»
«على أرض شعبى يطلع شوك وحسك»
«حتى فى كل بيت.. الفرح من المدينة «المبتهجة»
«لأن القصر.. قدم هُدِم..»
«الأكمة والبرج صارا مغارات.. إلى الأبد!»
«صهيون صارت برية..»
«وأورشليم صارت.. خرابا»
«يارب..»
«اتتجلد..»
«أتسكت وتذلنا كل الذل»
«اشعياء»

هل صار هذا البيت الذى دعى باسمى
عليه غارة لصوص.. فى أعينكم . !؟
ارميا

هى أربعون عاما فقط التى استغرقتها الدولة المسروقة (اسرائيل)

لم يهنأ اليهود على قيام دولتهم.

فقد انبعثت (روح مصر) فى كيان سيتى وابنه رمسيس، وأعادوا الرعاة أعداء الحضارة والفضائل البشرية إلى التشريد والغربة، وما أحسب أن ذلك قد تم لقيام دولة يهودية.. على خِسَّة اليهود المعروفة جملة وتفصيلا لمصر والمصريين الذين عرفوا طريق الفضائل بغير دين، والذين اعتبروا اليهود (نجسا) بغير دين، وإنما هو تحريم اجتماعى فرضته حضارة الانسان الذى يعطى، على الآدمى الذى يعيش ليمتص ويكنز ولو من عرق كرامته وشرفه كرجل[1].

(١) من المعتقدات الشعبية عند المصريين فى ذلك الزمن، أن اليهود (نجس) وتنص التوراة على ذلك فى سيرة سيدنا يوسف عليه السلام، ففى الاصحاح الثالث والاربعين - تكوين: «وقال - أي يوسف - قدموا لهم طعاما - أى لاخوته - فقدموا له وحده،ولهم وحدهم، وللمصريين الاكلين عنده وحدهم، لان المصريين لا يقدرون أن يأكلوا طعاما مع العبرانيين لأنه رجس عند المصريين»..

ضرب سيتى اليهود لما بدا من أن الدولة التى تمت بمكر ثلاثمائة سنة من ابتداء الخروج وراء موسى حتى قنن الملك داود (سياسة المقلاع) الضرب المباغت، والعدوان الايجابى المباشر.

ولم يستطع اليهود أيام سليمان الحكيم بن داود أن ينطلقوا مع سياسة العدوان، ولكنهم استطاعوها فور انتقال سليمان إلى بارئه، وتربع ابنه حوربعام على كرسي الملك.

وجاء يوشيا بعد حوربعام.. وعلى يديهما.. خرب مجد أورشليم بانطلاق الروح المصرى فى عائلة واحدة.. الرعامسة، سيتى ورمسيس تلاميذ أبو الحضارة البشرية حومحب أربعين سنة بالتمام والكمال، تم جاء التشريد والاغتراب، فقد زلزل رمسيس قلعة صهيون.. وهدمها.. وخرجها.. بانطلاق اليهود إلى الشعوب يحتمون بها..

ثم أجهزت شعوب المنطقة على البقية الباقية فيهم. إن هذه الحقائق التاريخية، تكفى وحدها، وما سبق من نصوص واضحة، على أن اليهود فى ظل أورشليم كانوا أبعد ما يكون عن شريعة موسى.. وعن عهد الله الذى دفنه اليهود فى التابوت.

ولكن وثيقة أخرى تحت يد التاريخ تدمغهم بالكفر، بحيث لا يدعى يهودى اليوم أن يَفْصل بين الدين والعدوان، فدين اليهود الخاص، هو دين سياسى محض.. ينكر الله والأنبياء والصديقين والأخلاق الإنسانية.

فهذا هو الرائى دانيال الذى لم يختلط عليه الأمر، ولم يشأ إلا أن يبلغ رؤياه كما هى.

وزمن دانيال يجئ بعد ارميا الرائى بسبعين سنة، وكان ارميا أيام المسكين «يوشيا» الذى وقف على المنبر ليحرض ضد مصر ورمسيس، وكان أرميا قد ضج من كفر قومه واستنكر سياسة صهيون، وتنبأ بخراب أورشليم إذا لم يعد اليهود لشريعة موسى..

عاش اليهود فى المحنة.. التى استمرت ثلاثة آلاف سنة، بعد معركة رمسيس بسبعين سنة.. كان اليهود، الأذكياء، ذكاء الأفاعى، يعرفون سبب ما وصلوا إليه، ولكنهم، بنظرات الأرانب.. المصنعة وداعة.. يتساءلون، فأجاب دانيال الرائى الصدوق:

بعد خراب أورشليم بسبعين سنة ...

«أنا دانيال»

«فهمت من الكتب عدد السنين التى كانت عنها كلمة الرب إلى ارميا النبى لكمالة سبعين سنة على خراب أورشليم..»

«فوجهت وجهى إلى الله السيد طالبا بالصلاة والتضرعات بالصوم والمسح والرماد. وصليت إلى الرب إلهى واعترفت وقلت أيها الرب الاله العظيم المهوب حافظ العهد والرحمة لمحبيه وحافظى وصاياه.»

«(أخطأنا) و(أثمنا) و (عملنا الشر)»

«و(تمردنا)».

«(وحِدنا) عن وصاياك وعن (أحكامك)..»

«وما سمعنا من عبيدك (الأنبياء) الذين باسمك كلموا ملوكنا ورؤساءنا وآباءنا وكل شعب الأرض..»

«لك يا سيد البر..»

«أما لنا فخزى الوجوه كما هو اليوم (لرجال يهوذا) و(سكان أورشليم)..»

«ولكل (اسرائيل).. (القريبين).. و(البعيدين) فى كل (الأراضى التى طردتهم) إليها من أجل (خيانتهم) التى (خانوك إياها).»

«يا سيد لنا خزى الوجوه لملوكنا لرؤسائنا ولآبائنا لأننا (أخطأنا) إليك..»

للرب إلهنا المراحم والمغفرة لأننا.. (تمردنا عليه).

«وما سمعنا صوت آلهنا (لنسلك فى شرائعه التى جعلها أمامنا عن يد عبيده الأنبياء)..»

«وكل اسرائيل.. قد (تعدى علي شريعتك وحادوا لئلا يسمعوا صوتك) فسكبت علينا اللعنة والحلف المكتوب فى شريعة موسى.. عبدالله.. لأننا أخطأنا .. اليه..»

«وقد أقام كلماته التى تكلم بها علينا وعلى قضاتنا الذين قضوا لنا ليجلب علينا شرا عظيما ما لم يجر تحت السموات كلها كما

(أجرى على أورشليم).. »

«كما كتب فى شريعة موسى.. »

«قد جاء علينا كل هذا الشر»

«ولم نتضرع إلى وجه الرب إلهنا »

« (لنرجع) من (آثامنا).. (ونفطن بحقك).. »

«والآن أيها السيد إلهنا الذى أخرجت شعبك من أرض مصر بيد قوية وجعلت لنفسك اسما كما هو هذا اليوم»

«قد أخطأنا وعملنا شرا »

«يا سيد حسب كل رحمتك اصرف سخطك وغضبك.. عن مدينة.. «أورشليم».. جبل قدسك»

«إذ لخطايانا ولآثام أبائنا (صارت أورشليم) و(شعبك) (عارا) عند (جميع الذين حولنا).. »

انكمش اليهود من هول الضربة المصرية، وانضغطوا فى عائلات، كما كانوا زمان، يهوذا واسرائيل، وراح بعض الصديقين من الأنبياء.. يواجهونهم بالحقيقة.. إنكم تركتم إله موسى.. وعبدتم إلها غيره.. هو صهيون.. فحق عليك التشريد.. وحق على أورشليم خرابها.

ولكن النبى نفسه.. مختلط الافكار.. إنه لم يعد يعرف الطريق إلى العودة.. هل هو الرجوع إلى الرب موسى.. أم إلى صهيون، وأى ذلك كان، فالروح اليهودية، الجريحة، الممزقة، بحاجة إلى بلسم..

إلى تطبيب.. بالمواجهة بالحقيقة حينا، وبالآمال والوعود حينا آخر.. فقد .. تعود وتتنفس اسرائيل.. وقد تنهض .. أورشليم.

وضغطت الأفكار على «أشعياء بن آموص» وعلى «ارميا» وعلى غيرهم لإنشاء المراثى.

ضغطت الأفكار.. وانبعثت فى حقائق صارمة، وفى خيالات أسطورية، ملأى بالوعود.. وترانيم الآمال..

وجاءت مرثية «أشعياء» أشبه بملحمة، ذابت الحقيقة فى الخيال المتطاير، واكتسى الأمل برداء يشبه الحقائق، واختلط النذير حتى لا تعرف هل هو موحى إليه من الله، أو هو من عنده، وبينما العزاء يُفضى بسامعها إلى القيام والتطلع إلى الرؤى البعيدة.. الحالمة.. ذات البشرى، بينما يمر بك وصف ما حدث فى صحارى قاحلة كلها يأس، ونواح، واستسلام..

على الوادى الأخضر[1]. ملحمة تُغَنّى على العود والأرغول والدفوف والرباب، وهنا، حيث كانت تغنى المزامير.. «هاللويا» يا اسرائيل.. هاللويا يا يهوذا.. هاللويا يا صهيون.. أنشدت الملاحم الجديدة، بعد ضربة الفارس، رمسيس، أنشدت نشيجا ودموعا، وصرخات، العود ونذيرا... بلا صنج ولا رباب.

يقول أشعياء بن آموص منتحلا الكلام على الله سبحانه ويتمثل اليهوديقولون له سبحانه إنهم أقدس منه..

---

(١) ملحمتنا الخالدة التى قيلت فى بطولة رمسيس..

«شعب يغيظنى..»
«بوجهى دائما يذبح فى الجنات..»
«ويبخر على الآجر ..»
«يجلس فى القبور ..»
«ويبيت فى المدافن ..»
«يأكل لحم الخنزير ..»
«وفى آنيته مرق لحوم .. نجسة»
«يقول»
«قفْ عندك ..»!
«لا تدن منى ..»
«لأنى أقدس .. منك!»
«هؤلاء دخان فى أنفى ..»
«نار متقدة كل النهار ..»
«ها قد كتب أمامى ..»
«لا أسكت .. بل أجازى ..»
«أجازى .. فى حضنهم ..»
«آثامكم وآثام آبائكم معا..»
«الذين بخروا على الجبال..»
«وعيرونى على الآكام..»
«فأكيل عملهم الأول فى حضنهم..»

وتصرخ الملحمة على لسان أشعياء إلى الله بأسلوب يهودى استفزازى غير مؤدّب وملئ فى نفس الوقت بالشك:

الملق الملحد ...

«تطلع من السموات ..»

«وانظر من مسكن قدسك ومجدك ..»

«أين غيرتك .. وجبروتك ..»

«زفير أحشائك .. ومراحمك نحوى امتنعت»

«فـإنك أنت أبونا و(إن لم يعـرفنا إبراهيم وإن لم يدرنا اسرائيل) ..»

«لماذا أضللتنا .. يارب عن طرقك ..»![1]

«قسيت قلوبنا عن مخافتك ..»

«إرجع ...

«إرجع من أجل عبيدك أسباط ميراثك»

«إلى قليل ..

«امتلك شعب قدسك ..»

«مضايقونا داسوا مقدساتك ..»

«قد ذبلنا كورقة ..»

«وآثامنا كريح تحملنا ..»

«وليس من يدعو باسمك ..»

(١) ما أمتع وصف التوراة: صلب الأقفية. !

«لأنك حجبت وجهك عنا . .»

«وأذبتنا بسبب آثامنا . .»

«والآن يارب.. أنت أبونا . .»

«نحن الطين . . وأنت جابلنا . .»

الذل ...

«مدن قدسك صارت برية . .»

«صهيون صارت برية . .»

«وأورشليم موحشة . .»

«بيت قدسنا ...»

«وجمالنا ...»

«حيث سبَّحك آباؤنا . .»

«قد صار حريق نار . .»

«وكل مشتهياتنا . . صارت خرابا . .»

«ألأجل هذه.. تتجلد.. يارب»

«أتسكت . . وتذلنا كل الذل . .»

«الرب أرسلنى لأبشر المساكين . .»

«لأعصب منكسرى القلب . .»

«لأنادى . . للمسبيين . . بالعتق . .»

«وللمأسورين . . بالإطلاق . .»

«لأنادى بسنة مقبولة للرب»

«وبيوم انتقام ..»

«لإلهنا أعزى كل النائحين»

«لأجعل لنائحى .. صهيون ..» !

«لأعطيهم جمالا.. عوضا عن الرماد ..»

«.. ودهن فرح عوضا عن النوح ..»

«وراء نسيج عوضا عن الروح اليائسة ..»

اسم غير أورشليم ...

«من أجل صهيون لا أسكت ..» !

«من أجل أورشليم لا أهدأ ..» !

«حتى يخرج برها .. كضياء ..»

«وخلاصها كمصباح يتقد ..»

«فترى الأمم بِرَّك.. وكل الملوك مجدك ..»

«وتسمين باسم جديد ..»

الوقاحة ...

«ترنمى أيتها العاقر التى لم تلد .!»

«أيتها التى لم تمخض ..»

«لأن بنى المستوحشة أكثر من بنى ذات البعل»

«أوسعى مكان خيمتك ..»

«لا تمسكى»
«أطيلى أطنابك وشددى أوتادك ..»
«لا تخافى لأنك لا تخزين» .!
«ولا تخجلى لأنك لا تستحين ..»
«فإنك تنسين خزى صباك ..»
«وعار ترملك .. لأنك لا تذكرينه بعد ..»
«لأن (بعلك) هو (رب الجنود) .!

والعزاء يمضى بالخيال الشارد الكافر بالذات الإلهية، يمضى به التعبير اليهودى بالتصوير الجسدى للذات العلية. ولا عذر لاشعياء ابن آموص على الرغم من أن سابقيه من اليهود قد أكثروا من الدق على أن امتهم تزوجها الله، كذبوا وشاهوا وشاه ما يفترون ويقولون.

***

«عزوا عزوا .. شعبى»
«يقول إلهكم ..»
«طيبوا قلب اورشليم ..»

***

«على جبل عال إصعدى يا مبشِّرة صهيون»
«ارفعى صوتك بقوة يا مبشرة أورشليم ..»
«ارفعى لا تخافى ..»
«قولى لمدن يهوذا هو ذا إلهك ..»

الرأفة بالخطأة ...

«يارب تراءف علينا ..»

«إياك انتظرنا ..»

«كن عضدهم فى الغدوات ..»

«خلاصنا أيضا فى وقت الشدة ..»

«من صوت الضجيج ...

«.. هربت الشعوب ..» !

***

«اسمعوا أيها البعيدون ما صنعت ..»

«واعرفوا أيها القريبون .. بطشى ..»

«ارتعب فى صهيون الخطأة ..»!

«أخذت الرعدة المنافقين ..»

مصر فى خيالهم ...

«ويل للذين ينزلون إلى مصر.. للمعونة ..»

«ويستندون على الخيل .. ويتوكلون على المركبات لأنها كثيرة..»

«وعلى الفرسان ..

.. لأنهم أقوياء جدا ..» !

«وأما المصريون فهم أناس لا آلهة ..»

«وخيلهم جسد .. لا روح ..»

مسرح الحمير ...

«أيتها النساء المطمئنات قمن إسمعن صوتى ..»

«أيتها البنات الواثقات إصغين لقولى ..»

«أياما على سنة ترتعدن أيتها الواثقات ..»

«لأنه قد مضى القطاف ..»

«الاجتناء .. لا يأتى ..»

«ارتعدن أيتها الواثقات ..»

«تجردن ..»

«وتعرين ..»

«وتنْطِبقْن على الأحقاء ..»

«لاطمات على الثدى من أجل الحقول المشتهاة ..»

«ومن أجل الكرمة المثمرة ..»

«على أرض شعبى يطلع شوك وحسك»

«حتى فى كل بيوت الفرح من المدينة المبتهجة»

«لأن القصر قد هدم ..»

«جمهور المدينة قد ترك ..»

«الأكمة والبرج صارا مغاير إلى الأبد»

«مسرحا لحمير الوحش مرعى للقطعان ..»

دولة اللقطاء .. واللصوص ...

«كيف صارت القرية الأمينة زانية .. » !

«ملآنة حقا كان العدل يبيت فيها .. »

«وأما الآن .. فالقاتلون .. »!

«صارت فضتك زغلا .. »

«وخمرك مغشوشة بماء .. »

«رؤساؤك متمردون .. ولقطاء اللصوص .. »

«كل واحد منهم يحب الرشوة .. »

«ويتبع العطايا .. »

«لايقضون لليتيم .. »

«ودعوى الأرملة لا تصل إليهم .. » !

رجال الهزؤ ...

«لذلك اسمعوا كلام الرب ... »

«يا رجال الهزؤ ولاة هذا الشعب الذى فى أورشليم .. »

«لأنكم قلتم قد عقدنا عهدا مع الموت .. »

«وصنعنا ميثاقا مع الهاوية.. »

«السوط الجارف إذا عبر لا يأتينا .. »

«لأننا .. جعلنا الكذب ملجأنا .. »

«وبالغش استترنا .. »

«اسمعوا هذا يا بيت يعقوب ..»
«المدعوون باسم اسرائيل ..»
«الذين خرجوا من مياه يهوذا ..»
«الحالفين باسم الرب ..»
«والذين يذكرون إله اسرائيل ليس بالصدق ولا بالحق ..»
«فإنهم يسمون من مدينة .. (القدس) .. ويسندون إلى إله اسرائيل ..»
«هكذا قال الرب ..»
«أين كتاب طلاق أمكم التى طلقتها ..»
«أو مَنْ هو من غرمائى الذى بعته إياكم ..»
«هوذا من أجل آثامكم قد بعتم ..»
«ومن أجل ذنوبكم .. طلقت أمكم ..»!
«لماذا جئت .. وليس انسان».
«ناديت .. وليس مجيب ..»
«هل قصرت يدى عن الفداء ..»
«وهل ليس فى قدرة للانقاذ ..»!

أورشليم العاقر ...

«انهضى انهضى ..»
«قومى يا أورشليم ..»

«التى شربت من الرب كأس غضبه .. »
«ثقل كأس الترنح .. شربت.. مصصت .. »
«ليس لها من يقودها من جميع البنين الذين ولدتهم .. »
«وليس من يمسك بيدها من جميع البنين الذين ربتهم .. »
«إثنان هما ملاقياك ... »
«من يرثى لك الخراب والانسحاق .. »
«والجوع والسيف .. »
«بمن أعزيك .. »
«بنوك قد أعيوا .. »
«اضطجعوا فى رأس كل زقاق كالوعل فى شبكة.! »

***

ترنمى يا خرائب ...
«أشيدى .. »
«ترنمى .. »
«معايا خرائب أورشليم .. »
«لأن الرب قد عزى شعبه .. »

أورشليم المَسْبيّة ...

«استيقظى .. استيقظى .. »
«البسى عزك يا صهيون .. »

«البسى ثياب جمالك يا أورشليم المدينة المقدسة .. »
«لأنه لا يعود يدخلك فى ما بعد أغلف ولا نجس .. »
«انتفضى من التراب ..! »
«قومى اجلسى يا أورشليم .. »
«انحلى من ربط عنقك .. أيتها المسبية ابنة صهيون .. »

***

«ما أجمل على الجبال .. »
«.. قدمى المبشر المخبر بالسلام .. »
«المبشر بالخير .. المخبر بالخلاص .. »
«القائل لصهيون قد ملك إلهك .. »

أولاد الفاسق والزانية ...

«تقدموا إلى هنا يا بنى الساحرة .. »
«نسل الفاسق والزانية .. »
«بمن تسخرون.. »
«وعلى من تفغرون الفم وتدلعون اللسان .. »
«وأما أنتم أولاد المعصية نسل الكذب .. »
«المتوقدون إلى الأصنام .. تحت كل شجرة خضراء .. »
«القانون الأولاد فى الأودية تحت شقوق المعاقل .. »
«فى حجارة الوادى الملس نصيبك .. »

«تلك هى قرعتك ..»

«لتلك سبكت سكيبا وأصعدت تقدمة ..»

«أعن هذه أتعزى ..»

«على جبل عال، ومرتفع، وضعت مضجعك وإلى هناك صعدت لتذبحى ذبيحة ..»

«وراء الباب والقائمة وضعت تذكارك ..»

«لأنك لغيرى كشفت .. وصعدت ..»

«أوسعت مضجعك ..»

«وقطعت لنفسك عهدا معهم ..»

«أحببت مضجعهم ..»

«نظرت فرصة ..» .!

«وسرت إلى الملك بالدهن.. وأكثرت أطيابك .. وأرسلت رسلك إلى بعد .. ونزلت حتى الهاوية ..»![1].

«بطول أسفارك أعييت ولم تقولى يئست ..»

«شهوتك وجدت .. لذلك لم تضعفى..»

«وممن خشيت وخفت حتى خنت ..»

«وإياى لم تذكرى ولا وضعت فى قلبك ..»

«أما أنا ساكت .. وذلك منذ القديم ..!»

«فإياى لم تخافى ..»

«أنا أخبر ببرك وبأعمالك ..»

(١) دهن البلسان ... تقدم ذكره. !!

«فلا تفيدك» ..!

«إذ تعرضين.. فلينقذك جموعك ..»

«ولكن الريح تحملهم كلهم ..»

«تأخذهم نفحة ..»

اللقيط ...

«صوت ضجيج من المدينة ..»

«من الهيكل صوت الرب مجازيا أعداءه ..»

«قبل أن يأخذها الطلق ...

« .. ولدت» ..!

«قبل أن يأتى عليها المخاض ..»

«.. ولدت ذكرا ..»

«من سمع مثل هذا ..»

«من رأى مثل هذه ..»

«هل تمخض بلاد فى يوم واحد ...»[١]

«أو تولد أمة دفعة واحدة ..»[٢]

«فقد مخضت صهيون ..»

«بل ولدت بنيها ..»

---

(١) و(٢) يستنكر أشعياء بن آموص عملية (طبخ) وطن وتصنيع دولة؛ وتلفيق كيان، بتلك العمليات غير الشرعية، والمُسْرِعة فى التنفيذ ... السبب الذى أدى إلى العودة إلى التشريد..

«هل أنا أمخض ولا أولد .. »

« يقول الرب.. »

«أو أنا المولد .. »

«هل أغلق الرحم .. »

«قال إلهك .. »

ثدى .. العزاء ...

«افرحوا مع أورشليم.. »

«وابتهجوا معها يا جميع محبيها .. »

«افرحوا معها فرحا .. يا جميع النائحين عليها .. »

«ولكن ترضعوا وتشبعوا من ثدى تعزياتها .. »

«لكى تعصروا وتتلذذوا من درة مجدها .. »

الرجعة للبرية ...

« لا تسخط كل السخط يارب .. »

«ولا تذكر الإثم إلى الأبد .. »

«ها أنظر .. »

«شعبك .. »

«كلنا .. »

«مدن قدسك صارت برية .. »

«صهيون صارت برية ..»

«وأورشليم موحشة ..»

«بيت قدسنا، وجمالنا حيث سَبَّحك آباؤنا قد صار حريق نار...»

«وكل مشتهياتنا صارت خرابا ..»

«ألأجل هذه تتجلد يارب ..»

«أتسكت وتذلنا كل الذل ..»

«ها أن يد الرب لم تقصر عن أن تخلص ..»

فكرة الاغتصاب ...

«ولم تثقل أذنه عن أن تسمع ..»

«بل آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم ..»

«وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع ..»

«لأن ...»

« أيديكم قد تنجسَّت بالدم ..»

«وأصابعكم .. بالاثم» !

«شفاهكم تكلمت .. بالكذب ..»

«ولسانكم يلهج بالشر ..»

«ليس من يدعو بالعدل ..»

«وليس من يحاكم بالحق ..»

«يتكلمون على الباطل ويتكلمون بالكذب ..»

«قد حبلوا بتعب وولدوا إثما ..»[1]

«فقسوا بيض .. أفعى ..»

«ونسجوا خيوط العنكبوت ..»[2]

«الآكل من بيضهم .. يموت ..»[3]

« والتى لا تكسر تخرج أفعى ..»

«خيوطهم لا تصير ثوبا ..»

«ولا يكتسون بأعمالهم ..»

«أعمالهم أعمال إثم..»

«وفعل الظلم فى أيديهم ..»

« أرجلهم إلى الشر تجرى وتسرع إلى سفك الدم الزكى ..»

« (أفكارهم) أفكار إثم..»!

«فى طرقهم (اغتصاب) و«سحق» .!

«طريق (السلام) لم يعرفوه..»!

«وليس فى مسالكهم عدل..»

«جعلوا لأنفسهم (سبلا معوجة) ..!

«كل من يسير فيها لا يعرف سلاما ..!»

«ناد بصوت عال ..»

(١) ما أصدق أشعياء فى الاشارة إلى كل هذا الجهد فى اغتصاب حق من أصحابه .. إن مثل هذا الجهد مخاض لا يلد إلا .. اثما.! وبيض أفاعى !!

(٢) لا تأمين لهذه الدولة المغتصبة

(٣) خلقوا فيمن حولهم، الشك فيهم ..

بعد الخراب ...

«لا تمسك ..»

«ارفع صوتك كبوق ..»

«وأخبر شعبى بتعديهم»

«وبيت يعقوب بخطاياهم ..»

«يسألوننى عن أحكام البر ..»

«يقولون لماذا صمنا.. ولم ننظر ..»

«ذللنا أنفسنا ولم نلاحظ ..»

«ها أنكم (للخصومة والنزاع) (تصومون)..»!

«ولتضربوا بلكمة الشر..»

«لستم تصومون (كما اليوم) (لتسميع صوتكم فى العلاء)..»!

«أمثال هذا يكون صوم.. أختاره ..»!

«هل تسمى هذا صوما ويوما مقبولا للرب ..»

أقصى الأرباح ...

«يا جميع وحوش البر .. تعالى ..»

«للأكل يا جميع الوحوش التى فى الوعر ..»

«مراقبوه عمى كلهم ..»

«لا يعرفون ..»

« كلهم كلاب .. بكم.. لا تقدر أن تنبح ..»

«حالمون مضطجعون محبو النوم ..»
«والكلاب شرهة لا تعرف الشبع ..»
«وهم رعاة لا يعرفون الفهم ..»
«التفتوا (إلى طرقهم) كل واحد (إلى الربح) عن (أقصى) !»
«هلموا آخذ خمرا ..»
«ولتشتف مسكرا ..»
«ويكون (الغد) (هكذا اليوم) (عظيما) (بل أزيد .. جدا)..»!
«وأنت لم تدعنى يا يعقوب حتى تتعب من أجلى يا اسرائيل»

القدس ...

«لم تحضر لى شاة محرقتك»
«وبذبائحك لم تكرمنى»
«لم أستخدمك بتقدمة»
«ولا أتعبتك بلبان»
«لم تشتر لى بفضة قصبا»
«وبشحم ذبائحك لم تروني»
«لكن»
«استخدمتنى بخطاياك»
«وأتعبتنى بآثامك»
«ذكرنى فنتحاكم معا»

«حدث لكى تتبرر»

«أبوك الأول .. أخطأ»

«ووسطاؤك عصوا على»

«فدنست رؤساء (القدس)»

«ودفعت يعقوب (إلى اللعن) ..»

«واسرائيل إلى الشتائم.. !»

روح مصر ...

«وحى من جهة مصر»

«هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر»

«فترتجف أوثان مصر من وجهه»

«ويذوب (قلب مصر) داخلها»

«وأهيج مصريين على مصريين»

«فيحاربون كل واحد أخاه»

«وكل واحد صاحبه، مدينة مدينة، ومملكة مملكة»

«وتهراق (روح مصر) داخلها».![١]

«وأفنى.. (مشورتها) ..»!

---

(١) حُلم كل اعداء مصر، لأن (روح مصر) سر خلود قوتها وسلاحها السحرى فى المَلَمّات، وصاحبة القرار الحاسم قبل المشورة والرأى...

العورة العارية ...

«الرب يدخل فى المحاكمة مع شيوخ شعبه ورؤسائهم»

«وأنتم ...»

«قد أكلتم الكرم ..»

«سلب البائس فى بيوتكم»

«مالكم تستحقون شعبى وتطحنون وجوه البائسين»

«وقال الرب ..»

«من أجل أن بنات صهيون .. يتشامخن ..»

«ويمشين ممدودات الأعناق ..»

«وغامزات بعيونهن ..»

«وخاطرات .. فى مشيتهن ..»

«و (يخشخشن) .. (بأرجلهن) ..» !

«يصلع السيد هامة بنات صهيون ..» !

«ويعرى الرب .. عورتهن» ..!

«ينزع السيد (فى ذلك اليوم) زينة الخلاخيل، والضفائر، والأهلة) ..!

«والحلق والأساور والبراقع).!

«والعصائب والسلاسل والمناطق ..» !

«وحناجر الشمامات .. والأحراز» ..!

«والخواتم .. وخزائم الأنف ..!»

«والثياب المزخرفة والعطف والأردية .!»

«والأكياس، والمرائى، والقمصان، والعمائم والأرز ..»!

«فيكون عوض الطيب .. عفونة ..»

«وعوض المنطقة .. حبل»

«وعوض الجدائل .. قرعة»

«وعوض الديباج زنار مسح ..».

«وعوض الجمال ... كى».

«رجالك .. يسقطون بالسيف وأبطالك .. فى الحرب.» !.

«فتئن وتنوح أبوابها».

«وهى فارغة تجلس على الأرض».

«فتمسك سبع نساء .. برجل واحد».

«فى ذلك اليوم».

«قائلات نأكل خبزنا ونلبس ثيابنا».

«ليدع فقط اسمك علينا ..» !!

«انزع عارنا..» !

أناشيد الخراب ...

«لأنشدن عن حبيبى نشيد محبى لكرمه ...» .

«كان لحبيبى كرم على أكمة خصيبة ..».

«فنقبه .. ونقى حجارته.. وغرسه كرم سورق».

« وبنى برجا فى وسطه ».

« ونقر فيه أيضا معصرة ».

« فانتظر أن يصنع عنبا.. فصنع عنبا رديئا ».

« الآن يا سكان أورشليم ورجال يهوذا ».

« احكموا بينى وبين كرمى ».

« ماذا يصنع أيضا لكرمى وأنا لم أصنعه له ».

« لماذا إذا انتظرت أن يصنع عنبا صنع عنبا رديئا ».

« فالآن أعرفكم ماذا أصنع بكرمى ».

« أنزع سياجه فيصير .. للرعى .. » !.

« أهدم جدرانه فيصير .. للدوس ... » !

« وأجعله خرابا لا يقضب ولا ينقب .. »

« فيطلع شوك وحسك ... ».

« وأوصى الغيم أن لا يمطر عليه ... مطرا ».

هذه مقتطفات مبتسرة من البكائية الملحميّة لأشعياء بن آموص، والتى لم يربط بينها وبين موقعة سيسى العظيم مع اليهود، أى كاتب من قبل،

ولعل المطلعين من المشتغلين بالفكر، من العاكفين على قراءة « علم مصر » سيجدون فيما قدمت بابا جديدا يفتح للدخول إلى دراسات جديدة فى الموضوع.

ولم أشأ أن أرد كل فقرة إلى أصحابها، حتى لا تنتقل العين من

المتن إلى اللحق (الهامش) فقد يفسد ذلك لحظة الامتاع بقراءة شهادة رائعة النسيج والعبارة من.. أهلها.. من يهود. [1]

وحتى نطمئن إلى أن ما انفعل به الرائى اشعياء، الذى أخرجته المحنة اليهودية من أطواره ومن ملابسه، ومشى يضرب فى البلاد هنا وهناك ثلاث سنوات كاملة على غير هدى.. ثم عاد ليقول لبنى جنسه، ولنا، وللحقيقة المصرية.. للدراسة العالمية فى اليهود. نشير إلى ما رواه عن الأذى الذى تعرض له من بنى جنسه، اليهود، الضرب، ونتف اللحية، والبصق على وجهه، لأنه يكشف معتقداتهم الخاصة، ويعرض بها، يقول كلاما فى كيفية إقامتهم دولة إسرائيل لا يحبون سماعه.

الحمار أذكى ...

«اسمعى أيتها السموات واصغى أيتها الأرض»

«لأن الرب يتكلم».

«ربيت بنين ونشأتهم».

«أماهم فعصوا على...».

«الثور يعرف قانيه...».

«والحمار معلف.. صاحبه..»..

١ - وياليتك تقرأ سفر (أشعياء) كاملا، لتراه وهو يتعقب المشرّدين بعد مأساتهم فى دولتهم المغتصبة باعتراف الأنبياء والربانيين.. يتعقبهم فى كل بلاد المنطقة التى لجأوا إليها.. ليعزيهم بكشف آثامهم..

«أما إسرائيل.. فلا يعرف»

«شعبى لايفهم..».

«ويل للأمة الخاطئة».

«الشعب الثقيل الإثم».

«نَسْلَ فاعلى الشر أولاد مفسدين...» !!

«أعطانى السيد الرب لسان المتعلمين».

«لأعرف أن أغيث المعين... بكلمة».

«يوقظ كل صباح».

«يوقظ لى أذنا لأسمع كالمتعلمين».

«السيد الرب فتح لى أذنا وأنا لم أعاند».

«إلى الوراء لم أرتد».

«بذلت ظهرى للضاربين.. وخدى للناتفين.. وجهى لم أستر عن العار والبصق».

«والسيد الرب يعيننى لذلك لا أخجل».

«لذلك جعلت وجهى كالصوان.. وعرف أنى لا أخزى..».

«قريب هو الذى يبررنى».

«من يخاصمنى».

«لنتواقف».

«من هو صاحب دعوى معى ليتقدم إلى» [١]

١ ـ وبعد ذكره ما لاقاه منهم، تَحداُهم.

«هو ذا السيد الرب ليعنينى».

«من هو الذى يحكم على».

«هو ذا كلهم كالثوب يبلون...».

«يأكلهم العث...»!!

وإذا أعوزنا الدليل الجامع المانع فها هو اشعياء الرائى يعلن اسم الملك اليهودى الأسير بن الملك الصريع يوشيا، ويرسم صورة أدبية لرمسيس عندما يصف الحية المقدسة بالتاج.

«فى سنة وفاة الملك آحاز كان هذا الوحى لا تفرحى يا جميع فلسطين لأن القضيب الضار بك إنكسر فإنه من أصل الحية يخرج أفعوان وثمرته تكون شُعباناً ساما طيارا...» (١)

ويرص أشعياء الأمل والتفاؤل بخيالات متلألئة الألوان.

«أيها الذليلة المضطربة»

«غير المتعزية»

«هأنذا أبنى بالاثمد حجارتك»

«وبالياقوت الأزرق.. أؤسسك»

---

١ ـ أشعياء الاصحاح الرابع عشر، وفى النص إشارة إلى (عودة فلسطين) بعد انتصارات رمسيس الثانى، ويخال إلىّ أنه يعنى بقوله «لا تفرحى» أن هذا البطل المصرى، مات منذ سبعين سنة، ولم يتربع من بعده على الكرسى، فى هذه الفترة، ضريب له، حتى ابنة (منفتاح) أو (مرينبتاح) الذى ذكرت عبارة (بنى إسرائيل) لأول مرة فى التاريخ المصرى، بمناسبة انتصاره عليهم وعلى غيرهم، حتى منفتاح هذا، لم يحجب فى نظر اليهود... صورة البطل الذى فَتّت (الصخرة)!!.

«وأجعل شرقك.. ياقوت»

«وأبوابك حجارة بهرمانية»

«وكل تخومك حجارة كريمة»

وتجيء مرثية ارميا ...

«كلام ارميا بن خلفيا من الكهنة الذين فى عناثون فى أرض بنيامين الذى كانت كلمة الرب إليه فى أيام يوشيا بن آمون ملك يهوذا فى السنة الثالثة عشرة من ملكه وكانت فى أيام يهويا قيم بن يوشيا ملك يهوذا.. وبنفس التذكر الحزين، والنهنهة الخافتة. ودمعات متتابعات تتساقط، يبدأ الرائى ارميا.

مالكم ولمصر ...

«اسمعوا كلمة الرب يا بيت يعقوب وكل عشائر بيت إسرائيل».

«هكذا قال الرب».

«ماذا وجد فى آباؤكم من جور حتى ابتعدوا عن».

«وساروا وراء الباطل».

«وصاروا باطلا».

«الكهنة لم يقولوا أين هو الرب».

«وأهل الشريعة لم يعرفونى».

«والرعاة عصوا على»

«والأنبياء تنبأوا ببعل..»!
«وذهبوا وراء مالا ينفع»
«لذلك أخاصمكم يقول الرب»
«وبنى بنيكم أخاصم»
«فاعبروا جزائر كتيم.. وانظروا»
«وأرسلوا إلى (قيدار) وانتبهوا جدا»
«وانظروا هل صار مثل هذا..» (١).
«هل بدلت أمة آلهة، وهى ليست آلهة»
«أما شعبى فقد بدل مجده بما لا ينفع..»
«ابهتى أيتها السماء...»
«واقشعرى...»
«وتحيرى جدا...»
«أعبد إسرائيل...؟»
«أو مولود البيت هو..»!
«لماذا صار غنيمة..» !!
زمجرت عليه الأشبال..»
«أطلقت صوتها وجعلت أرضه خربة»
«أحرقت مدنه فلا ساكن..»

---

(١) هنا يرى أرميا أن العرب (قيدار) لهم صمت وتأمل وجلال الآلهة - كما سبق أن نبه أشعياء إلى أن المصريين ناس وليسوا آلهة

«وبنو «نوف» [1] و «تحتفيس [2]» قد شجوها منك [3]

«مالك وطريق مصر...» !

«ومالك وطريق أشور...»

●

«حقا.. كما تخون المرأة قرينها هكذا خنتمو يا بيت إسرائيل»

«سمع صوت على الهضاب بكاء تضرعات بنى إسرائيل»

●

الجبال ترتجف:

«أحشائى أحشائى...»

«جدران قلبى توجعنى...»

«يئن فى قلبى...»

«لا أستطيع السكوت»

«لأنك سمعت يا نفسى صوت البوق وهتاف الحرب»

.«بكسر على كسر نودى لأنه قد خربت كل الأرض»

«بغتة... خربت خيامى وشققى فى لحظة»

«حتى متى أرى الراية...» ؟!!

«وأسمع صوت البوق...» ؟!! [4]

---

(١) يعنى منف.

(٢) يقصد تنيس.

(٣) الاعترافات تتزاحم على أن مصر هى التى طردت اللص من المنطقة...

(٤) يعنى.. (مالنا ومال الحرب..!!)

«لأن شعبى أحمق..»

«إياى لم يعرفوا..»

«هم بنون جاهلون وهم غير فاهمين»

«هم حكماء... فى عمل الشر»

«ولعمل الصالح ما يفهمون»

«نظرت إلى الأرض.. فإذا هى خربة خالية»

«وإلى السموات فلا نور لها...»

«نظرت إلى الجبال.. وهى ترتجف...» !

«وكل الآكام... تقلقلت»

«نظرت وإذا لا إنسان»...!

«وكل طيور السماء هربت»

«نظرت وإذا البستان... برية»!

•

لاصفح ...

«طوفوا فى شوارع أورشليم..»

واعرقوا وفتشوا فى ساحاتها»

«هل تجدون إنسان أو يوجد عامل... بالعدل، طالب بالحق، فأصفح عنها»

«وإن قالوا.. حى هو الرب.. فإنهم يحلفون بالكذب»

«يارب.. أليست عيناك على الحق»

«ضربتهم.. فلم يتوجعوا»
«أفنيتهم.. وأبوا قبول التأديب»
«صلبوا وجوههم أكثر من الصخر» (١)

●

«لأنه وجد فى شعبى أشرار...»
«يرصدون.. كمنحن من (القانصين) ينصبون أشراكا..» !
«يمسكون الناس»
«مثل قفص ملآن طيورا، هكذا بيوتهم ملآنة مكرا..»
«صار فى الأرض دهش.. وقشعريرة»
«الأنبياء يتنبأون بالكذب»!
«والكهنة تحكم على أيديهم..»!!

●

الدين المرفوض منهم:

«لذلك اسمعوا يا أيها الشعوب..»
«واعرفى أيتها الجماعة ما هو بينهم»
«اسمعى أيتها الأرض.. هأنذا جانب شرا على الشعب (ثمر أفكارهم لأنهم لم يصغوا لكلامى (ولشريعتى رفضوها)..» !
«هوذا شعب قادم..»
«وأمة عظيمة تقوم»
«تمسك القوس والرمح»

(١) وأخيرا اعترفوا بالوقاحة...

«صوتها كالبحر يعج»

«وعلى الخيل تركب مصطفة كإنسان.. لمحاربتك يا «ابنة صهيون.» !

«سمعنا خبرها»

«ارتخت أيدينا»

«أمسكنا ضيق» ووجع.. كالماخض..»

«لا تخرجوا إلى الحقل..»

«وفي الطريق لا تمشوا.. لأن سيف العدو خوف من كل جهة» يا ابنة شعبى تنطق« بمسح.. وتمرغى فى الرماد»

«نوح وحيد.. اصنعى لنفسك مناحة مرة، لأن المخرب يأتى علينا بغتة..»

«قد جعلتك برجا فى شعبى لتعرف وتمتحن طريقهم»

«كلهم عصاة.. متمردون.. ساعون فى الوشاية»

«هم نحاس وحديد»

«كلهم مفسدون»

«احترق المنفاخ من النار، فنى الرصاص»

«باطلا صاغ الصائغ والأشرار لا يفرزون»

«فضة مرفوضة.. يدعون»

«لأن الرب.. قد رفضهم..»!

●

أورشليم مغارة اللصوص ...

« أتسرقون.. »

« وتقتلون.. »

« وتزنون.. »

« وتحلفون كذبا.. »

« وتبخرون... للبعل »

« وتسيرون وراء آلهة أخرى لم توفوها »

« ثم تأتون.. وتقفون أمامي.. في هذا البيت الذي دعي باسمي عليه »

« هل صار هذا البيت الذي دعي باسمي عليه (مغادرة لصوص) في أعينكم. »!

« لم يسمعوا ولم يميلوا أذنهم »

« بل ساروا في مشورات.. وعناد قلبهم الشرير.. وأعطوا القفا لا الوجه.. » !!

« لماذا أرتد هذا الشعب الذي في أورشليم ارتدادا.. دائما » « تمسكوا بالمكر »

« أبو أن يرجعوا » « اللقلق في السموات يعرف ميعاده »

« واليمامة والسنونة المزقزقة حفظتا وقت مجيئهما »

« أما شعبي .. فلم يعرف قضاء الرب »

« توجد فتنة بين رجال يهوذا وسكان أورشليم »

«قد نقض بيت إسرائيل.. وبيت يهوذا عهدى الذى قطعته مع آبائهم».

«بعدد مدنك صارت آلهتك ياهوذا»

«وبعدد شوارع أورشليم وضعتهم مذابح للخزى»

«قد تركت بيتى»

«رفضت ميراثى»

«دفعت حبيبة نفسى ليد أدعائها..!» (١)

«ويل» لى يا أمى.. لأنك ولدتنى إنسان خصام»

«وإنسان نزاع لكل الأرض..»

●

الأفكار الخاصة ...

«خطية يهوذا مكتوبة بقلم من حديد»

«برأس من الماس»

«منقوشة على لوح قلبهم وعلى قرون مذابحكم»

«كذكر بنيهم.. مذابحهم وسواريهم..»

«عند أشجار خضر على آكام مرتفعة..»

«يا جبلى فى الحقل.. إجعل ثروتك.. كل خزائنك للنهب.. ومرتفعات للخطية فى كل تخومك، وتتبرأ.. وبنفسك عن ميراثك الذى أعطيتك إياه.. وأجعلك تخدم أعداءك فى أرض لا تعرفها»

(١) «تغلغلت «النرجسية» وعبادة الذات فى هذا الجنس إلى حد «مغازلة» السماء لهم.. !!

« فالآن كلم رجال يهوذا وسكان أورشليم قائلا هكذا قال الرب »

« هأنذا مصدر عليكم شرا وقاصد عليكم قصدا »

« فارجعوا (كل واحد عن طريقه الردىء) وأصلحوا طرقكم وأعمالكم »

« فقالوا باطل »

« لأننا نسعى وراء (أفكارنا » و (كل وحدا يعمل حسب عناد قلبه الردى)[١]

أنبياء سدوم وعموره ...

« ملعون اليوم الذى ولدت فيه »

« اليوم الذى ولدتنى فيه أمى لا يكن مباركا »

« ملعون الانسان الذى بشر أبى قائلا قد ولد لك ابن مفرح اياه فرحا .. »

« وليكن ذلك الإنسان كالمدن التى قلبها الرب ولم يندم فيسمع صياحا فى الصباح »

« وجلبة فى وقت الظهيرة »

« لأنه لم يقتلنى من الرحم »

---

(١) تأمل كلام هؤلاء الصدوقيين والأنبياء والرائين، أن مفاتيح الشخصية اليهودية، بأيديهم، لأنهم ، منهم،.. هنا يفصل بين الدين كشيء مهمل متروك؛ وبين (الأفكار) الخاصة التى تطابق بين معتقداتهم الدنيوية، وفائدتهم، وملذاتهم.. إن اليهودى كما يقول ارميا، وبحق... (إنسان خصام).!!

«فكانت لى أمى قبرى ورحمها حبلى إلى الأبد.. »!![1]

«لماذا خرجت من الرحم لأرى .. تعبا .. وخزيا .. فتفنى بالخزى أيامى.. »!!

«الأنبياء والكهنة تنجسوا جميعا»

«قد رأيت فى أنبياء السامرة حماقة»

«وفى أنبياء أورشليم شعبى اسرائيل»

«وفى أنبياء أورشليم رأيت ما يقشعر منه.. »

«يفسقون .. »

«ويسلكون بالكذب ويشددون أيادى فاعلى الشر حتى لا يرجعوا الواحد عن شره .. صاروا لى كلهم كسدوم .. وسكانها كعمورة».!!

●

لابد من إفنائهم ...

«وكالتين الردئ الذى لا يؤكل من رداءته»

«هكذا قال الرب»

«هكذا أجعل صدقيا ملك يهوذا ورؤساءه وبقية أورشليم الباقية فى هذه الأرض والساكنة فى أرض مصر»

«وأسلمهم للقلق والشر فى جميع ممالك الأرض»

«عارا .. »

«ومثلا .. »

(١) تأمل التعبير .. تأمل الرحم الحبلى إلى الأبد والعياذ بالله ..

« وهزأة .. »

« ولعنة فى جميع المواضع التى أطردهم اليها »

« وأرسل عليهم السيف والجوع والوبأ حتى يفنوا عن وجه الأرض التى أعطيتهم وآباءهم إياها .. »

***

فى ابتداء ملك يهوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا صار هذا الكلام من قبل الرب قائلا:

« إن ميخا المورشتى تنبأ فى أيام حزقيا ملك يهوذا وكلم كل شعب يهوذا قائلا هكذا قال رب الجنود ان..

« صهيون تفلح كحقل .. »

« وتصير أورشليم .. خربا »

« وجبل البيت .. شوامخ وعر »

***

« وقد كان رجل أيضا يتنبأ باسم الرب (أوريا بن شمعيا) من قرية بعاريم. فتنبأ على هذه المدينة وعلى هذه الأرض بكل كلام ارميا، ولما سمع الملك (يهوياقيم) وكل أبطاله وكل الرؤساء كلامه طلب الملك أن يقتله »

« فلما سمع أوريا خاف .. وهرب .. وأتى إلى مصر.. » !

« فأرسل الملك يهوياقيم أناسا إلى مصر، الناثان بنى عكبور ورجالا معه إلى مصر.. »

«فـأخـرجـوا أوريا من مـصـر وأتوا به إلى الملك يهـوياقـيم فضربه»[1]

***

دموع أورشليم

«كيف جلست وحدها المدينة الكثيرة الشعب»[2]

«كيف صارت كأرملة..»

«العظيمة فى الأمم»

«السيدة فى البلدان صارت تحت الجزية ..»![3]

«تبكى فى الليل بكاء»

«ودموعها على خديها»

«ليس لها معز من كل محبيها»

«كل أصحابها غدروا بها صاروا لها أعداء»

«قد سبيت يهوذا من المذلة ومن كثرة العبودية»

«هى تسكن بين الامم»

«لا تجد راحة ..»

«قد أدركها كل طارديها بين الضيقات..»

---

(١) أرميا - من صفحة ١٠٧٣ حتى ١١٦٦

(٢) مراثلى أرميا - من صفحة ١١٦٧ حتى ١١٧٤

(٣) أنفقت المرثية اليهودية مع الايجبتولوجى فى حقائق التاريخ؛ وها هى الجزية التى فرضها عليهم رمسيس الثانى بعد دكه حصن الصخرة (صهيون) يذكرها

«طرق صهيون .. نائحة .. لعدم الآتين .. إلى العيد.. »
«كل أبوابها خربة»
«كهنتها يتنهدون»
«عذاراها .. مذللة وهى فى مرارة»
«صار مضايقوها .. رأسا»
«قد خرج من بنت صهيون كل بهائها»
«كل مكرميها يحتقرونها لأنهم رأوا عورتها .. »!!
«وهى أيضا تتنهد وترجع إلى الوراء .. نجاستها فى أذيالها.. »!

***

من الغرباء ؟ ...

«أذكر يارب ماذا صار لنا»
«أشرف وانظر إلى عارنا .. »
«قد صار ميراثنا للغرباء .. للأجانب ..!
«صرنا أيتاما بلا أب»
«أمهاتنا كالأرامل»
«شربنا ماءنا .. بالفضة»[1]

(١) أن يشترى اليهودى الماء .. بالمال .. مصيبة - الماء ليشرب .. محنة .. وأن يشترى الحطب - بالمال - أم المحن. ولكن رمسيس أوصلهم إلى هذا الحد من الذل جزاء ما اقترفوه. إن أهل المنطقة أصبحوا فى نظرهم (غرباء وأجانب).

«حطبنا بالثمن يأتى»

«على أعناقنا نضطهد، ولا راحة لنا»

«أعطينا اليد.. للمصريين .. للأشوريين»(١)

«ويل لنا .. لأننا قد أخطأنا»

«أرددنا يارب اليك .. فنرتد، جدد أيامنا كالقديم»

«هل كل الرفض ... رفضتنا»

---

(١) سلموا لمصر وسوريا .. وبعد زمن قليل من هذا الزمن .. سلموا أيضا للعراق ..
صدق أرميا (كل مكرميها يحتقرونها، لأنهم رأوا عورتها) رأوا حقيقتها.. رأوا تمردها وعدوانها وحبها للشر .. والخصام .. والآثام ...!!

الفصل العاشر

ملاحمنا الشعبّية فى اليهُود .. قومية

* أوروبا (البيزنطية) المسيحية تشن ملاحم القتال ضد العرب
* وأوروبا (الصليبية) المسيحية تواصل شن الملاحم...
* وملاحمنا الشعبية تؤكد أن عدونا التقليدي .. هم اليهود وليسوا النصارى.!

أنا جسمى عندك هنا مسجون   وروحى بره طليقه حرة
ولى أهل، كما الشجرة   أصول، مأصلة، مفتخرة
أهل الغنى بشرف، وكمال   والسيرة، والذكرى العطرة
مالهم، سفاين، فى المعروف   واللى بييجى بلادنا يشوف
مين غيرنا بيغيث الملهوف   وسيرتنا باينه ومنتشرة
شرف رجالنا عالى علو   ولا يطولوش أنها عدو
ولا فيش لغير وطنا غلو   والعرض أغلى من الجوهرة

"ملحمة خضرة الشريفة"

والكلمات في المراثي الملحمية، تحس أنها منكسة الرءوس، ذليلة، تلملم أطراف أحرفها وتمسح الدموع.

بينما الكلمات في ملحمة رمسيس، تكاد تراها محزمة الوسط، حاملة العصى وتدور في رقصها المتوثِّب النشوان.. تمام مثل ما يحدث عند اليهود قبل الهزيمة الأبدية على يد رمسيس.

اسمع مزامير داود التي تبدأ دائما بالفرحة.. هللوا.. يا حاللولي.. هاللويا.. «هاللويا»[1]

***

هللويا ...

« غنوا للرب ترنيمة جديدة، تسبيحة في جماعة الاتقياء (ليفرح) اسرائيل بخالقه، ليبتهج (بنو صهيون) بملكهم (ليسبحوا اسمه **برقص). بدف، ليرنموا له. لأن الرب راض عن شعبه. يحمل** الودعاء

(١) المزمور المائة والتاسع والاربعون.

بالخلاص. ليبتهج الاتقياء (بمجد). ليرنموا على مضاجعهم، تنويهات الله فى أفواهم: وسيف ذو حدين فى يدهم. ليصنعوا (نقمة) في الامم وتأديبات فى الشعوب. لأسر ملوكهم بقيود، وشرفائهم بكبول من حديد. ليجروا بهم الحكم المكتوب كرامة لجميع اتقيائه. هللويا».

ويكفي هذا المزمور وحده في تفسير الشريعة الصهيونية

١- اذا تمسكت أيها اليهودى بأن تكون من المتدينين.. فافرح بخالقك.

٢- أما اذا كنت يهوديا، صهيونيا، فابتهج «بالملك» وانزع عنك الدين واطرحه .. فشريعة اليهود الصهيونية أن يتحول الدين إلى رقص على العود والدف.. لأنها شريعة دنيا، شريعة (مجد) فالدين مجرد تنويهات.. في الأفواه.. للعمل الدنيوى.. لإقناع الآخرين بأن مع اليهود دينا .. والحقيقة أنهم يعتمدون على السلاح الدنيوى .. (السيف)

«تنويهات الله فى أفواههم وسيف ذو حدين فى يدهم»

والهدف اليهودى (صناعة النقمة) فى (الأمم) و(التأديبات فى الشعوب) الدولة الجديدة القائمة فى يبوس الطاهرة الفلسطينية، بعد أن أصبحت على أيدى الصهاينة «الزانية أهوليبة أورشليم» الذين تركوا دين موسى وعاشوا فى شرعة صهيون:

وهذه وثيقة من حزقيال

وسائد .. ومخدات ...

«وكان إلى كلام الرب قائلا :»

«يا ابن آدم ما هذا المثل الذى لكم على أرض اسرائيل»

«القائل قد طالت الأيام و(خابت) كل (رؤيا) ...»

«لذلك قل لهم هكذا قال السيد الرب»

«أبطل هذا المثل فلا يمثلون به بعد فى اسرائيل»

«لأنه لا تكون بعد (رؤيا باطلة) ولا (عرافة ملقة) فى وسط بيت اسرائيل»

«لأنى أنا الرب أتكلم»

«والكلمة التى أتكلم بها تكون»

«لا تطول بعد»

«لأنى فى أيامكم أيها (البيت المتمرد) أقول الكلمة وأجريها يقول السيد الرب»[١]

«يا ابن آدم أنت ساكن فى وسط بيت متمرد)[٢]

«هأنذا ضد وسائدكن»

«التى تصطدن بها النفوس كالفراخ ..»

«وأمزقها عن أذرعكن وأطلق النفوس ..»

«النفوس التى تصطدنها ... كالفراخ». !!

(١) الاصحاح الثانى عشر - حزقيال

(٢) نفس المرجع.

«وأمزق مخداتكن، وأنقذ شعبى من أيديكن فلا يكونون بعد فى أيديكن للصيد... فتعلمى أنى أنا الرب»[1]

وصرخ خزقيال قائلا للرب :

«هل أنت مهلك بقية اسرائيل كلها بصب رجزك على أورشليم»

فقال لى إن ألم بيت اسرائيل ويهوذا عظيم جدا جدا»[2]

•

الجنس المغلق ...

والشخصية اليهودية لا مثيل لها فى تكوينها، ضربت حول نفسها نطاقا، من العادات ووجهة النظر إلى الحياة، كما سبق القول، فتم تكوينها حسب إرادتها.. باحثة عن المال، كاشفة عنه فى كل مصادره، قادرة على إخراجه واجتذابه بكل حيلة وسبيل، ومن ثم صنعت «عقيدتها» حسب فائدتها، فالدين مجرد «تنويهات» لله «فى أفواههم» أما الهدف الذى يعيشون من أجله فهو «النقمة» بين الأمم.

اختار اليهودى من طرق المعايشة بين الناس، الطرق المقفولة عليه، وأخفاها عن الناس، مخافة أن يسرقها الناس منه باعتبارها سر الصلاحية فى الحياة.

امتلاك الحياة، والسيطرة على الأحياء، هى الضمان والتأمين،

---

(١) الاصحاح الرابع عشر – حزقيال

(٢) الاصحاح التاسع – حزقيال

للشخصية اليهودية، وقد وصلوا إلى هذه «الحقيقة اليهودية» بتجاربهم فى عصور التشريد الأولى، وعصور الغربة الأبدية، التى ضربت عليهم لمطاردة شعوب الأرض لهم بعد الملاحظة العابرة من أنهم يأخذون ولا يعطون ..

والملك داود الذى استولى على «يبوس» قطعة قطعة، وجزءا جزءا، وسمى أول جزء منها استولى عليه، من شعبها الفلسطينى، مدينة داود، ثم أقام دار العبادة اليهودية الجديدة، وسماها «زيون» أو ما تنطق بالعربى صهيون، ثم استولى على المدينة كاملة وسماها «أورشليم» بعد أن بهر بنى جنسه بالإقناع بالعدوان الإيجابى المباشر، وبالمفاجأة به، من أنهما الطريق المضمونة لتحقيق انتصارات يهودية.. كانت صلاة داود الملك وعبادته لله لأنه «المُخْضِع شعبه تحته» ودعاؤه لله أن يبرق البروق ويبدو الجويم .. الناس الآخرينَ من كل أمة وشعب غير يهود، وأن يرسل سهامه ويزعجهم لأنهم كلهم «غرباء» عنه وعن جنسه.

امتلاك الحياة والسيطرة عليها هى شغل اليهود الشاغل، مستغلين فى تحقيقه، عاداتهم، وطبائعهم، ثم دين «زيون» الذى ابتدعوه .. مخالفا، ومناقضا، لشريعة موسى عليه السلام.

ومن مزامير داود تستطيع أن تستنبط أن دين صهيون تنويهات لله.. أما العقيدة فهى عبادة الحياة اليهودية الموصلة للضمان والتأمين لهم دون البشر.

ومن أسلوب داود فى رسم العلاقات بينهم وبين الشعوب والأمم، تستطيع أن تستنبط «الدستور اليهودى» السرى الذى يعتمدون عليه فى تنفيذه لامتلاك الأمم والشعوب.

***

البروتوكولات ...

ومن «الدين الخاص» دين اللادين.. ومن الأسلوب السرى لدستورهم فى رسم العلاقات بينهم وبين بقية البشر، استنبط «حكماء اليهود» فى نهاية القرن التاسع عشر، ومطلع القرن العشرين، «البروتوكولات» التى تعطيهم القدرة على تحقيق دولتهم .. التى هى «صخرة» التنفيذ لتحقيق بقية الاغراض.. هذه الصخرة .. الدولة اليهودية .. التى أنشأها داود.. ولم تدم فى الدنيا إلا أيام ابنه سليمان فقط، وما كاد حفيد داود، «حوربعام» يتقلد منصب قائد الفكرة .. الملك .. حتى هبّت مصر بيد رمسيس.. وشردتهم ثانيا كما كانوا .. وأطلقتهم فى وديان الغربة الأبدية. وأجهز عليهم بعد دك الصخرة

«الذين تكلمت أفواههم بالباطل ويمينهم يمين كذب»
«يا ألله ... أرنم لك ترنيمة جديدة»
«برباب ذات عشرة أوتار أرنم لك..»
«المعطى خلاصا ... (للملوك)» !!

«المنقذ داود عبده من السيف السوء» !

«انقذني ونجني من أيدى (الغرباء) الذين تكلمت أفواههم بالباطل، ويمينهم يمين كذب»

«لكى يكون (بنونا) مثل الغروس النامية فى (شبيبتها) بناتنا (كأعمدة الزوايا منحوتات حسب بناء هيكل)»

«أهراؤنا ملآنة كفيض من صنف لصنف» ..

«أغنامنا تنتج ألوفا.»

«وربوات فى شوارعنا..»!

«بقرنا محملة ... لا اقتحام ولا هجوم»

«ولا شكوى فى شوارعنا»

«طوبى للشعب الذى له ... كهذا ..» !!

«طوبى للشعب الذى الرب إلهه»[1] ...

الحياة .. الحياة اليهودية.. الدينا مقفولة .. لليهود .. لملوك اليهود .. لأولاد اليهود .. لبنات اليهود .. لشوارع اليهود .. أما العالم كله .. فغرباء .. لتدخن دنياهم وتتبدد..

اسمع إلى حزقيال وهو يقول:[2]

«يا ابن آدم، كان امرأتان ابنتا أم واحدة».

«وزنتا بمصر» ..

---

(١) المزمور المائة والرابع والاربعون

(٢) أترك للقارئ استشفاف مدى (العشق) اليهودى لمصر ... وللمصريين.

«فى صباهما ... زنتا»

بأيدى سيتى وعم رمسيس. كل أهل المنطقة .. اردنيون وسوريون وعراقيون.. مما يقطع بأن دولتهم التى كونوها لعدة ايام.. بعد أن دبروا لذلك مئات السنين.. واستعملوا كل أساليب اللصوصية الصريحة والمستورة، إنما هى «دولة لقيطة» لاسند لها فى البقاء فى المنطقة .. وشُرِّدت .. وانتهى أمرها من آلاف السنين.. ثم جاءوا اليوم محاولين إعادتها..

يصلى الملك داود مغنيا بهذا المزمور وأمثاله من .. الترانيم الجديدة :

***

الفن الشبعى ...

«مبارك الرب صخرتى» ...

«الذى يعلم يدى القتال .. وأصابعى الحرب ...»

«رحمتى، وملجأى ومنقذى»

«مجنى والذى عليه توكلت»

«المخضع شعبى ... تحتى ..»

«يارب أى شئ هو الانسان ..»

«أو ابن الانسان .. حتى نفتكر به ..» !

«الانسان أشبه نغمة»

«أيامه ظل عابر»

«يارب طأطئ ساواتك وانزل..»

«المس الجبال فتدخن» ..!

«أبرق بروق ... وبددهم ..»

«أرسل سهامك وأزعجهم ..»

«أرسل يدك من العلاء ... أنقذنى .. ونجنى من المياه الكثيرة من أيدى .. الغرباء»..!!

«هناك دغدغت ثديهما»

«وهناك تزغزت ترائب عذرتهما»

«وأسمهما أهولة الكبيرة»

«وأهوليبة أختها»

«السامرة .. أهولة»

«وأورشليم ... أهوليبة»[1]

«وزنت أهولة من تحتى .. وعشقت محبيها ...»

«فلما رأت أختها أهوليبة ذلك.. أفسدت فى عشقها أكثر منها»

«وفى زناها أكثر من زنا أختها»

«فرأيت أنها قد تنجس ولكلتيهما طريق واحدة»

---

(١) تأمل التعبير الرمزى للتوراة

(أهولة) قبائل اليهود الاولى ترعى فى الوديان، وداخل الشعوب فى المنطقة.. و(أهوليبة) اليهود بعد أن اغتصبوا لهم دولة .. وهم فى الأولى وفى الثانية، فى معزل عن الدين .. وفى عشق (لمعتقداتهم الخاصة)..!

«وكشفت زناها وكشفت عورتها .. فجفتها نفسي.. كما جفت نفسي أختها..»

«وأكثرت زناها بذكرها أيام صباها التي فيها زنت بأرض مصر

«وأفتقدت رذيلة صباك ..»

«بزغزغة المصرية ترائبك .. لأجل ثدى صباك»

«لأجل ذلك يا (أهوليبة) هكذا قال السيد الرب»

«هأنذا أهيج عليك عشاقك الذين جفتهم نفسك وآتى بهم عليك من كل جهة ...»(١)

مصر ليست كذلك ...

الشخصية المصرية مغايرة تماما ..

فمنذ أيام الكاتب الأديب «حردادوف» ابن خوفو .. الذى آثر أن يكون عريفا فى كتاب .. ومصر تستنبط من معايشتها السلمية مع الأرض والزرع والحيوان والجار والأهل والغرباء والوافدين من كل من هب ودب. مصر تستنبط الحكم والتعاليم التى تنشئ عليها الأجيال .. وقد مكّن لذلك.. حياة العطاء السخية من كل جانب. النيل والوادى الأخضر والنخيل والأعناب والكروم.. وكل شجرة خضراء.»

---

(١) كان الربانى حزقيال يرد على الذين يقولون بأن (آسيا الصغرى) صاحبة الهزيمة من سيتى ورمسيس العظيم .. إن حزقيال يؤيد ما ذهبنا إليه نحن .. وإلا.. فلابد أن يكون حزقيال نبيا غير عبرانى.!! فيما يزعمون ..!!

ثم جاء أمين موبى .. وايبور.. وأمينمحات .. ووضعوا الكتب فى «التعاليم» والوصايا، وقد جمع لنا الدكتور سليم حسن فى كتابه الموسوعى (الأدب المصرى القديم) ما يغنى فى ذلك عن كل بيان

وكان كل هؤلاء .. قبل أيام النبى موسى بقرون ..

كان منطقيا، أن ينزل الدين الالهى على المصريين الصالحين بالحضارة وسمو الإدراك وتربية العلاقات بين الناس تربية سامية، ولكن لحكمة أرادها الله، نزل الدين الإلهى على العبرانيين، حتى يظهرللعالمين قديما وحديثا، أنهم فى حالة تضاد مطلقة مع كل القيم التى تنتج الانسان الفاضل الشريف ..

فلم يكن عجيبا إذن، أن يستنّ المصريون عادة فى علاقاتهم مع اليهود، أن «الأكل معهم ... نجس» وكان ذلك من قبل سيدنا يوسف الذى لم يدع أى مصرى للوليمة التى أقامها لاخوته يوم أن جاؤوه ليشتروا القمح أيام المجاعة ..

مؤاكلتهم نجاسة ...

«ثم غسل وجهه وخرج وتجلد»

«وقال قدموا طعاما»

«فقدموا له وحده»

ولهم وحدهم»

«وللمصريين الآكلين عنده وحدهم»

«لأن المصريين لا يقدرون أن يأكلوا طعاما مع العبرانيين لأنه رجس عند المصريين .. »[1]

***

وكما وضع المصريون بساتين الكلام .. وكروم الأمثال .. وعناقيد الحكم .. كذلك وضع العبرانيون نفس الشئ .. ولكن وجهة نظرهم المليئة صلاحية للحياة اليهودية.

الحكمة .. غم ...

«يوجد شر ...»

«قد رأيته تحت الشمس»

«وهو كثير بين الناس»

«رجل أعطاه الله غنى .. ومالا وكرامة»

«وليس لنفسه عوز من كل ما يشتهيه ..»

«ولم يعطه الله استطاعة على أن يأكل منه .. بل يأكله انسان غريب»

«هذا باطل ... ومصيبة رديئة هو» !![2]

«أنا ناجيت قلبى قائلا ...»

---

(١) الاصحاح الثالث والاربعون - تكوين

(٢) الجامعة الاصحاح الثانى

« هأنذا قد عظمت وازددت حكمة أكثر من كل من كان قبلى على أورشليم »

« وقد رأى قلبى كثيرا من الحكمة والمعرفة »

« ووجهت قلبى لمعرفة الحكمة ولمعرفة الحماقة والجهل »

« فعرفت أن هذا أيضا .. قبض الريح » !!

« لأن فى كثرة الحكمة .. كثرة الغم .. »

« والذى يزيد علما يزيد حزنا » !! (١)

أفحش من التلمود ..

« التذ عيشا مع المرأة التى أحببتها كل أيام حياة باطلك .. »

« التى أعطاك إياها تحت الشمس كل أيام باطلك .. »

« لأن ذلك نصيبك فى الحياة »

« وفى تعبك الذى تتعبه تحت الشمس .. »

« كل ما تجده يدك لتفعله ... فافعله .. بقوتك .. » !!

« لأنه »

« ليس من عمل » ..!

« ولا اختراع » ....!

« ولا معرفة » ..!

« ولا حكمة .. » ..

---

(١) الجامعة بن داود – الاصحاح الاول

«فى الهاوية .. التى أنت ذاهب إليها ... »[1]

المصريون حمقى، ونوكى، وجهلة، ومختلطى العقل، سفهاء معاتيه، فى نظر اليهود، لأنهم يفضلون الموت الفورى.. على العار.. يفضلون الهاوية التى نحن ذاهبون إليها.. عن الحياة بعار أو بدنس .. وهذا هو الذى خلق فى «المصرى» الشجاعة .. والشرف .. واعتناق «خلود الذكر» وهو فى الهاوية، عن التمتع فى الحياة الدنيا .. بلا ذكر، ولذلك فإن «السيرة» عند المصرى .. أطول من العمر ..

إذا أردت أن تدرس شعبا.. فادرس مم تكونت «الشخصية القومية» من هذا الشعب. فذلك وحده الذى «يقوم» الشعب ويحدد نوعه ومكانته وإذا أحببت أن تعرف مم تكونت هذه الشخصية القومية، فاجمع أولا ملامحها، من عاداتها، وتقاليدها.. التى هى «وجهة نظر» الشعب إلى الحياة، وموقفه منها.. ثم غُصْ إلى ما تحت النفس للشعب .. للوجدان.. فسترى بين الحشائش التاريخية فى أعماقها، هذه الحشائش التى هى السير والحكم والأمثال

---

(١) الجامعة بن داود الاصحاح التاسع.
وقد تحوّل «الالحاد» و«عدم الايمان بالموت .. و«البعث» عند اليهود إلى عقيدة من عقائد دينهم الخاص الذى أشار إليه هرتزل:
إن اليهودى لا يخاف شيئا ما قدر خوفه من الموت .. لأنه نهاية .. لاشئ بعده.. إنه (هاوية)
هل أدركت الآن أن حديثهم عن الدين.. والمبكى .. لعبة سياسية بارعة ..؟

والملاحم والمواقف وذكر الرجال الخالدين من صناع الأمة وحضارتها وتاريخها .. سترى الحقيقة.. الروح .. الروح القومية للشعب التى تغنيه عن التفكير فى لحظات رد الفعل لغريزة حفظ النوع ..

أيام يوسف ...

اختبر المصريون اليهود

وكان لهم معهم التجارب الطويلة ..

قبل موسى .. وبعد موسى..

أيام يوسف بن اسرائيل .. أقصد يعقوب

وحكاية يوسف مماثلة فى أذهان المصريين .. غيرة أخوته منه لأن أباه أعطاه «قميصا ملونا» فهو عزيز عليه لانه ابن شيخوخة، ولأنه ابن الاثيّرة عنده «راحيل»

ويعرف المصريون أن اخوته ألقوه فى الجب وان «العرب» أولاد اسماعيل هم الذين انقذوه .. وأتوا به إلى مصر .. وفى مصر - طوقه الملك بقلادة من الذهب .. وخلع خاتمه من إصبعه وألبسه إياه .. وجعله وزير مالية البلاد.

وفى السنين العجاف، فى المجاعة التى انتشرت بالمنطقة كلها، جاء الناس من كل مكان ليشتروا من مصر قمحا، رغم أنها فى مجاعة، وكانت تعطيهم، فمصر مفتوحة القلب، والأبواب.. لكل غريب، فهى أم من لا أم له ..

الفكرة الوطنية ...

ومصر تذكر كيف كان اليهود طابورا خامسا أيام الهكسوس.

ومصر لا تنسى أن كل المستجيرين بها من اليهود، وخاصة أولاد نباط[1]، وكانوا «ينبطون» على أقاربهم وأولاد جنسهم الذين صنعوا مملكة بفلسطين .. سفاحا واغتصابا .. هؤلاء كانوا حربا عوانا على مصر لما رجعوا لذويهم ومعهم الأسرار المصرية ..

هذه «المواقف» اليهودية.. مستقِرّة بين حشائش الوجدان المصرى، فليس غريبا، أن يجئ المصريون فى يوم عوزهم للمثال عن الصبر، أيام الحكم الأيوبى الأخير.. وقد أعلنت مصر شعارها يوم ذاك، أخرجوا أيها الاجانب.. قبل أن يدمر الملك الكامل الأيوبى «تنيس» بدعوى أنها فى خطر من الغزو الصليبى.. مع أنها أبعد من «دمياط» من وجهة الخطر، عنه.. والحقيقة أن شعراء تنيس ألهبوا الملك الكامل هجاء .. وتلسينا، لأنه يريد أن يعزل المصريين عن المعركة .. ويحشد لها المماليك الذين يزيدون فى إيذاء أهل البلاد مما جعل الشعراء يتواصلون بالفكرة حتى أصيب منها الملك الصالح زوج أم خليل حبيبة الشعب (شجرة الدر)

---

(١) الذى أسقط عليه اليهود.. السبب فى إيمانهم بالرذيلة.. !! وهذا القول من اليهود.. انما هو (تنبيط) منهم على أنفسهم .. لأنهم هم الذين اختاروا (بربعام ابن نباط) الجدّ الأعلى (للنبط).. ملكا عليهم ..!!

الصالح المرتضى أيوب أكثر من ترك بدولة، ياشر مجلوب
لو آخذ الله أيوبا بفعلته لأصبح الناس كلهموا فى ضر أيوب

الفكرة الوطنية المستقرة فى وجدان الشعب المصرى، أقوى من كل شئ.. فكما أنهم لم ينظروا للجنس اليهودى.. نظرة دينية .. كذلك، ونفس النظرة، للملك الكامل، والصالح، وهم مسلمون.. ولكنهم فى الوطنية.. احتلاليون .. استعماريون .. استعلائيون .. مغتصبون ..

ووثيقة المصريين فى ذلك، ملاحمهم الشعبية، وفنونهم التلقائية النظرية، فكما هاجموا الأيوبيين.. نسجوا ملحمة شعبية، تثبت أن المصريين لا يعادون أيا من كان، والذين يلاحظون الأشياء من المصريين، يلاحظون ويذكرون أن اليهود فرائس.. لا وحوش، وجدوا ليؤكلوا، لا ليأكلوا فى سبيل أن يأخذوا .. ولا يعطوا ..

وبات يقينا فى المعتقد الشعبى لأهل المنطقة، أن بيت اليهودى به بابان، باب الدار المخلوع المصاريع المباح.. فلا شئ وراءه إلا العرض .. والعرض مباح، وباب سحرى للمال .. وتخزين المال ..

شعوب المنطقة تخزن القمح .. والجبن .. ثم اللارنج واللفت للتمرئة على الطعام، أما المال فمطية دائبة الحركة ما تفتأ أن تهرول وتستحث لأغراض الحياة.

تكاد تعتقد المنطقة أنه لولا شيوع هذا الجنس فى المنطقة لما سمع أحد عن شئ اسمه الزنى - ففى كل شعوب المنطقة قبل الأديان

عادات وقواعد للزواج، أما هم :

«هوذا كل ضارب مثل عليك قائلا»

«مثل الأم بنتها ..»

«ابنة أمك أنت الكارهة زوجها وبنيها»

«وأنت أخت أخواتك اللواتى كرهن أزواجهن وأبناءهن»

«أمكن حثية .. وأبوكن أمورى»

«وأختك الكبرى ... (السامرة) هى وبناتها الساكنة عن شمالك»

الصبر الملحمى ...

«وأختك الصغرى الساكنة عن يمينك هى (سدوم) وبناتها»

«ولا فى طريقهن سلكت ... ولا مثل رجاساتهن فعلت ... كان ذلك قليل ... فقط ففسدت أكثر منهن فى كل طرقك».[1]

المصريون، والعرب بعامة، لا يكرهون «عدوا» أيا كان

إلا بإملاء الفكرة الوطنية .. ولا دخل للأديان فى ذلك .. فهؤلاء العبرانيون الذين هم العدو التقليدى، والتاريخى، للمصريين، اختاروا منه «مثالا» للصبر.. عندما أعوز الفنان المصري الفطرى «المداح» أن يعطى لبنى قومه هذا المثال .. فى موقف تحتاج فيه مصر إلى الصبر.

---

(١) حزقيال - الاصحاح السادس عشر.

وأنشأت مصر ملحمة «أيوب» النبى العبرانى ..

وابتدأت الملحمة بعبارة

الصبر طيب يا أماره ..إصبرو

والله نبى ضمن الغزالة .. وحلها[1]

وأنشأت مصر ملحمة شعبية تحرض فيها ضد أن ينفلت الصبر إلى استسلام فيأس فخروج على المعتقدات وذلك يدفع إلى الاعتماد على الناس.. سواء الحاكم الاجنبى أو غيره .. وهى ملحمة تتطاير منها نسمات روحانية منعشة، وتنطلق منها دفقات شعورية تزحم القلب رضى، طيبا بالاعتماد على الخالق سبحانه، وهى ملحمة «ساره والخليل إبراهيم» وكلاهما عدائى.

كان : ساره والخليل أيام صباهم

بادعين فى الحسن، والمولى عطاهم[2]

إن أجيال مصر القديمة، كانت تتوارث (العقيدة الشعبية» فى هذا الجنس، «اليهود».. وفى «مواقف اليهود من مصر»..

وليس عجيبا على مصر أن تنس ما حاق بها من الهكسوس، ولا

---

(١) الأدب الملحمى المصرى، وثيقة تثبت أن الشعب، خشى أن تنسحب عقيدته ضد اليهود، على الأنبياء الذين يحبهم، والذين أخرجهم من زمرة هذا الجنس، فأفرد لكل منهم ملحمة شعبية خاصة، وهذه الملاحم هى «ملحمة يوسف الصديق وملحمة «أيوب» وملحمة الخليل إبراهيم

(٢) أثبتنا بنهاية الكتاب نصوص الملاحم تسجيلا وتذكارا، فيما عدا ملاحم «يوسف الصديق» و«الخليل إبراهيم» و«أيوب» وذلك لارتباط نصوصها بالحضارة الشعبية، ومكانها هو الجزء الثانى من هذه الموسوعة.

تنس ما حدث من اليهود ، فمصر لم تأو الهكسوس. ولم تطعمهم.. ولم تعطهم القمح فى أيام المجاعة.. ولم تعطهم الأكل بالمجان.. ولم تمسح دموع غربتهم، ولم تقدم لهم المعونات، وإنما فعلت ذلك كله لليهود ..

وينبغى أن يميل الظن إلى أن المصريين لم يصدقوا موسى إلا من أجل كونه ينتسب لجنس للمصريين فيهم رأى وتجربة وخبرة، الأمر الذى يكاد يظن الانسان معه أن لو رجع موسى بعد يأسه من قومه.. وانصرافهم إلى الذهب وعجله وعبادتهما ، لو رجع موسى إلى مصر.. وأدركت هذا الانفصام الذى وقع بالغريزة والطبع بين اليهود.. وبينه، لصدقته مصر، وآمنت به، وبدينه.. لأنها محضَّرة للرقى العقلى، ولأن مزاجها .. التدين من قديم ...

العقيدة الشعبية ...

تمشى العصور، ويمر احتلال وآخر، من أمم مختلفة، والعقيدة الشعبية فى اليهود هى هى.. فقد عادوا للانتشار والبكاء السياسى فى البلاد ..

وجاءت أجيال كان الناس فيها بمصر على العقيدة المصرية المتوارثة، ودخل هؤلاء الناس أنفسهم فى دين الله، فى المسيحية، فإذا بمعتقدهم الدينى فى اليهود.. يشتد تأكيدا ورسوخا لما فعله اليهود فى السيد المسيح، ولا يستطيع إنسان أن يعزل المعتقد

المصرى الشعبى فى اليهود. آلاف السنين قبل بزوغ أضواء السيد المسيح عليه السلام - عن هذه الهمة السخية التى بذلتها مصر فى احتضان (آية) الله، عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، وقد اضطهده اليهود...

التقدمية العقائدية ...

دخلت الشخصية المصرية، فى دين الله، المسيحية، وفى وجداناتهم عقيدة راسخة فى اليهود، تزداد تأكيدا ورسوخا يوما عن يوم.

ويمضى الزمن

ودخلت مصر فى دين الله أفواجا، فى الإسلام، وفى وجداناتهم العقيدة الشعبية المتوارثة عن اليهود.. والتى ازدادت تأكيدا ورسوخا مما فعلوه مع المسيحيين.

وازدادت العقيدة رسوخا بما سلكه بعض اليهود الذين اسلموا من مواقف ضد الخُلفاء.. وضد الشريعة.. بمحاولة الزج بما يسمى (بالاسرائيليات) فى بعض أحكام الشريعة.

لم تتكون عقيدة شعبية راسخة، فى عدو تقليدى، لأمة من الأمم، مثلما تكونت العقيدة المصرية الشعبية فى اليهود.

والمصريون، آباء الحضارة الإنسانية، وصانعوها، هم أشد الناس إقبالا فى تلقى كل ما يدفع التقدم الإنسانى إلى خطوات أوسع فى

هذا التقدم، هؤلاء المصريون، كانوا، وما زالوا، وسيظلون، يفصلون بين الدين الموسوى.. دين الله، وبين اليهود كجنس.

ووثائقهم الشعبية فى بيان هذه القضية الواضحة، هى الملاحم والقصص الشعبى الذى تضعها الشعوب، عادة، تلقائيا.. وبإملاء من الوجدان.. وليس بتوجيه كائن من كان.

الثقافة الشعبية ...

ومن بداهات الثقافة الشعبية، لأمة من الأمم، أن الشعوب تضفى على كل ما تحب، من بطولات، وأبطال، ومواقف، من مَدَد الخيال، وسحر التمنيات، ما يجعل الحقائق، بعد مزجها بالخيالات والرؤى والتمنيات.. إلى أساطير.

شاء الشعب، أن يضع اليهود فى موقف مع النبى، فلم يرجعوا إلى مواقف من واقع ما حدث له عليه الصلاة والسلام من اليهود، فى الغزوات، ومنها ما هو رائع فى نطاق الفكر الملحمى الشعبى، ولكنهم وضعوا أسطورة من انشائهم.. كعمل ثقافى شعبى، يتفق أولا مع المعتقد القديم، ثم يلعب دورا جديدا، فى تنبيه الناس إلى أخطار اليهود الذين يقفون وراء كل.. غزو أوربى للمنطقة.

وأحب أن أنبِّه إلى البناء الملحمى، والقصصى، والأسطورى، فى أدبنا الشعبى، إنه عبارة عن مضمون كبير، عبر الشعب عنه بأسلوبه البسيط الذى اختاره فى التعبير.

فهذا السبع الذى يلبسه الفلاحون الطاقية الصوف، ويبرزون له الشارب، ويُمْسكونه فى يمناه نخلة، وهم يرسمونه على بيوتهم فى الريف.. لو حللته، لوقفت أمام مضمون كبير.. أمام حقيقة عندهم ذات بال، عبروا عنها بهذا الأسلوب الشعبى الذى يزيد فى الأسد «قوة» من وجهة نظرهم بالشارب والنخلة.

الحكاية أنهم يريدون أن يقولوا «للعمدة»، للإقطاعى .. لابن العمدة.. أن صاحب هذه البيت.. سبع.. فلا تزوغن عينه إلى الواقفات خلف الباب أو بالفناء.

البلاغة الشعبية ...

ولست بالمعتذر عن الشعب فى عدم اقتداره على التعبير بالأساليب الكلاسيكية، ذلك لأن سحر البيان ليس فى الشكل، وإنما فى القدرة على التعبير عما تريد الشعوب أن تقوله ولقد قال شعبنا، بهذه الأساليب البسيطة، أبلغ قول وأبينه، وأشده سحرا.

وتبتدىء ملحمة (غزالة اليهودى) أو ما يسميها الناس (الغزلة)(١)

الأربعة اللى استمم من كل قرم شديد
صارم مع النبى فى حظ مع.. تمجيد
لحد بيت مدرى بره البلد.. وبعيد
يلقم بجنبه.. غزاله.. مقيده بحديد

(١) «الغزالة» تَسْبِقُ فى الترتيب الإنشائى «أيوب» وفى استهلال «أيوب» إشارةٌ لها.

و «الأربعة» الذين سمى الناس كلا «منهم» بأنه قرم شديد، هم دائما فى القصص والملاحم الشعبية، الأقطاب الأربعة وليسوا الخلفاء الراشدين.. والأقطاب الأربعة عند الشعب، هم سيدى أحمد البدوى وعبد القادر الجيلانى وإبراهيم الدسوقى وأحمد الرفاعى.

يلقم بجنبه غزاله بالقيد مأسوره
مقيده بالحديد باكيه العين محصورة
تنظر تلاقى محمد باهى الصورة
قالت أنا.. بك.. بحق الله منصورة
قال النبى يا غزال.. عنك يزول الشر
هو فين صيادكى اللى جهل واغتر(١)
قالت له بقى له تلات أيام علينا ما.. مر
وهو بيصطاد فى غزلان الفلا.. والبر

●

ما تم قول النبى إلا والباب دق
طلعت (صبية) من بيت (اليهودى) لاجل احتكام الحق
قالت مد إيدك يا ابن رامه صدق
أسلمت، قال النبى فزتى بالجنة وحق الحق

●

١ـ قد يَلْحظ الدارسون فى الفن الشعبى شيئا من عدم سلامة الوزن، ولكن (التفعيلة) فى الفن الشعبى محكومةٌ بالغنائية، أى أن الإيقاعات والروى الغنائى هى (العروض) والفنان الشعبىّ عادة يؤلف وهو يغنى فى وقت واحد.

فُزتى من النار ومن شدة لهابيها
هى الغزالة لكى أم حد جايبها
قالت لبعلى ومن أجلك لاسيبها
لو كان بعلى يموتنى من سبايبها

●

ما تم قول النبى إلا وأقبل الصياد
راكب على مهر غالى للقا معتاد
نزل يلاقى محمد صفوة الجواد
نزل وبعد النزول سلم سلام أجواد

●

سلم وبعد النزول قال إيش تعوزه جهار
ما نهو الذى جابكم نحو الحمى والدار
قال النبى سيب الظبيه بلاش إنكار
ترضع أولادها اللى البين عليها جار
قال (اليهودى) لطه الزين أنت مين
ياللى أتيت للغزالة شفيع وضمين
قال النبى أنا محمد وسمانى الإله يس
شفيع فى أمتى يوم الزحام وضمين

●

قال اليهودى زمان عينى تراعى لك
انظر وشوف (مقام الحرب) منى لك
أنا لاحاربك واحارب مين يحامى لك
قال النبى يا يهودي داري هوى ميلك
قال النبى سيب الغزالة وسيب كلام الواشى
ترضع اولادها وتيجى قط ما تبطاش
صغار ولو غابت الأم، ما تستناش
تطلع تدور تلاقى سهام ده صاب وده طاش

●

قال (اليهودى) كلامك يعنى له تصديق
هى الغزالة هاترجع م الوسع للضيق
قال النبى ياغزاله ترجعى تحقيق
ووصى بيهم عزاله بقلب حانى شفيق

●

قالت له وحق من جعلك للمؤمنين حبيب
أرضع أولادى وآجى قط لم أغيب
أنا برضه طالعه يتيمه ولا لى قط قريب
والمولى صاننى وأعطانى الأمان نصيب

●

أما سمع نطقها الصياد.. آمنها

وحلهــا م القــيــود حــالا ورصنهــا
بقى اليــهــودى يزغــر ورا منهــا
قــوال لقليـل ان بقت ترجع لضـمنهـا
وقـال قليـل أن بقت ترجع رجـوع من حق
ده جـه مـحـمـدطلقـهـا لم عطانا حق
قال النبى لو رجعت اليهودى قال وحق الحق
أشــهــد وأصلى وأصــوم وأشــهــد بدينك حق

●

من بعد مدح النبى تسمع كلام ثابت
ياما جرى للغزاله ساعة انسابت
راحت لأولادها فى الحال لم غابت
تلقى بكاها روى عشب الفلا النابت

●

قالوا (الولاد) لامهم .. مين كان لاهيكى
تلات أيام واحنا لم نلاقيكى
ننظر على الطرق نطلع.. نلاقيكى
ونبكى بحرقه على اللى صابنا فيكى

●

قالت لهم إرضعم لم حد يتعبنى
أنا البكا ضرنى والجوع غلبنى

طلعت أرعى وأجيكم ينشرح عبنى

وقعت فى يد صياد قام عذبنى

وقعت فى يد صياد كان شقى وعنيد

خدنى من إيدى فى حبال الذُل والتنكيد

فايتْ محمد لَقَانى فى بكا وعديد

وقف ضمنى وخلّصنى من التقييد

•

وقف ضمنى فعل الخير وسعى فيه

يا بخت من شاف مقام الزين وسعا فيه

هيا (ارضعم) لما أروح له بالضمان أوفيه

قبل (اليهودى) ما يقف ويأثر فيه

قالوا (الولاد)

(يالوعتك يا أمه..)

(يوم يقوم الحد..)

«كيف ترهنى أحمد محمد أصيل الجد»

«حدا يهودى لعين ما بيختشيش من حد»

«لبنك حرام علينا»

«وحياة رسول الله»

والزين محمد هو عريض الجاه

وفى الآخرة يوم الحد بنلقاه

يوم يا امنا نقـــابل بـين يدين اللـه
نور النبى اللى زان نور القـمـر وحـلاه

●

طلعت الغـزالة تبكى فى بكاها حـصـر
قـــال النبى جـيـــتى وبان النصــر
قـــال اليـــهـــودى أسلمت يا عــدنان
قـال النبى فـزت بالجنة بنى له قـصـر

●

فـــزت بالجنة ومن شـــدة لهـــايبــهـــا
قـــا اليـــهـــودى ده ربك لى كـــاتبـــهـــا
وقام اليهودى مشى ومعاه الظبية ساحبها
هو أنت لسه يهودى.. أسلمت... سيبها

●

والفاتحة تنقرى فى شرف النبى الهادى..

***

الخيال ينسرح إلى البادية.. ويهودى يصطاد غزاله.. ويربطها. بينما أولادها الصغار.. هناك.. ينتظرونها على التلال.

الخيال يأتى.. يأتى بالرسول عليه السلام.. ويرى حال الغزالة ويلتقى باليهودى.. صيادها.. وطلب إليه أن يتركها.. لترضع أولادها وتعود..

الخيال.. يجعل اليهودى فى شبه رهان مع النبى.. إن الغزالة لو أطلقت من قيودها.. وعادت.. وهذا من وجهة نظره محال.. فإنه يشهده على أنه أسلم لله..

الخيال الأسطورى الرائع «أن الظباء الصغيرة» رغم الظمأ والجوع. ووحشة الخلاء بغير الأم ـ ما أن عرفت الحكاية.. حتى انقلب الموقف،رفضت صبايا الغزلان إطفاء الظمأ والجوع.. طالبات من أمهن الإسراع بالعودة.. كيف ترك محمد مع اليهودى ـ صبايا الغزلان.. بفضل الموت على أن «ترهن» أمهن النبى لليهودى.. حتى تعود..

والمضمون ـ أن اليهودى ـ أسلم «ظاهرا» لأنه يعود بعد إيلامه الظاهرى.. وهو يسحب الغزالة..!!

***

ميمونة..

كان النبى أحمد إذا سار　　م البعد تسبق له الأنوار

وله غمامه حين تسري　　تظلل العربى المختار

* * *

تظلل العربى نبينا　　اللى هادينا ومهدينا

يوم الزحام يشفع فينا　　من اللهيب وحر النار

* * *

من اللهيب وحر سقر　　من عامل المولى ما يخسر

يا أمة العربى محمد　　قولوا الصلاة على المختار

* * *

كان (يهودى) فى خيبر　　راجل يهودى لكن جبار

وسط اليهود متكيبر　　عنده عبيد وخدم وجوار

وفى وسط الجوار واحدة اسمها ميمونه
ومسلمة وتقية وصالحه وميمونه
وكان اليهودي يقول امتى ياميمونه
تيجى (تكسبى) معانا وتعبدى (الحجر الزنار)

قال اليهودى أما اقول لك — ما تذكريشى النبى عمرك
مال اليهود والحجر أحسن لك — قومى اعبدى الحجر الزنار

قالت ميمونه ياملعون — أحسن يقولوا عليك مجنون
ده النبى العربى المكنون — ده دين النبى ولا زيّه اديان

* * *

اليهودى زعل منها — بلسانه لم كلمها
خدها فى السوق وجلبها — وبإيده عطاها للدلال

* * *

قال له يا دلال نادى — قول فلوسه ورغبها
بس فيها عيبه وخصيله — تعشق محمد كامل الأنوار

* * *

جه يهودى غيره قَلبِّها — وطلع فلوسه ورغبها
وقال سونه أنا اللى أتوبها — وهى عزنها خدم فى الدار

* * *

فرح بيها لما شراها — عشر جواهر وعطاها
وفى حرير فصل وكساها — حرير وغالى مالوش أنظار

***

سـاب مـيـمـونه فى البـيت وطلع لأسـبـابه
إلا ومـداح للنبى جـالـه علـى بابـه
بيـمـدح فى النبى وبيـمـدح فى أصـحـابه
سـمـعت مـيـمـونه دمـوعـهـا هَطّلت مـدرار
وقـالت له يا قلبى فى سـجنك جت لك الأنوار

***

قـالت مـمـونه تعـال يا مـداح ياللى عـطاك ربك إصـلاح
وجـهك يلالى كـمـا المـصـباح من كـتـر مـدحك فى المـخـتـار
المـداح وقف وغنى قـصـيـد مدح النبى يشبـه الشهد فى العناقيد
كـلام ومـعنى وطعـم لذيذ دى المـيـه لأجل النبى احلوّت بقت أنهار

* * *

خـد من مـمـونه العطا الفـاخـر واترد راضى مـجـبـور الخـاطر
أتابى (اليـهـودى) كلب سـاعـر عنه تلات عـيـال فى الدار

* * *

رجع أبـوهـم قـالـوا يابونا مـداح مـسـلم أتـى هونا
مـدح وغنى وسـمع مـمـونه أدت له من عِبِّها جوهره كمتل نهار

* * *

قالت اليـهـودى دول ولادى صدقم فـى هذا الـكلام لـمـا نطقـم
قـالت له صـدقم ولا كـدبم إفـعـل خـلاصك يامكـار

«قام اليهودى يا أهل الجود»
«صلب ممونه فى جنب عمود»
«وجاب فى إيده كرباج م السود»
«شبعان من شحم الأبقار»

***

«صار يضربها على الجنبين»
«وهى تقول يا جد الحسنين»
«أنا ما انساش كرامتك يازين»
«لو قطعونى أشبار أشبار»

***

«اليهودى ساحب خنجر»
«وجرده من فوق حجر»
«خلاه طايب أبو ضمير اصفر»
«حامى ويحلق أغلض الأشعار»
«قال اليهودى مدى ايديكى»
«ذنوب وخطية عليكى»
«كل ده عشان نبيكى»
«بتقولى يشفع من حر النار»

***

«ممونة تمد أول ايد»

«وهى بتكتر من التوحيد»
«وتقول فرجك يارب أكيد»
«أنت اللى ع الظالم وع الجبار»

***

«ويقوم اليهودى يقطع أيديها»
«وزنودها واكتافها ورجليها»
«وبالخنجر خزق عنيها»
«يامُطَّلع، يارب ياستار»

***

وكلفت مـمـــونه فى دمـــاها وخـــد جـــواهره ولم نســـاها
وجنب المــقـــابر راح ورمــاها وتشـوفه راجع كالبطل مغوار

* * *

رمى مــمـــونه فى جنب القــبــر وآخر كلامها كان يارب الصبر
ترزقنى من ينجدنى من دا القهر وحــيـــاة نبـينا كـامل الأنوار

* * *

كـانت ليلتـهـا ليلة الجـمـعـة وأنوار شـقت من فـوق الطربه
رأى النبى مــمـــونه فى كــربه والدم من عـــينيـــهـــا بغـــزار

* * *

شـــار النبى انتى مــمـــبونه اللى بربك مـــفــــتــــونه
قـــالت عـــملهـــا ابن الملعـــونه عـــدوى وعـــدوك يا مـــخـــتـــار
شـــوف النبى من تصــديقـــه يتـــفل على الجـــرح بريقـــه

عرف الشفا لروحها طريقه بإذن علام الأسرار
تفل على الإيدين.. مسكت وتفل على الرجلين مشيت
تفل على العينين نظرت وشافت النبى و «على» الكرار

* * *

وشار النبى يا ممونه اقول لك
لبيت اليهودى ترجعى أحسن لك
واسزليه يا ممونه ليه قتلك
هى عبادة الله عوار

* * *

ممونه طلعت تجرى اتصلبت فى باب الخبرى (١)
كان اليهودى قايم بدرى لقى ممونه فى باب الدار

* * *

قال اليهودى أنت ممونة (٢) اللى فى حب محمد مفتونه
فيه ناس عرب أمس جونا وسألوا عليكى هنا فى الدار

* * *

عرفت منهم «الصديق» و «عمر» عمل معايا تحقيق
وزنقوا على تزنيق أنا قلت غايبه فى مشوار

* * *

وراهنتهم أنك.. حيه ورايحه مشوار وجيه
ياللـه ايديكى على ايديه آخر الرهان الميت دينار

* * *

١ ـ أي (الخَيْبرىّ).
٢ ـ المحكية (ممونة) وليست (ميمونه).

قالت له عرفوا اللى قتلنى   والمولى هو اللى كرمنى
وحبى لمحمد.. صححنى   كان لسه على أجلى مشوار

* * *

قال يبقى باعتك للبشرى   ختمت بصوابعى العشرا
دى آيه مشبوته وظاهره   وآيات محمد والله كتار

* * *

وقال اليهودى يالله بينا   على بيته دوغرى ودينا
إياك على الله يهدينا   وتسلم على ايدين المختار

* * *

بس اسبقى يامموته يازين   بلاش نخش سوا لتنين
سبقت يسار، وهو يمين   وخد ولاده وقال يا فرار

المعتقد الشعبى...

إن اليهودى غير مؤمن بالله، وكأنه قرأ بعناية الدارس أسفار آثامهم وخطاياهم وبعدهم عن شريعة موسى، ووضع الفنان الشعبى حجر الزنار بدلا من «بعل» وأوثان الذهب..

واليهودى، فى المعتقد الشعبى، يحقد على الله، وعلى آياته، وعلى أديانه السماوية، وليس فى قلبه رحمة لعابد أو متدين.. إنهما نقيضان بالغريزة والفطرة، اليهودى وأى مؤمن..

وإن اليهودى سفاح سافك للدماء ظلما.

وإنه لا يعرف شيئا اسمه الحق، وأن المال عنده هو الرب إلهه.. فقد قتل ميمونه.. وأخذ منها الجواهر التى هى حقها..

ثم.. وبعد المعجزة فى الأسطورة.. يحتال كعادته، بدموع وصبابات وتنويهات.. إنه ختم بأصابعه العشرة على أن الله حق.. وأن رسوله حق.. وأنه فى طريقه وراءها ليعلن إسلامه.. ثم طار.. إلى معتقداته الأزلية..

خضرة الشريفة ...

وتجىء خضرة الشريفة..

وهى ليست «خضرة» أم أبو زيد الهلالى كما ظن الكثيرون و«خضره الشريفه» عمل فنى رمزى، تضافرت فيه الرمزية بالواقعية بالرومانتيكية، فجاء مثالا رائعا على القالب الشعبى الأدبى فى الصياغة والاكتمال.

خضرة الشريفة.. هى مصر..

هكذا أَحَسَّها ابنُها الفنان الشعبى.

ولقد اختار لها موقفا واحدا، مع عدوها التقليدى.. اليهود... وأنقذها من عدوها التقليدى.. بروح مصر.. العريقة ذات الجذور..

ووقف الفنان الشعبى يتأمل صراعات الحروب الصليبية..

ورأى بعينىّ رأسه أكثر من حقيقة..

الحملة السادسة.. كسر الفلاحون فيها جسور النيل عند أشموم طناح) فغرق (الفرنسيس) كما أكد ذلك المقريزى فى كتابه «المسالك والممالك، والحملة السابعة التى قادها عن ممالك أوربا مجتمعة، الملك القديس لويس التاسع، والتى كتب النصر فيها

للأمة العربية على يد الظاهر بيبرس. وكان الشعراء التقليديون الموظفون، كتاب ديوان الإنشاء لدى الحاكمين.. يقولون ما يحب دافعو المرتبات، لا ما تحت الحقيقة والواقع، أن يقال..

عزل شعراء الفصحى، وكتاب التاريخ، شعبنا عن الدفاع عن بلاده فيما خلفوا من كتب، فيما عدا «بهاء الدين زهير» الشاعر المصرى الذى[1] يكاد شعره يغنى على الأرغول، لنزعته المصرية المتخلِّصة من البناءات الكلاسية الضخمة، وما بها من نقوش فرعية، بل لقد كادوا يعزلون الشعب عن الإنفعال بما يدور حولهم.. ولولا الفنان الشعبى لما ترك لنا الشعب هذا الديوان الشفاهى الضخم الذى يستمر إلى أمام مع خط آثارات مصر القديمة ليضع طريقا للبحث عن (روح مصر) وأوربا المسيحية هى التى تحارب العرب.. فى دمشق.. وبغداد.. ودمياط.. الثغور العربية على طول الساحل العربى.. أيام أوربا البيزنطية.. وأيام حروب العصر الوسيط التى تسمى بالحروب الصليبية..

وينفعل الفنان الشعبى، وهو يضع مؤلفته الغنائية. يمهد بأنامله.. نقرا على الدف.. ويصغى إلى الأصوات العالية داخل وجدانه.. وينظر إلى الأفق البعيد حيث المخطوط البطولى يكتب نفسه على سحابات الأفق، وكأنه يأتى بدفقات شاعرة حارة، من قلب

(١) البهاء زهير، من صفوة الشعراء المصريين القلائل.. الذين يندرج أدبهم وشعرهم فى «ديوان مصر» الأدبى، مثل القوصى «جمال الدين بن مطروح» والدمياطى «يحيى بن الجراح» وغيرهم.

الماضى، ليضعها فى قلب الحاضرين ليجدد الحياة..

المثقفون عشاق التكامل الفنى، يقرأون نصوص الأدب الشعبى الملحمى، فيميلون إلى الظن بأننا نغالى فى تقويم هذا الأدب، لنثبت رأيا ونخدم قضية عُرِف عنا الارتباط بها، ولا شك أنهم معذورون فى ذلك.

إن النص الأدبى المقروء، أدب الملاحم، هو الملحمة المومياء، بين إبهار العرض، ومناشدة الخلود، فإذا ما لمست أصابع الغناء الشعبى، جسد الكلمات، ورقصت صبايا الايقاعات حولها.. رأيت نفسك فى لقاء حى مع الحياة، وهى تهمس لك سرا سحريا من أسرار أهلك ووطنك.

أنت تقابل الملحمة فى نصها الأدبى النائم، وتظن أنها عشواء غير مبصرة من حيث ايماءات الابداع والجمال، فأيقظها.. بأن تلبس الغناء كلماتها.. وأن تلبس الكلمات غنائيتها.. فهكذا هى قد أعدت فى صياغتها الأبدية.

ولعل شيئا من عزل الملاحم عن صياغتها الأبدية.. هو الذى مال بالظن إلى أنه عبارة الله الله يا سيد وجاب اليسرا (الأسرى) ليست أكثر من حجر طاحونة صوتى يلقى فى طاحونة الارتجال الشعبى، ليساعد الفنان المرتجل على عملية الخواطر الغائمة إلى .. كلمات تتجمع فتصبح رغيفا .. تصبح موضوعا فنيا...

الله الله

صيحة شعب ينادى ربه فى لحظة من اللحظات التى تتمطى فيها روح الشعب، لتحركه، وتصبح هى المقادير المشرقة التى كانت مع الشعب فى حركته إلى غاياته.

والله الله لفظة الجلالة .. ونداء المتصوفين اذا ما تنادوا ...

هى صيحة الإعجاب الشعبية، بموقف بطولى، للمتدينين من المصريين الذين أثبتوا أن الدين قوة وطنية دافعة إلى التقدم، بعد أن بينوا بالسلوك أن فداء الوطن أعلى مراتب العبادة.. فالسيد البدوى - وله فى مدونات الفن الشعبى الشفاهية سبع ملاحم - ترك ظهر المسجد بعد السنين الطوال، وانخرط فى احتضان الوطن، بالاشتراك فى القتال .. وبنجدة الأسرى .

***

الله الله يا سيد   وجاب اليسرا

أول ما أبدى

فى مدح نبى

سيد عربى

تلين له الحجرة

•

الله الله يا سيد   وجاب اليسرا

بمدح رطيب

يا رجال الغيب

سلم م الغيب

ومن العشرة

الله الله يا سيد   وجاب اليسرا

وأمد يدى

وأصافح سندى

صيطه بيدوى

فى بلاد بره

الله الله يا سيد   وجاب اليسرا

•

وامدح أبو بكر، واجب الشكر   نفق ماله لرسول الله
وامدح عثمان سيدنا أبو عفان   حفظ القرآن وكلام الله
وابن الخطاب عمر المحراب   عمران به وبالصحابة العشرة
وعلى يا بنى، بالفخر على   قطع (الحية) بسيف القدرة
وابعد غمى، وأذكر ربى   بقولة لا اله إلا الله
وامدح عيشه ويا خديجه   وامدح فاطمة بنته الزاهرة
ومن بعد مدحى فى نبينا   اسمع يا عاقل (ما بيجرى)
اسمع كلامى وتفنينى   قبل الزمان ما يفنينى
على بنيه وصبيه   ومصريه واسمها خضره
أصل الحكاية (راجل سلطان)   وعنده (المال) زى النَطَرَه
المال كثير ولالوش خلفه   قليل الخلفه وعد من الله
له مال كمان من غير عددان   وعمره ما خلف بالمره
على الولاد يبكى وينوح   وامراته بتعيط رخره
قال: الراجل إيه يا حريمى   من راح يورث فى المال بكره
قالت له اصبر يا حبيبى   بكره يأتينا فرج الله
وكان نايم ليلة فى رمضان   شاف ليلة القدر كانت ظاهره
يارب جود واعطى يا موجود   ولو بنيه تكون ذكرى

وربنا استقبل، منه كمن المعونة كانت طاهره
كمنه بياكل من الحلال ماكلش حرام ولا مره
دعوته قبلت زوجته حملت وكل شئ بأمر الله
مقدار تسع أشهر وضعت بنيه جميلة لون القمره
وليلة سبوعها سموها والاسم لابسها .. خضره
بنت الكرام تكبر قوام والخدامين جوه وبره
وأبوها من حبه فيها وداها فى الكتاب تقرا
سبع سنين قرت وعادت ياغفلان وحد الله
حافظة القرآن على صحة تمام ميه وأربعة .. وعشرة(١)
متعلمة (فى حفظ .. الماضى) لكن المكتوب غصب بيجرى(٢)

وف يوم عيد شم النسيم ريح الصبا على بحر الله
طلعت الشريفه .. بتتفرج على الجناين والبحره
طلعت وكان بعد المغرب الدنيا ظلام ولا كان قمره
أتابى (غليون جاى م الروم) فيه (الملعون) جاى من بره(٣)
فيه ابن سلطان (اليهود) والنظار ولمح خضره
شال بعينه بالنضاره شاف (الشريفه) المعتبره
(اليهودى) لما نظرها طبت فى قلبه نار حمرا
يا رفقتى، يا (يهود) بلدى قلبى انشبك حبيت خضره
يا مين يروح ويجيبها لى وأنا أديه مال بالكُتْره
أنا أعطى له خزينة مال وعينى يا خدها رُخْرَه

---

(١) عدد سور القرآن الكريم

(٢) وضع الفنان الشعبى (حفظ الماضى) وتاريخ مصر فى قداسة حفظ القرآن والحق: أن «الدين» «والوطنية» هما سر خلود البقاء المصرى، والقوة المصرية، لأنهما ... (روح مصر)

(٣) اندس (اليهود) فى الصليبيين) الآتين من أوروبا ... (الروم) ... الصليبيون يظنونهم جنودا (قوميين) لزنهم جاءوا من بلادهم معهم،... وهم لا يستعملون القومية الا رداء .أما الذين يحركهم .. فلا شئ الا يهوديتهم ..!!

أمــه قــالت له يا غـــزالى ... هات «العـــجـــايز» من بره
جـابوا العــجـايز دول ثمــانين ... من مكرهم غلبــوا الشــيــاطين
وقــالوا له أنت عــايز مــين ... قــال هى ولا غــيــرها خــضــره
مـا (تهمّـوا) (خايفـين منهـا ليـه) ... قــالوا مـا نعـرفش نجيب خـضـره
وازاى نروح إحنا نجــيــبــهــا ... والخلق يا مــا جــوه وبره
فــيــهم عــجـوز ملعــونة البـوز ... مـتـخـصـصـه فى ذل الحـره(١)
قــالت على عــينى .. يا مــعـلم ... بكره الصــبــاح لاجـيـب خـضـره
وحــيــاة راسك مع جــلاسك ... لاجــيــبــهــا لك هى وعــشــره
(عـملت حـيله) (اليــهــودية) ... (لبــست ســبــحــة) وقــالت الله
لبــست لهــا ســبـح جــمــيــز.! ... كل ســبــحــه تمــانين عــجــره!!
ولبــست فــوط.. من فــوق فــوط ... ولبــســت (دلق) بتـــاع فــقـــرا
وعــملت شــيــخــه، ووليّــه ... ونكشت راســهــا بالشــعــره
الفــجـر لاح، وجــه الصــبــاح ... و(الطرقــه) دلت على خـضـره

وخــــبطـت عـلـى (الأبـواب)
وخــــضـــــره تـنـادى يـا تـواب
يا عـبـد الخيـر شـوف مـين ع البـاب
قـــام قـــال وليـــه ع البـــاب بره

---

(١) هذه العجوز .. (مصرية) جاهلة .. ضحك عليها اليهود ... واضطرار الفنان الشعبى لذلك، لحبكة الوصول إلى (خضرة) بعد أن ذهبت لها فى صورة مجذوبة ورجع الفنان الشعبى وعبر عن هذه العجوز .. بصفة أفعالها .. (باليهودية).

وعبد الخير طلع للعجوزه — قال كلمى ستى خضره
طلعت العجوزه على العالى — (توحد حى ماالوش تانى)
تلاقى خضره أدب غالى — فاتحه المصحف وقاعده بتقرا
وجنبها بنات زى النجوم — وبتضوى بينهم كالقمره
قالت صباح الخير يا بنات — واكتر ما اصبح على خضره
قالت صباحيه يا خالتى العجوز — عايزه حاجه من عند الله

قالت لا حاجه
ولا حوجه
غليون أتانا
يا خضره

غليون أتانا يا شريفه — فيه العجب على بحر الله
فيه الصارى دهب يلالى — والدفه جواهر مُغْشَتَبَرَه
يالا بينا نشوف المينه — نتفرج يا ضرة القمره
قالت لها يا خالتى العجوز — ما فيش إذن أنى أطلع بره
إلا بإذن من أبويا — ودى شروط الناس الأمرا
قالت يا شيخه بلا أجازه — ما حد هايعلم بالمره
من باب الحريم ونرجع داخلين — لا يدرى سعيد ولا عبد الله
وام خضره تقول أبدا — يا ضناى ما تطلعى بره
إلا بأجازه من أبوكى — ولو ضمنا أنه ما يدرى

راحت العجوزه (على السلطان) — لقته جالس مع الوزرا
قالت له (اختم له) ع (الفرمان) — تطلع معايا خضره بره
مقدار ساعه افرجها — على الجناين والبحره
السلطان مضى على الفرمان — ولا يعلمش اللى هايجرى
رجعت العجوزه على خضره — قالت لها ياللا يا خضره
(أبوكى) ختم لى على الفرمان — وشافته كل الوزرا

خضره ندهت على البنات … قالت يا بنات هاتوا السفره
يا بنات ياللا واكرموها … هاتوا الطعام وغدوها
وقهوه وشربات اسقوها … واحده (وَليّه) فى حب الله
قاموا البنات بأحسن نيات … وجابوا للعجوزه الصانيات
سمك ولحمه ومقليات … وباميه ناشفه ماهيش خضره
كلت وغسلت ايديها … والمكر باين .. عليها
الله ينكد .. عليها … يا خاين العيش اشكيك لله
من بعد ما طفحت قالت … صليتو ع النبى حلو النظرة
ياللا بينا بقى ع المدينة … نشوف المناظر فى القمره
ضحكت عليهم الملعونه … وخدتهم (للخلا) بره
ماشيه خضره زى النجفه … ومعاها أولاد الشرفا
أما العجوزه دى العكفه … ظايطه وبتجرى كالبقره

وخضره نظرت قوى بالعين
وشافت الغليون يا زين
وقالت لها واخدانى على فين
ده غليون (يهود) عاملين مكره

حلفت العجوزه ألف يمين … ان ده بتاع مسلمين
يوحدوا رب العالمين … وكلهم (أبطال) أمرا
أتابى (اليهود) من مكرهم … قلعوا البرانيط وقالوا الله
قلعوا البرانيط وعملوا دراويش … وادارو فى العمه الخضرا
وشوفوا العجوزه من مكرها … سمت كبيرهم عبد الله
وقالت ياريس عبد الله … هات غليونك فرج خضره
قام اللعين حلف بيمين … بدال اليوم يستنى يومين
ويتفرجوا البنات الحلوين … وكل صبيه لوحدها مرة
وخضره تنادى، يا زمانى … ويا مكتوبى ايه رح يجرى
وآدى البنات اتفرجت … وخضره صابره على وعد الله

حكم المقدّر، تتفرج ومد لها سقالة بتترجرج
شبطت العجوزه فى ايديها أنا روحى فداكى يا خضره
طلعت العجوزه وياها تسبك الحيلة والمكره
وقالت العجوزه يا أخينا تكرمنا وحياة نبينا
وحل الغليون من المينه وتفرجنا وسط البحره
الله الله يا سيد وجاب اليسرى

شالوا مدارى
حطوا مدارى
أتابيه كان وعد
ومدارى
واللى وقع
ما كانش دارى
ويا عين صلى على النبى
الريس حل الشاغول
والعجوزه واقفه كما الغول
فرحانه وترقص وتقول
يا عينى صَلّى ع النبى
كانوا (اليهود) عاملين دراويش
واللى وقع فى القضا ما دريش
الله يجازى خاين العيش
يا عينى صلى ع النبى

كـــانوا لابســـين عــمـــايم خــضــره
حـــيلـه وانطبت علـى خـــضـــره
والنار مـــا تحـــرقـــشى الخـــضــرا
لكن المكتـــوب غـــصب بيـــجـــرى
ويا عينى

***

شـــوف العـــجـــوزه وكـــهـــانتــــهـــا
عـــملت حـــيلة وسَـــبَكِتْـــهـــا
جـــابت ســـبـــحـــه ولبـــســـتـــهـــا
حلت شــــعـــورها ونكشــــتـــهـــا
ويا عينى

***

قـــالت يا خـــضـــره شـــوفى الصـــارى
دهب يـا خــــضــــره من الغـــالى
والدفـــــه راخـــــره كــــمـــــا هلالى
كــــان إيه بس اللـى جــــرى لـى
ويا عينى

***

كام مره يا نجم وأنت تغيب عن عينى
لا اقعد ولا ارتاح ولا يهوى المنام عينى
أنا فارقت الحبايب غصب عن عينى
وياعينى

***

ياما طعمت الخسيس بايدى وصباعينى
وضيعت عليه جميع مالى وصباعينى
واندار صابنى على خدى وصاب عينى
ويا عينى

***

زعق (النفير) لموا الحبال
عوم بها فى وسط البحره
ولما خدها وراح لبعيد
وسك فيها قيدين حديد
قيد فى الرجل، وقيد فى الإيد
من خوفه لاتنط البحره
خضره تشاور ... للبنات
والنخل يبكى .. والنبات
يا ولاد عمى قولوا لامى
خدوها (اليهود) لبلاد بره

واولاد خـــــالـى، دروا الأهـالـى
ع اللى جـرى فــجـأة لـخـضـــره
يا اولاد خـــالـى.. يا اولاد عـــمـى
خـــبـــــروا ابـويـا وأمـى عنـى
يامـــا اعــجـل مـــا ورّوها لـه
وخـــدوها تـنـور كـــالقـــمـــره
ادى (اليـــهـــودى) لـمـــا نـظرها
طبت فى قـلبـــه نـار حـــمـــره
قـــال حطوا الشـــريفـــه فى أوضـــه
خـــوفـــا م الحـــاســـد والـنـظره
واســـتـــعـــجلوا وهدوا وابـنوا
من طوبـه ومـــونـه وحـــجـــره
بنى لـهـــا قـــصـــر على المـــينه
شـــبـــابيك القـــصـــر من الـفـضـــه
ســـلالـمـــه من سن الـفـــيـل
وش ســـمـك عـــام فى البـــحـــره
وست عـــمـــدان من الرخـــام
واتـنـين دهـب واتـنـين فـــضـــه
وفـــرش القـــصـــر حـرير مـقـــصـب
ريـحـــتـــه تـلالـى زى الـعـطرا

وعمل لها مخدع للنوم
يمشى لقدام ويرجع لورا
وتحت القصر نشا جنينه
فيها فواكه معتبره
زرع لها جنينه للرمان
والزهر الغالى فى البستان
الكومتره على العيدان
وابو فروه ألفين شجره
والتمر حنه والعود ريحان
يضللوا شباك خضره
وجابوا اللوز وسجر الجوز
والسفرجل حاجه معتبره
وجاب لها الصايغ فى البيت
يدق على مقاسها خضره
وصنع لها من الأساور
بدلايات فوق العشرة
ولما الطوق ملوى من فوق
والحلية صنعة مفتخره
قدامها يضوى ووراها
كل جديله ميت فرجا الله
جاب المكحلة بفصوص جوهر
لما المرود يجلى النظرة

جـاب الحلقـين يَوْزِنو شـيلتـين
ويشـوفـهـا بتـزيد الحـسـرة
جـاب اللبـه، مـيـه وحـبـه
جم عـدوها زادت عـشـرة
جـاب الدملج دهبـه يوهج
فى دراع أبيض زى الفـضـة
جـاب الخلخـال بألف ريال
وزنـه الـوزان رجـع لـورا

ومـيـتـين فـسـتـان بحـرير ألوان — حـدا خـيـاطين من الفـجـرة
تفـصـيل مـفـتـوح يشكى ويبـوح — ويقـول لك نوح وزيد حـسـره
ولونهـا صـهـيب، كـمـثل لهـيب — يشـوفـهـا (الملعون) ويقـول خمـره
جـاب الشـراب، زان الكعـاب — لمـا القـبـقـاب فـضـة بره
جـاب الكارم ملو مـحـارم — ولا فـيش ظالم قـد الفـجـرة
وجـاب الكركى وجلس فـوقـه — وقـال هاتوا لى بقى خـضـره
ويـاخـد دهب ويإيده ينـطـر — ويقـول جـبـا.. بس ترضى
وجـاب المنكر، وقـعـد يسـكر — قـدامـه جـمـدانة خـمـره
ومـلا الكاس جـاى يديهـا — ضـربت الكاس خلتـه عـشـره
وقـالت لـه زول يا مـلـعـون — دانت حـقـيـقى راجل مـجنون
أنا مـا ابدلش العـال بالدون — ولى أصل كـمـا الشـجـرة
قـال (اليـهـودى) كـسـرتى الكاس — وكـسـر الكاس عندنا بشـرى
قـالت لـه بشـرتك سـوده — وعلى (اليـهـود) بشـره غـبـره
يكسـر كـاسك يقطع ناسك — يا يهـودى عـيـشـتك مُـرة

جـه (اليـــهـــودى) (وخطفنى)
وخـــدنى (يســيـــره) لبـــلاد بره
ســـافــر بخــضـره (اليــهــودى)
واســمع يا عـــاقل مـــا يجــرى
تلات ليـــالى وهو مـــســـافــر
دق المـــــراسى فى بلاد بـره
ولمــــا خلوا فـى المـــــدينة
(ضـربوا المـدافع) وقـالوا بشـرى (١)

***

دخلوا المدينة
عملوا الزينة
وخضره حزينه
ما حدش يدرى

***

قـــالت العـــجـــوزة يا ريس
يـالـلا بـشــــر كل الأمـــــرا
قــوم بشـــر (سلطان اليـــهـــود)
وهات لى منه بشــرة خـــضــره
وخــدنى مــعــاك واقــعـد هناك
وآخـــد بدال الألف عـــشــره

(١) بدأت لفظة (المـدافع) تظهـر فى الأدب الشـعـبى بعـد أن تطورت آلة (المنجنيق) إلى (المدافع)، واستُعْملت اللفظة بمناسبة استعمال السلطان سليم العثمانى تلك المدافع ضد (الغورى) الذى سقط تحت أعلام القومية العربية فى (مرج دابق)

وراحت قالت له يا سلطان
إحنا جينا فى أمان وطمان
أنا عايزه خزنه من المال
(إحنا.. غازينا) وجبنا خضره!
قال الملعون وروها لى
وان عجبتنى.. خلوها لى
وحياتها ما ابخل.. بمالى
واتمتع واتجوز خضره

قال لها ده من عشمك   يا أميرة يا حلوه يا خضره
قالت له لو كان بمرادى   إلا يا خسارة موش قادرة
أدوس على راسك بالصرمه   واخليك بين أهلك عره
إلا حزينه، ومسكينه   والوعد رمانى مع الحسرة [1]
وقال لها ده أنا باحبك   حسنك مالوش مثيل بره
دى خدود ولا جناين ورد   وجرح الغرام عمره ما يِبْرا
شيلى البراقع دانا والع   والنسمة صبحت كالجمرة
شيلى الستارة بلاش شطارة   قالت طب فرجنى يا عره
شال الستارة وجاى داخل   همت وقالت إطلع بره
نده (اليهودى) على قرايبه   وقال اصلبوها من الشعره

(١) خضرة تلعنه.. واليهودى يقول: من عشمك..! أضف إلى فهمك للشخصية اليهودية، أن اليهود متخصِّصون فى.. (الخنزوانة).. يسمعون اللعنات والإهانات تُوجَّه إليهم وكأنهم بلا آذان..

وقـام عليـهـا يا أهل الجـود   صلب الشـريفـة جنب عـمـود
وجـاب لهـا كـرباج م السـود   شـبـعـان من شـحم البـقـرة
وبقى يضـربهـا على الجنبـين   ويقـول لهـا فـين ربك فـين
المـال وبس، لا بعـده لادين   ولا قـبله ولا فـيـه آخـره[1]
أنا قـصـدى إنك تتـوبى   وتدخلى فى مـالى وتوبى
أحـسن مـا اخليكى تلوبى   وعـينيكى اكـحلها بجـمـرة
علـى أيه ملونيـن الدنيـا   فـقـرا وواطيـين ودونيـا
قـال إيه شـرف أبيض وأخـضـر   وحتى الكحيلة اسـمها حمـره
أنا بأقـول الرب المـال   وفى إيدى لا عـالى ومتـعـال
أحيى وأمـوت كـده فى الحـال   والدنيـا ملكنا يا خـضـره
قـالت له إخـرس يا ملعـون   يا جـاحـد إلهك رب الكون
أنا جسمى عندك هنا مسجون   وروحى بره طليـقـه حـرة
ولى أهل كـمـا الشـجـره   أصول مـأصَّلة مُـفْـتـخـره
أهل الغنى بشـرف وكـمـال   والسـيـرة والذكـرى عطره
مـالهم سـفـاين فى المـعـروف   واللى بيـجى بلادنا يشـوف
من غـيـرنا بغـيث الملهـوف   ولنا وسـيرتنا باينه ومنتـشره
شـرف رجـالنا عـالى علو   ولا يطـولوش أنهـا عـدو
ولافـيش لغـيـر وطننا غلو   والعـرض أغلى من الجـوهرة
والعـمـر مثل التـوب، بيـدوب   ويكون نضيف على شرط التوب
والمـوت علينا أجل مكتـوب   أمـوت شريفـه لاجل الشجـرة

(١) الفنان الشعبى كاشِفُ المعتقدات اليهودية، اللادين.. وعبادة المال..!

أنا مـــؤمنه بدين الإســـلام والظلم فـــيـــه للخلق حـــرام
ولا فـيش حَدايا غـيـر ده كـلام ولو أمـوت واصحـا مـيت مـرة
قـال احـمـوا بالنار لى السـيف ومـوتـهـا يكون يا سـيـدى ع الكيف
والقـبـر جـاهز وانتى الضـيف والـيـــوم تكونى فى الآخـرة
يا تهـــاودي وتدينى غـــرضى وارجـــــعك بـلـدك بـكـره
وبص قـــام لقـــاها بتـضـحـك فـــرح وقـــال أهى ده البـشـرى
وقـــام يجـهـز ليـــهـا طعـام وشـراب دى ليلة مـعــتــبــره
يقـــوم ويرجع يلقى رجـــال ده مـا حـد مـعـهم فى السـفـرة
صـيـدنا الرفـاعى جـه سـاعى بحـــيـله وخـــالـت واللـه
دخل الرفـــاعى فى وسطيـــهم واداری فی العـمـه السـمـرا
وقـــال لهم قـــومـــوا حلوها دی عـــروســه وليـــه تأذوها
حنـوهـا يـا لـلـه وجـلـوهـا سلطاننا ها يشـــرف بكره
حل اليـــهـودى الشـريفـة قـصده خلاص يحظى بخضره
وقـــال لهـــا أنا حليـــتك مـــا هونتـيش علىّ بالمـرة
قـالت البـركـة فى عم السـيد وعم الرفـــاعى ســـاكن بصـره
قـام لمـا سـمع اسم السـيـد قـال المـصـيـبـه بقت حـره
وحلف بدينه اليـــهـــودى لا كـلـل عـليـكـى مـن بـكـره
وبالعند فـيكى وفى السـيـد فـرحى عليكى بعـد بكره
وإن كنتى خـايفـه من حـاجـة احنا مـا تفـرحناش العـذره [1]

١ - تعجب للفنان الشعبى (الأمى) الذى لا يقرأ ولا يكتب، كيف سبرغور الشخصية اليهودية..
ولكن لا عجب إلا منا نحن.. فنحن الذين انعزلنا عن معتقدات الجدود. يجرى الفنان الحوار على لسان اليهودى بما معناه: لا تخافى ان كنت غير عذراء.. فهذى الأمور.. لا تهم!!

وعندنا دبيح السلامة ناخد له من دم البقرة [1]
وقال عشانك ياخضرة حمل وعجلين وبقره
واحنا هانطعم م الخنازير ده أكلنا فى بلاد بره
ونده وجاب الجزارين وقال لهم يا معلمين
عايز اللحوم من كل سمين من صنف حنزير والبقرة
وأنت يا طباخنا (ياروبين) جهز كمان أكل الفقرا
وميتين غليون طافو بالروم يجيبوا المداعى بالكتره
مقدار ساعتين جت الغلايين من كل لحيه عليها غبره
وميتين غليون جم ملانين جايبين للمداعى خمره
وميتين طحونه وطابونه ما هى سرقه نازله كما النطره
وميتين قنطارم الزيت الحار اللى انوقدت فى ليلة خضرة
وميتين حصان يجروهم يلعبوا برجاس قدام خضره
وجاب لها سته عجايز يسرحوا ليها الشعره
وكل اتنين فى أيديهم مشطين واحد دهب والثانى فضة
اتنين ورا واتنين قدام وفوق كده وكده الماشطة
واتضايقت ندهت قالت صابر لامتى يا ساكن طنطا
صابر لامتى ياسيد موش طايقه اصبر لبكره
يا تنجدونى يا.. أهلك وأفن روحى فى حفره
حقه ان نسيتنى يا سيد ها تَشَمَّتوا فىَّ الكفرة

---

(١) هل تذكر رائعة سليمان الحكيم فى... الزانية، نفس العبارة. (ذبيحة السلامة) النذر الذى ينذره اليهود عندما يكونون فوق كل أكمة عالية وتحت كل شجرة خضراء يمارسون خصائصهم اليهودية !! الفنان الشعبى(الأمى) يعرف ذلك كله.

يارب غيثني، وارحم ضعفي   برجال الله، الأمرا
عم السيد صابه الحال   قاله اركب يا عبد العال
يا مشدودى لم الأبطال   لم التوابع والفقرا
شوف م الصعيد الجوانى   انده على عز اخوانى
عبد الرحيم القناوى   والفرغلى عمل الحضرة
والحاج حسن الأصوانى   اللهم أرض عن الأمرا
والمنياوى والطحطاوى   والجرجاوى يا رجال الله
ولاد المنيا جم بالعنيه   سيدى الفولى عمل الحضرة
ولاد أسيوط صاموا عن القوت   سيدى جلال اللى انشهرا
وسيدى الطشاش حالا مابطاش   ولم معاه توابع عشره
ولاد الصعيد جم من بعيد   حرب الجريد عمره ما يبرا
ولاد البهنسا رجال ونسا   قطعوا الفجرة والدم جرى
ولاد الفيوم فى يوم معلوم   سيدى الروبى عمل الحضرة
نزلوا الجيزة الصبحية   وقاموا كل الأوليا
يابو هريره إحضر هيا   والمقداد عمل الحضرة
وراحوا أمبابه للامبابى   الله يا معوِّم الصخرة
ومن مصر جونا الإمامين   والسيدة الست الطاهرة
ستى نفيسه وستى سكينه   ويا ست يانبوية نظرة
سيدنا الحسين جانا بألفين   زين الشباب دنيا وآخره
يا عم يازين العابدين   وحواليك رجال كلك عتره
طلعوا الجبل للعفيفى   ويادرديرى احضر يالله

يا أولاد عنان يا شــراقــوه   جم الضـيـوف يالله الحـضـرة
وكل الســادات الوفــائيـــة   جــونا بتــوابعــهم مــيــه
والست رابعـــة العـــدوية   والصــالحــين ورجــال الله
وابن الفــارض جــانا مطارد   نِفْســه يحــارب فى بلاد بره
وأبو الســعــود ويا العــدوى   لمــا الأنور عــمل الحـضـره
والمــحــمدى محــبوب النبى   لمــا الطبــاخ جانا بعـشــره
والســيــدة تقــول للعــتــريس   يامــشــدودى لم الفــقــرا
وأبو الريش قــوام مــابطيش   لَمْ الــدراويــش جـــوّه وبرّه
والســينيــة فــزعت هيــا   البـيــومى قــام حل الشـعــره
والكردى والخــواص جــونا   إرض يارب عــلى الأمـــرا
ياالله يا ســيــدى ياشــعــرانى   يابو الكتــبــا ويا الشــعــرا
وأبو العــــلا ســاكن بولاق   طب القــنديل ولم انكســـرا
وســيــدى سليم والســبــاعى   وسيــد الاخرس عــمل الحـضـره
والحلى جــه مــعــاه القللى   وســيــد فــرج بان واشــتــهــرا
ياســيــدى عــواض أحــضـر هيــا   وراحــوا قليــوب الصــبـحــيـة
واتــلــمــت كــل الأولــيـــــه   وسيدى صبيح جانا فى الحضرة
ياســيــدى نوار احــضـــر هيــا   راخــر جــانا مــقــدم عــشــرة
واتــلــمــت كــل الأولــيـــــا   عـــدوا ونزلوا ع الشــرقــيــة
ولاد الشـــرق زى البـــرق   ومـــقـــدمـــهــم رســول الله
ولاد مكــة عـــملوا بركـــه   فــاتو على جــده ركـبت رخــره
جم ع الســويس وقــالوا يا غــريب   والأربعــين عــمل الحـضــرة

وسـيدى صـالح جنب المـالح وفـيـه روايح مـسك وعـتـره
واتـلـمت كـل الأولـيـــة ع الشـرقـيـة الوسطانيـة
أولاد «صـبـوة» جم من حـوه أهـل مـروه جـوه وبـره
وأبـو مـسـلم ركـب الأدهم لمـا اتكلم خسـروا الخسـرا
والحـاجـة آمنة وأبـو هاشم وأبـو مـسـافـر عـمل الحـضـره
واتـلـمت كـل الأولـيـا نزلوا وراحـوا المنوفـيـه
ولاد مـنـوف ألـف وألـوف والشـيـخ زوين اللى اشـتـهـرا
وأبـو عـقـده حـلال العـقـده وسـيـدى الحكم واقف بره
تيـتـا وغـمـرين جم تمـانين وسيـدى أيوب حضـر الحضـره
يا سيـدى خمـيس احـضـر هيـا ياعم شـبـين يا بو سـمـره
والأربعـين وسـيـدى لاشـين والمـتـولى ركب الحـمـرا
وأبو قـفـه أهو حـاضـر الزفـه وأولاد عـرفـه جـونا عـشـرة
يا سـيـدى شبل احـضـر هيـا يا عم الشـهـدا يابو الأمـرا
شـبل الأسـود بطل مـعـدود قـتل (اليـهـود) بسيـف القدرة
ابن أبو الفـضل يا سـيدى شبل وعلى الطويل عـمل الحـضـره
على الطويل والسـحـيـمى انده على سيـدى عـبـد الله
وسـيـدى العـزب أو سلمـان من كـرامـاته لفع الشـجـرة
وقـالوا يا عـمى احـضـر هيـا وهات من تلا وياك عـشـره
واتـلـمت كـل الأولـيـا عـدوا وراحـوا اسكندرية
يابو العـبـاس احـضـر هيـا والأباصـيـرى بان واشـتـهـرا
وياقـوت العـرش عـمـود الدين اللـهم ارضـى عـن الامـرا

والقبـــارى والحـــجـــارى والمــؤزينى بان واشتــهــرا
والشـــاطبى وياه العـــجـــمى وأبو الدردار عـمل الحـضـره
وســيـــدى جـــابر الانصـــارى وأبو النور مـقـدم عـشـرة
واتــلــمـت كــل الأولــيـــــــه وراحـــوا دمنهــور البــحــرية
يابو الريش احـــضـــر هيـــا وسيدى الحصافى ركب الحمرا
والرملى ومــعـــاه الجـــيـــشى وأبو كـمـاجـا عـمل الحضره
واتـلـمـــوا كـل الأولــيـــة عـــدوا وراحـــوا البـــريه
يا سـيـدى محـمـد يا ابن حرية وسـيـدى سـالم ركب الحـمـره
احـضـر يا إبراهيم يا دسوقى ياللى صيـتك بان واشتـهـرا
وراحوا دميـاط لابو المعـاطى وعلى الصـيـاد اللى ظهـرا
وسـيـدى شطا ابن العـمـدة وقـــال لابوه أنـا.. م الأمـــرا
والمنصورة للشيخ حسانين والكنانى جـانا بعـشـره
وابن تمـيم فى المنزله فـوق كـان ندهتـه بألف وعـشـره
وابن ســـلام فى المطريه يا صـيـادين زينو السـهـره
وسيدى طلحه فى كفر الشيخ والبلتـاجى مـقـدم عـشـره
واتـلـمـت كـل الأولـيـــا تسـعـين ألف إلا مـيــه
قـــالوا له يا سـيـدى هيـــا انهـى عـدوه يجــار بكره
قـا السيـد احنا مسـافـرين لبنت شـريـفـه فى بلاد بره
قـالوا خليك مـرتاح يا سـيـد واحنان علينا نجيب خـضـره
بفـضـل الله ورســول الله وبســر الإله نفك الأسـرا
قـال السـيـد يا عـبـد العـال طاوعـتنى وجـبت الأبطال
يا عـبـد العـال جبت الأبطال اعـمـل يا عـبـد العـال قـهـوة

عبد العال دارى الضحكة — منين نقضيهم قهوه
أنهى أنهار وانهى أبحار — وانهو بن يكفى الفقرا
قام السيد من تحقيقه — حط التلقيمه فى أبريقه
وناولها للأشعشى فى أيده — وقال خد صب القهوة
الأشعشى لف عليهم — وكان يسقى كل الفقرا
اللى شرب قهوه بسكر — واللى شرب قهوه سمره
واللى شرب، شربه بيضه — واللى شرب شربات قطره
وكله من بكرج واحد — والبكرج فضل فيه القهوه
قال له يا شاذلى ماهيش كرامه — إلا أن قدرنا نجيب خضره
ياعبد العال يا مشدودى — روح قدامى بشر خضره
قال له أروح فين عمى ياسيد — والطرق كله (يهود) غفرا
عبد العال قال باسم الله — حط وشال على رأس خضره
يلقاها فى مقعد عالى — توحد حى مالوش تانى
قال صباح الخير يانسب غالى — يا محروسه باسم الله
قالت صباحين وعمك فين — قبل ما يجرى اللى ما يجرى
قال لها باعتنى أبو فراج — وانتى على البال وعلى الفكره
وجه (اليهودى) وقف بالباب — ودخل مشرور على خضرة
وابن الملعون ينفخ ويقول — ريحة (أغراب) يا خضرة
قام عبد العال قال ياباى — رح أموت فيل يا خضرة
قالت خضره يا عبد العال — خلى تكالك على الله
ياعبد العال جمد قلبك — ده المكتوب غصب بيجرى

يا ست الكل بشـــــراكى طب دانا عـــمى مكوع بره
ومـعـاه رجـال الله جـمـعـا وف ايد كلك جريدة خـضـرا
لمـا سـمـعت قـوله خـضـره طلقت رزغـروته مـعـتـبـره
قـالوا اليـهـود يا فـرحـتنا خـضـرة باين قـايمـه ترضى
أهى بتـزغـرت فـرحـانه والعريس بتاعنا عجب خضره
قـالو لهـا ياست الستـات ياعـود قـرنفل فى البسـتـان
بتـزغـرتى علشـان إيه كـان لأن دى أول مـــــــرة
قـالت بازغـرت فـرحـانة جـوزى شـايفـاه جـاى من بره
أنا فـرحـانة قـوى بجـوزى عـاجـبـانى سـحـنتـه الغـبـرة
لمـا سـمـعـهـا (اليـهـودى) نط ورقص كـمـثـل مـرة
ورجع يمـشى ويتـمـايل خـطوه لقـدام وخطوه لورا
وأم الملعـون ترقص وتقـول آنسـتى ابنى يا خـضـره
وعندى غـيـره أولادى كـتـيـر خدى اللى عينيكى عليـه ناظره
قـالت لهـا غـورى وانسـمى يقـطع ابنك وأمـه رخـره
عـديهم وأحـسن لمـيـهم شـوطه تجى لك فـيـهم بكره
أنا جـانى هنا عم السـيـد يضـرب واحـد يرمى عـشـرة
قـال «اليـهـودى» هاتوا رمـال لأجل أعـرف أنا ضحكة خضرة
بقى لهـا زمـان وهى عندنا مـاضـحكتـشى ليـه ولا مـره
اشـمـعنى النهـارده بتـضـحك يمكن هيـه عـامله مكره
راحـوا اثنين وجـابوا رمـال علشـان يكشف نيـة خـضـره
رمـال من أهل زمـان يضـرب رملـه فى السنة مـرة
وقـال له اضـرب يارمـال وقـول لنا ع اللى هايجـرى

يا رمال اضرب لى الرمل وشوف لى الفال
احسب اسمى واحسب نجمى بسرعة أمال
واحسب لى اليوم ما عليه لوم أنا بختى مال
واحسب لى الشهر هل زى الدهر ده أنا دمعى سال
اضرب رملى يالله وقول لى وشوف لى الفال
قول لى على فالى إيه راح يجرى لى وشوف الحال
آدى اليهودى ضرب رمله وحط وشال

سيدنا الرفاعى لخبط غزله
والعيساوى يهدله أمله
الكيلانى زود خبله
الدسوقى بعزق رمله
آدى الرمال مال عقله

إيه رمال ما تقول — أمال وتشوف الفال
هو جرى أيه وساكت — ليه أنا ها عطيك مال
قال الرمال أنا عقلى — اندار والفال منشال

* * *

الله الله يابدوى — وجاب اليسر
أقولك أيه واعيد لك أيه — أول خراب بيتك بكره
ما انتاش نافع (بالمدافع) — جالك السيد حامى طنطا
طنطة مين يارمال الشين — قول حد وجاى لنا من مالطه
الرمل ناطق بيقول لى — بلدك مليانه (من الفقرا)
علو الحيطان، سدوا البيبان — البدوى شيطان يخطف خضره
قوموا غفَّروا واتْنَحْرَروا — ده ملك الموت واقف بره
قال له اللعين بتخوفنى — ده أنا (عسكرى ألفين كره)

ده أنا لما أسكر واتعافى   يتملى زندى ويضرب عشره
دخل اللعين ع الخمارة   شرب عشرين قزازة خمره
وهاتوا سيفى وياحصانى   لازم أحارب فى الفقرا
سحب الحصان وجاى فازع   لقى السيد كوع بره
قال له يا راجل عامل كده ليه   ومال كرشك طالع بره
قال له اخرس ده أنا البدوى   أحمد جياب اليسرا
قال له اتعدل وحاربنى   يا أقرع يا خطاف الأسرى
قاله أنا ما أعرفش أحارب   إلا فى الفت وذكر الله
لكن يا يهودى أحاربك   أحاربك بالجريدة الخضرا
قام (اليهودى) استهتر به   قال له اضرب على دراعى عشره
وان قلت آه من العشره   يبرى لك الذمه فى خضره
لكن اتعدل يا سيد   ده أنا اللى لك وعد وحسره
خد من يمينى واتلقى   خدها السيد ورماها بره
وتانى حربه ويا التالته   ظهر أنه (عسكرى) فى (المعره)
وقال له انعدل لى يا يهودى   يا ربابة الزور والفشرة
ولم حرايبك وسيوفك   ثبت أنها زيك عره
واحمى ضلوعك بدروعك   دى زرع مصر جريده خضره
قام اليهودى مد دراعه   قال له اضرب على دراعى عشره
قام ضربه السيد فى دراعه   خلا دراعه مايل لورا
صرخ (اللعين) آه يا دراعى   طعناتك يا أقرع لم تبرا
وطلع هربان دخل (الديوان)   وقال امسكوا ده يا قفرا
آدى (اليهود) جت ع السيد   زى الجراد المنتشره

حط دلقــــه على الجـــريده ... وقال له يا دلق حاربهم ياالله(١)
يـا دلـق اســـــوح واطـوح ... مـــا فى يهـــودى يهـــرب بره
والـلـه يا دلق ان غلبـــوك ... يوم القـيـــامـــه اشكيك لله
الدلق هاج ومـــاج فـــيـــهم ... شـــوطه ونزلت فى الكفـــره
يا رياح شـرقى يا رياح غـربى ... يا حـــجـــاره نزلت كـــالنطره
لمــــا قـــامت كل الأرياح ... اندارت روســـــهم بالمـــره
قـال (هبليـه) خرقـوا عينيـه ... مـــا خلونيش انظر خـضـــره(٢)
ومـــــد ايـده الـطـنـطـاوى ... وشـال الشـريفـه المـعـتـبرة
وابوها من يومـهـا مـا نامـشى ... ويبص يلقـــاها خـــضـــره
جـابوا الدايات كشـفـوا عليـهـا ... لقـــوها بنت بخـــتم الـلـه
الله عليك عم يا ســـيـدى ... تستـــاهل الراية الحـــمـــره

***

وواضح من الرمز، أن روح مـصـر، هى النجـدة الأبدية للوادى الأخضر، وفى كل عصر يرمز إلى روح مصر بمعتقدات المصريين الأصيلة، وهى «الوطنية»، و«الدين».

---

(١) الدلق - ملابس الصوفى الخارجية يقابل بها الدنيا (الخلق)

(٢) يظن غير الخبير بالفن الشعبى، إن كلمة (هبلية) مجرد اسم ساخر، مشتق من (الهبل) كتعبير عن هذا (الأهبل) الذى توهم أنه قادر على مقارعة (روح مصر) التى يتمثلها فنان الشعب فى العصر الوسيط، فى أوليـاء الله .. والدراويش ولكن بعد الذى مر بنا من ثقافته التى لا تضاد بينها وبين عدم الإلمام بالكتابة والقراءة، نعتقد أنه يقصد «أهوليبة» بالنطق العامى .. أنظر بداية الفصل العاشر

نشيد الختام

"الحمامة البيضاء لها عش صغير .."

"وللثعلب .. وكر ...."

"وكل إنسان .. له وطن"

"إلا اليهود .. فليس لهم إلا القبور" ..!

الشاعر لورد بايرون

بعد النكسة، عاد عن طريق الصيب الأحمر، كثيرون من الموظفين المدنيين العرب من البلاد المحتلة بفلسطين وكان همى أن أسأل بعض من لى بهم صلة، عن فرحة اليهود وعن ترجمتهم عن هذا الفرح بالأغانى الشعبية، فسمعت:

«شالوم، شالوم

خَدْنا غزه، فى ليلة ويوم»

وأدركت فورا أن تلك الأغانى، تفجرت على ألسنة يهود اليمن، والمغرب، وفلسطين، لأن الايقاع الموسيقي لها مأخوذ بالنص من الفولكلور العربى، المتشابه فى كل أمم العرب فى مثل هذه الحالة النشطة بالفرح والارتجال، ومنها فى مصر، الفولكلور الذى سرق منه اليهود نفس الاستهلال الكلامى

«سالمة يا سلامة»(١)

وذلك لأن «شالوم» بالعبرى، معناها «سلام .. أو السلام» أو «السلامة».

(١) (سالمة ياسلامة) من ألحان عبقري الغناء القومى «سيد درويش» وهو لحن (مُفَلكَر) أى أنه لحن مقام على الأسس الفولكلورية لأنه هو التهذيب النغمى للحن وضعه الشعب هو (عطشان ياصبايا)

وذلك يدخل فى باب التقليد والسرقة يا بنات اليهود ..

الفولكلور اليهودى شئ غير ذلك يا بنات اليهود.

الفولكلور اليهودى عندى، وتحت يدى، وهو سُبَّة فى جبين الإنسانية جمعاء يا بنات اليهود ويا نساء اليهود.

إن «لاماس» الكبير، وابنه «لاماس» الصغير، ومن قبل غيرهما من جامعى «الفولكلور فى أمريكا» أقصد (الولايات المتحدة). قد ذكروا لنا الكثير من الفن الشعبى اليهودى السايح فى شرايين أجسادكن يا عذارى صهيون .. الزارعات.

Shilling, shilling
I want shilling
If you are read
I am willing.

الله، الله، على هذا الكلام السداح مداح

«شلن، شلن»

«أنا عايزه شلن»

«ولو أنت مستعد»

«أنا .. جاهزة ...»

هذا هو الأدب الشعبى اليهودى «العبرى» الذى يُعبِّر عن حقيقة الشخصية اليهودية، أكثر من الأدب العبرى الذى يدرس فى الجامعة العبرية.. التى افتتحها لهم اللورد «بلفور» صاحب الوعد!

والسؤال: هل يا ترى هذا «الشلن هو الذى كان فرضه الأديب المجرى «هرتزل» على كل يهودى، «كاشتراك فى السنة» ليساعد به الدعوة الهرزلية لإخراج اليهود من «عارهم» الذى تسبب لهم فى الأذى من الأمم الأوربية التى ساكنوها، غشا وتدليسا وخيانة.. أم أنه..

دعننى يا بنات صهيون، هنيهة، أصوِّب خطأ لمحت إمكان وقوعه، فقد يظن بنو قومى أن هناك شيئا اسمه الادب اليهودى، بعد اتضاح أن هرتزل أديب..وهرتزل هو أكثر من يهودى، وأكثر من صهيونى، لأنه داعية الصهيونية - كما يقولون - وباعثها.

أما أنه أديب، فنعم، وأما أن أدبه كأدب يهودى، فكلا وتبسيط ذلك - حتى لا تستمر الدهشة - راجعة إلى أن هرتزل من مواليد المجر، عاش وتربى، وراهق كل سنى الصبا والشباب، فيما بين

المجر والنمسا أى أنه نشأ وتربى في محيط غير يهودى، فى محيط مسيحى غنى بالثقافة المسيحية العامة، وبالثقافة المسيحية القومية للنمسا، إمبراطورية ذلك الوقت والأوان، وهناك قانون اجتماعى، من مكتشفات «انجلز» هو قانون عوامل التكييف الجدلية، الذى يقول بأن «المادة» تتكيف، وتتشكل، وتتغير، جدليا، من تلقاء ذاتها بحكم تأثير المجتمع المحيط بها عليها، وتأثرها به، وهذا القانون، هو الذى بدد الدراسات، هذا الحجم بالايمان الذى كان لقوانين الوراثة، والأمثال المضروبة حول هذا القانون، كلها صحيحة، سواء فى الانسان، أو فى الحيوان.

فلو أنك أخذت طفلا وليدا لقبيلة زنجية، وربيته بين أسرة انجليزية فإن العوامل الاجتماعية، التى ستحوله إلى الجلنزة، ستكيفه إلى فرد انجليزى، جدليا، ودون أن يتدخل أحد، وعندما يشب عن الطوق، ويذهب إلى أهله بعد ذلك، فسيحس بأنه (غريب) عن أهله، بيد أنه كان يحس بأن لا خلاف بينه وبين الانجليز إلا فى اللون، والسمات.

كذلك الحرباء، انها تأخذ لون التربة التى تعيش فيها، وحيوانات الأصقاع، يتكون بها خلقيا ما يمكنها من العيش فوق الجليد وتحته، ولا يتم تكوينها الفسيولوجى، إلا طبقا للحوار الطبيعى، والأبدى، بين احتياجاتها للحياة، فى هذا الطقس، وبين الاستجابة لهذه الاحتياجات.

إن هذا القانون، هو الذى ألهم الطفل هرتزل، هذا السمو فى المشاعر، الذى جعل منه أديبا، بفعل المحيط النمساوى الذى عاش فيه، ودرس وقرأ، فصار محاميا، ثم كاتبا صحفيا، فأديبا يؤلف الروايات الأدبية والمسرحية ..

وهذا المحيط العربى الكبير، الذى يحيط بإسرائيل، فى الداخل وفى الخارج، هو محيط عربى، لا يمكن اليهود فى اسرائيل، من أن يخرجوا عليه، فإذا ما تفجروا بفن شعبى، كان على الأسس والقواعد «العربية الشعبية».

إن اليهودى، الذى يتكيف بالثقافة الاجتماعية القومية، للأمة التى ينشأ بها، وهو طفل، قبل أن تتم ادراكاته العقلية، ويمسه الفن فى هذه السن المبكرة، يصبح الفن جسرا هائلا، بعد أن يكبر، بين مدركاته وإحساساته، وبين اليهودية.

وقليل ما هم هؤلاء اليهود الذين ضغط المد الثقافى والفنى القومى فمس قلوبهم وهم بعد صغار ...

أما بقية يهود العالم، فكيميائيون، ورياضيون، وتجار، فإنها علوم لا تحتاج إلا للملاحظة، ولإدمان الملاحظة والتجارب، لتوظيف الذاكرة، ولا علاقة لهم بعبقرية القلب، الشعر، والموسيقى، والأدب، وفنون الحضارة، فتلك أشياء مضادة، لطبائعهم، ولوجهة نظرهم اليهودية.

وهم أساتذة الكيمياء العلمية، والكيمياء الاجتماعية، أى

التسول، ومد الايدى بالفطرة والموهبة.. وفى أمثلتنا نقول، «الشحاته كيميا».

أريد أن أشبع النظرة، بمثال هرتزل، فإنه خير مثال، وأنا لا أريد بذلك أن أقنع اليهود، فأنا أعلم أن اليهود، وضعوا مع «العهد» فى التابوت، «المنطق» و«الاعتقاد» و«الشرف» واستراحوا من الفضائل وهموم البشر ..!

عاش، هرتزل، محنة اليهود فى فرنسا، أثناء محاكمة «دريفوس» وفرنسا كلها هائجة مائجة (ضد اليهود الخونة) وجذبت المحنة بين اليهود، الذين لا ينجذون إلا لرد فعل محنة أو مصيبة، أما «الجاذبية القومية» التى تجذب غيرهم من كل أجناس الأرض، وتملأ قلوبهم وأرواحهم، بهذه المشاعر الدافقة من السعادة، فإن اليهود لم يعرفوها.. حتى وهم الآن، ولأول مرة، يشعرون ولو وهما وتخيلا أنهم أبناء قومية واحدة .. هى اسرائيل ..!!

وأصبح الأدباء الثلاثة، النمساوى المجرى، هرتزل، والفرنسيان اليهوديان الآخران، الدكتور ماكس نوردو، واميل زولا أصدقاء.

كان على الثلاثة، أن يتخذوا قرارا، إما أن يعترفوا بالعار، وبأنهم من أهل العار، وأنهم يهود، وإما أن يتبرأوا من اليهودية الخائنة المركولة فى كل قومية بأحذية المهانة والاحتقار.

وأصابت المحنة، ثلاثتهم، بالشيزو فرينيا، بالانفصام، بازدواج الشخصية الجاهزة للانفصام، باليهودية المستقرة فى الأعماق، ثم

بالقومية الأوربية، النمساوية أو الفرنسية فى السلوك الاجتماعى، هذه الشيزوفرينيا التى يمكن أن نعبر عنها بالانفصال الكيانى.

وطغى اليهودى فى كل منهم، على الأديب، استجابة للدفاع عن الأصل .. عن الأسلاف .. وانبرى كل منهم لعمل ما، لخدمة قضية الأسلاف، للدفاع عن العار.

وكتب هرتزل كتيبا سماه «دولة اليهود» راح يبحث فيه بأسلوب الأديب عن حل للمشكلة، وانتهى فيه لأقرب الحلول منطقاً وواقعا من وجهة نظر اليهود، وهو وجوب انشاء دولة لليهود، لفائدتهم.ولفائدة العالم كله، وكان هرتزل أعلم بقومه، من أنهم أبعد الناس، فى حقيقة الاعتقاد، عن الدين، فأقر فى كتيبه أن مشكلة اليهود ليست مشكلة دينية.

وطالب الحكومات الغاضبة على اليهود، وهى حكومات قادرة على التنفيذ، أن تهب اليهود رقعة من الأرض، أى رقعة.. فى أى مكان .. لينشئوا عليها دولتهم، حتى يكون ذلك بمثابة امتحان لهم.. ذلك لأن (عوامل الاحتكاك) الاجتماعية .. الاحتكاك بين أهل البلد وبين مساكنيهم من اليهود، ستمحى لانعدام أسبابها.. ويبدأ اليهود فى إثبات أنهم أهل لأن يكونوا أصحاب وطن قومى.

ثم تلا ذلك بأن أصدر نشرة لون ورقها أصفر، بلون العار .. يدعو فيها إلى انشاء وكالة يهودية تحضر لعناصر المشكلة اليهودية وحلها..

وعَقَدَ اليهود الممثلون ليهود العالم أول مؤتمر لهم فى بال بسويسرا ١٨٩٧، وتم فى هذا الاجتماع مولد الحركة الصهيونية، نسبة إلى صهيون أورشليم .. أى إلى صخرة القدس.. تمشيا مع خطوط النبى داود فى بناء هذه الدولة أول الأمر، ومع أن النبى داود أكمل أعمال حكام اليهود من سلفه فى الاستيلاء على المدن والقرى والبرارى الفلسطينية، إلا أن المؤتمر لم يشر إلى فلسطين، لا من بعيد ولا من قريب إلا فى تشجيع امتلاك أملاك فى فلسطين، أما أهم ما دعى إليه المؤتمر فهو العمل على أن يحصل اليهود على تأييد من الحكومات للحركة الصهيونية بوصفها العاملة على إراحة الدنيا من اليهود.

وفى المؤتمر الثانى الذى عقد فى نفس المكان، تم جمع المال لانشاء بنك يهودى يخدم أغراض الحركة الصهيونية والوكالة اليهودية، وتعددت المؤتمرات التى انتهت بمطالبة يهود انجلترا من أعضاء الحكومة البارزين أن يمنحوا اليهود قبرص أو سينا المصرية، وانتهت المشاورات بين اليهود والحكومة الانجليزية حتى تم موافقة بريطانيا على إعطاء اليهود مستعمرة فى شرق افريقيا، وأقره هرتزل، ووافق عليه، ودافع عن فكرته فى آخر مؤتمر حضره عام ١٩٠٣ إلا أن يهود العالم، وليس الصهيونى هرتزل، هم الذين رفضوا أى مكان غير.. فلسطين.

أحب أن يعى هذه الحقيقة، كل هؤلاء الذين يطيلون مد أعناقهم

من ياقاتهم وهم يتحدثون عن الفرق بين الصهيونية وبين اليهود.

والحقيقة حيث ترى، اليهود هم الذين أصروا على إعادة تجربة النبى داود فى فلسطين، وليس هرتزل وتجربة النبى داود التى رمز لها بالصخرة من أول يوم مَسّت قدمه بها أرض يبوس (أروشليم) هى المرموز لها بالصهيونية. أى بالصلابة الصخرية والاستماتة فى التمسك بالوعد الإلهى لاسرائيل أبو يهوذا وبقية اليهود بأن يسكنوا أرض فلسطين التى تفيض لبنا وعسلا.

مات هرتزل وأصدقاؤه والمقربون منه يدافعون عنه على الرغم من أنه أعطى لهم الرموز والشعارات من صخرة داود (صهيون) ومن نجمة داود، ما جعلهم يكذبون على العالم بأن فلسطين كانت فى الأصل دولة يهودية، وأن العرب هم الذين اغتصبوها، إلى أن جاء الرومان، فطردوا منها الاثنين..!!

كذبوا ما شاؤوا، ولكن الشعب العربى الذى كان مغلوبا على أمره بحكومات استعمارية، كان يراقب، ويتأمل، ويستبْطِن.

فى المثل الشعبى يقال: الذى ربى خير من الذى اشترى، والعرب هم الذين ربوا اليهود فى الزمان القديم، عجنوهم وخبزوهم، هذا الشعب العربى، الذى يضرب الأمثال فى الدنيا على أنه وحده الوصى على كل ما تنعته البشرية بالفضائل والتحضر، لم يكن الدين عنده شفيعا لأن يتقبل الاستعمار العثمانى، مهما كان السلطان التركى خليفة المسلمين، بل كان الشعب العربى دائما إلى جانب الحرية،

مشعلا الثورات ضد الاستعمار العثمانى فى كل بلد عربى.

ولم يصفح الشعب العربى، عن الاتراك، إلا يوم أن وقف السلطان عبد الحميد، وقفته العنيدة ضد اليهود، فى أن يمكنهم من تحقيق أحلامهم فى فلسطين.

استبطن الشعب العربى الموقف الواجب ضد العدو التقليدى «اليهود» وانتظر حتى جاءت الساعة التى يقول فيها رأيه.. غناء من الوجدان الشعبى.

وكان هذا اليوم، يوم أن وقعت الحرب العالمية الأولى وانضمت تركيا إلى المانيا، وانخرط اليهود، متطوعين فى جيوش الحلفاء.

خرج الشعب العربى يودع جيش المانيا وتركيا، ضد اليهود وأحلافهم، أو ضد الاستعمار وذيله اليهودى، والشعب يغنى عام ١٩١٤

«ومع السلامة»
«يا تركى وألمانى»
«ومع السلامة»
«للى راح ولا جانى»(١)

وقبل أن تضع الحرب أوزارها، وكان ذلك عام ١٩١٧، حصل اليهود، على وعد بلفور، الوعد الحقيقى، الذى مَكّن اليهود من

(١) هذا اللحن من الفولكلور المصرى، كله شجى، وحنين .. وتمنيات، وهو من الألحان التى صاغها الاستاذ عبد الوهاب، أخيرا، صياغة رائعة لكلمات (يا حبيبى مهما طال عمرى معاك)

اللعبة، لأنه باطل، مأخوذ عن باطل الأباطيل، الاستعمار، بعد أن «شد (وايزمان) أزْر بريطانيا فى وقت المحنة، وساهم فى تحقيق النصر، فترك أثرا لا يُفنى فى خريطة العالم.. ؟! كما جاء على لسان لويد جورج فى مذكراته.

***

وكانت فرصة للتلمود أن ينشط ويتجدد، وأن يضاف إليه من أقوال الحاخامات المأثورة ما شاؤوا.

والتلمود كتاب أودعه اليهودُ أنفسهم رأيَهم فيما كان يجب أن يكون على غراره كتابهم المقدس، وما يجب أن يلتزموا به فى المعاملات بينهم وبين أنفسهم من ناحية، ثم بينهم وبين الجوييم (الأغيار) من أمم الأرض.

ولقد قرأت من التلمود نسخا متعددة، فى عصور متفارقة، فإذا بالحاخامات، رضيت الدنيا عنهم وأرضتهم، قد صنعوا منه ثلاجة مبادئ لتحفظ لليهود على مدى الاجيال شريعتهم المختارة، وهى شريعة تتناقض فى كل كلمة مع شريعة موسى، ومع العهد، ومع التوراة، ويكفى لأن تقرأ عبارة واحدة من التلمود، لتوقن من ذلك.

«ثواب الحياة فى فلسطين، أرض الميعاد، يعادل ثواب طاعة الرب فى كل ما أوصى به موسى»!

***

والآن، وقد بينّت لقومى حكاية اليهود، جملة وتفصيلا، فإنى أرى الحل للنهاية أوضح من ضوء الشمس.

الوحدة العربية سلاح ماض.

إن الوحدة اليهودية فى كل بلاد العالم، حقيقة، وحتى لو ظهر لنا منهم بعض من مسحت فى قلوبهم وضمائرهم عوامل التكيف الجدلية فى (الأسر والعائلات) التى يعيشون فيها، فإن ذلك الاستثناء لا يجب القاعدة الجهيرة، وهى أن اليهود وحدة، وأنهم يملكون رأس المال التجارى والاستعمارى فى الدنيا، وأنهم مُسَلّطون على أجهزة الإعلام والنشر فى معظم الأمم، وأنهم باختيارهم، ودون ما مواجع فى القلب أو الضمير قد وضعوا نساءهم فى الصفوف الأولى حتى فرق اليهود فى الحروب التى ضُمّت إلى الحلفاء، كانت تضع فى الاعتبار أن (تجند) الترفيه العلنى لجنود الحلفاء ... منهن ..!

الوحدة العربية ضربة لازب، فلا يندفع عربى بدافع الحضارة الكاذبة ويمشى فى سبيل الحل خطوة على حساب الحق العربى، والمصير العربى، والوجود العربى، كما فعل ذات يوم، وزير من دولة شقيقة، بعد الحرب العالمية الأولى، وقال فى مؤتمر الصلح فى ١٣ فبراير ١٩٢٠ «ولما كان الـ ... قد قاسوا من الآلام ما قاساه اليهود، فإنهم يتركون لهم (أى لليهود) أبواب فلسطين مفتوحة المصاريع، وليأت إليها كل من عانى الاضطهاد والعذاب، ... ولتمنح استقلالا ذاتيا، على أن تنضم إلى ... فى اتحاد فيدرالى»

إن العرب يتحملون مغبة أخطائهم فى التعامل بشرف المتحضر مع الشخصية اليهودية التى وصفتها التوراة بأنها (فريسة متوحشة) ومع ذلك، فإن من هذه الاخطاء ما يعتبر وثائق شرف عربى فى تاريخ نضالهم، يدفع عنهم تهمة التعصب الدينى التى يحاول أن يلصقها بهم بعض أعداء العرب وعشاق اليهود فى أوروبا وأمريكا.

من تلك الأخطاء العربية التى تعتبر وثائق ارتفاع على التعصب، ما كان يلقى بين جماهير مصر على مسارحها فى ثورة ١٩١٩، ومن ألحان العبقرى سيد درويش، حتى أنشدتها الجماهير فى لقاءات الأزهر بقيادة أعلام الأديان الثلاثة:

«إن كنت صحيح بدك تخدم»
«مصر أم الدنيا، وتتقدم»
«لاتقول نصرانى ولا مسلم»
«ولا يهودى يا شيخ اتعلم»
«اللى أوطانهم تجمعهم»
«عمر الأديان ما تفرّقهم»

كلام غال، وعظيم، وحق من الحق، ولكن ليس مع اليهود.

لابد أن تختلف النظرة إلى اليهودى من اليوم، باعتباره جرثومة الشر الاجتماعى التى تعوق التقدم الانسانى وحضارته.

ولئن كان من وثائقنا أننا لم نقم لهم (مذبحة قومية) كما أقامتها لهم أمم كثيرة، على سنين متفاوتة فى القرن التاسع عشر، والعشرين

فإن تاريخ مساكنة اليهود للأمم العربية فى الشرق، تثبت أن الانسان العربى فى كل الشعوب العربية، قد التزم الشرف العربى، بل والتزم حدود الدين، فى معاملة اليهودى، معاملة انسانية، كريمة، على الرغم من أنهم يدركون دوره التخريبى فى المجتمع، كمرابى، وصاحب بنك رهونات متنقِّل، ومحتكر تجارة، وآخذ باليمين وبالشمال.

وأعود وأكرر لأركز على فهم الشخصية اليهودية، التى تحمل تناقض هزيمتها، فهى فريسة متوحشة.. أرنب بعنقه عرف كعرف الأسد، وأنيابه سامة، كالأفعى، وبأقدامه ويديه مخالب حادة، ولكنه أرنب .. فريسة متوحشة.

إن الذى يعى ذلك جيدا، يمسك بيده تناقض الشخصية اليهودية، فاليهود اذا لبسوا فى أيديهم دبابات، وفى أقدامهم غواصات، وفى رؤوسهم صواريخ، يحسبهم الرائى محاربين، وشجعانا، ولكنهم، فى الحقيقة، محاربين مُصَنَّعين، قد أخفت (الأرنبية) فيهم، دول الاستعمار وجعلتهم يظهرون فى صورة الأسد.

فإذا ما وقفت لهم بالمرصاد، وصمدت، ثم صمدت، ثم زحفت إليهم وئيدا، وبدراسة لا يغيب عنها هذه الحقيقة عنهم، سقطت هيئة الصنعة، العرف والأنياب والمخالب، وجرى أرنبا لا يلوى على شئ.

تفسير ذلك، أن اليهودى، لا يزعجه قدر ما يرى نفسه فى حرب طويلة.. إن الحرب الطويلة تهز فى نفسه حقيقته التى يعرفها عن

نفسه، وهو لذلك يعتمد على المفاجأة، وأن يأتيك بغتة، ليضرب ضربة هائلة، أنه بذلك، لا يُنَفِّذ خطة صالحة للحرب وحسب، وإنما هو يفعل ذلك، بالدرجة الأولى من الأهمية، لأنه يريد أن يضرب فى اللحظة التى يحس فيها بأنه قد أصبح (وحشا) قبل أن يسقط منه الوحش وتتبدى الحقيقة.. الفريسة.

إن هذا الشعب الذى زعم عن نفسه أنه شعب الله المختار، وأنهم هم فقط الأولياء لله من دون الناس أجمعين، كذابون، لأنهم لا يؤمنون بالله، ولا بالبعث والنشور، وأن الحياة الدنيا هى كل شئ، ولا دار آخرة، ولا جنة ولا نار، هؤلاء الملاحدة بالغريزة، وبالغباء، وبالاختيار، حبا فى عجل الذهب، وارتماء فوق كل أكمَة عالية، وتحت كل شجرة خضراء، هؤلاء الكذابون بادعو الدجل والرياء مدمنو الوقاحة، والخسة، والانطلاق مع الرذائل فى ملاحم الاستيريتيز العارية.. يخشون الموت، ولا يحبونه، ولا يؤمنون به، وبينما العربى تاريخه كله عشق الموت حماية للدمار، وفداء للأهل والأوطان، وبينما رجل الشعب ينطوى على عقيدة مصمتة شماء هى «النار ولا العار» بينما تجد اليهودى.. يفر من الموت لاطمعا فى النجاة، وإنما تعلقا بالحياة، أى حياة.. ولا شئ عنده اسمه الحياة الشائنة الخسيسة بعد أن دفن فى التابوت، العهد، وكل الفضائل الانسانية.

يقول لهم الخالق سبحانه، فى تحدٍ «تحدٍ أبدى» إلى آخر الزمان،

وليس أعرف بهم من الخالق.

«قل يا أيها الذين هادوا، إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس، فتمنوا الموت إن كنتم صادقين».

صدق الله العظيم

***

وإذن فلياليـنا الساهدة، المأخوذة بالأرق الشديد، والتى لا يطلع فيها نهار إلا وهو ظامئ، شديد الظمأ لشئ ما، هذا الشئ، هو صيانة حريتنا، وحراسة السلام فى بلادنا، بالشئ الذى دفعنا إليه الأعداء مجتمعين، وهو الحرب، أو أن يأخذ اليهودى نفسه فى هدوء، ويتسلل بليل، واضعا عصاه على كتفه، ويرحل ..

ولكن هل يفعل اليهودى ذلك؟

لا يحلمنّ أحدنًا بذلك، بعد هذه الدراسة لشخصيته

اليهودى مفطور على الذل، إنه ليس كالعربى الذى لا يبيت على ضيم، العربى صاحب كيان، وله وجود، كيان روحى، ووجود ثقافى، ومن عناصر تكوينه، الأنفة، والكبرياء، واستعداده للتنازل عن حياته، بشمم، فى سبيل خلود الذكر.

إن الذل والضيم هما صَفيّا اليهودى، وصديقاه، ومسام نفسه مغلقة ضد كل حجة، وكل تأنيب وتلويم، وقدح، مثلما وصفته التوراة «صلب الرقبة» وسيظل يحسب نفسه وحشا إلى أن تعريه من الجلد

الاستعمارى .. ويظهر أرنبا على حقيقته.

وثمة رأى، أسوقه مطمئنا. ذلك أن «الحماسة» لا مكان لها اليوم، فالحماسة كانت للاستنفار .. وللنداء .. وللتجميع، بل إن مصاريع الشعر ذاتها تتفق كثيرا مع حركة الفارس، راكب الحصان الابيض، وتتسق مع كر الحصان وفره، ومن ذلك كله، الحماسة، والفروسية، وما يعتمل بقلب الفارس من شيم، تدفعه إلى حماية الديار.. وصيانة الحمى .. وخوض لعبة الموت لواحدة من اثنتين.. إما الصدر فى الحياة .. أو القبر.

لنستبدل بالحماسة، الاقتناع، وإشاعة الاقتناع فى كل النسيج العربى، فالجيوش فى عصرنا، وخططها، تختلف فى انطلاقتها مع خطط الحماسة والحصان الابيض، فهذه الاخيرة أشبه بلعبة التحطيب، أما اليوم، فنحن أمام رقعة من الشطرنج، ما أوفق التفكير الهادئ لها، والصبر، والعزيمة، والاقتدار فى ألا يكشف ملاعبك أسلوبك، على الرغم من أن الحماسة ستظل داخلك، تحرك قلبك بالنبض، وشرايينك بالحرارة، وجوانحك بالتقلص مرة، وبالانبساط أخرى، ويراك الرائى فلا يرى فيك.. الا هدوءا عنيدا، وصبرا على موعد الانتصار مهما تأخر الوقت. وعندئذ نكون قد وضعنا نشيد الختام.

أما نحن، بعد الانتصار، المؤكد، الهادئ، الذى نراه رؤية العين، فسنعود لأناشيد السلام.. على لسان أطفالنا، ولن نغنى كذبا..

«شالوم شالوم. خدنا غزة فى ليلة ويوم».

بل ولن ننشد مزامير داود ونقول يا حالوللى يا حالوللى

«هللويا هللويا» فذلك كله هو التعصب، والعنصرية، أما العرب، الأوصياء على الحضارة البشرية، حضارة التقدم الانسانى والسلام، فهم، وهم المنتصرون، أهل صفح ومغفرة.. وسيغنى أولادهم، رغم كل هذا الوراء المتعمد الوقح..

«يا اولاد حارتنا»

«توت توت»

«انتو نصارى»

«ولا يهود»

سنعتبركم دائما موجودين فى حارة الحياة.. فقط، فى حارة غير حارتنا يا أمة الاستربتيز.!!

إن الحرب بين العرب واليهود ليست حربا دينية، وإنما هى حرب وطنية، حرب تحررية، والأصدقاء للعرب يخوضونها معنا، ليس بدافع الحق وحده، وإنما أيضا، بدافع الاقتناع بأن اليهود هم أصحاب المفاجأة المذهلة فى الخروج على الارتباطات، والمذاهب، والعهود.. بعد أن تخصصوا فى الخيانة

انظر إلى «رومانيا» الدولة التي تزدهر فى كنف الكتلة الشرقية وما أن جاء موعد التصويت فى القضية حتى أدلت رومانيا بصوتها ضد ... العرب

كيف ؟

لأن الدنيا كلها ظنت أن يهود رومانيا، أصبحوا بفعل الدولة الاشتراكية، ومناهجها، ودراساتها، قد تحولوا إلى مذهبيين.. لا ينظرون الا للعقيدة الاجتماعية الجديدة. وإذا بهم مجرد ..«مذهبجية»!! كورس يهودي، ليردد وراء ماركس.. يا ماركسية يا ماركسية.. وإذا تليت على المنابر أغنية اليهود.. صاحوا من قلوبهم .. يا يهودية ياه..

على العرب، وأصدقائهم، أن يبددوا الخيالات والظنون حول اليهود.. فقد وضح اليقين النهائى بحقيقتهم، أفرادا، وجماعات، وقوميات !!

كان الفنان الشعبى، الذى أحب أن يفرد ملحمة ليوم ذى قار. اليوم العربى الذى انتصر فيه العرب على العجم، كان على حق بإقحامه (صاحب حصن خيبر) فى القصة ويوم ذى قار، كان أول أمره بين العرب (النصارى) وبين كسرى، ثم انضم «العرب» فى قوميتهم العربية، نصارى ووثنيين، إذ كانت الموقعة قبل الإسلام، وتوحدوا فى وحدة عربية ضد أقوى أمة فى الدنيا فى ذلك الزمان .. فارس

شاء الفنان الشعبى الخالد، أن يضم العدو التقليدى إلى المعركة ضد العرب، دون داع، فابتدع شخصية صاحب الحصن، اليهودى، ليوقفه إلى جانب العجم، حتى يرسب فى الوجدان العربى حقيقة يراها من حوله أن اليهود لهم مطامع ضد العرب، ولتحقيقها ينضمون إلى

خصوم العرب ..[1]

إنها حرب وطنية، بين العرب وبين اليهود ومعنا كل الذين لهم تجربة مع اليهود.

إن روسيا، فى عهد ستالين، بلغ من انكشاف حقيقة اليهود فيها بين الشعب، أن الناس هناك قاطعوا الاطباء اليهود، بعد أن رويت حول ذلك الروايات التى تشبه الاساطير، فى المحاولة اليهودية لدك النظام لحساب أمريكا، ومن هذه الروايات والاساطير ما قيل من أن الاطباء اليهود، كانوا على أهبة توصيل العقاقير السامة، داخل أكياس الادوية، التى يتطبب بها الحاكمون يومذاك، الامر الذى اقتضى القبض على الثمانية عشر طبيبا الذين لم يسرحوا إلا بعد موت ستالين..

ولعل ذلك الذى كان يدعو «ستالين» إلى أن يشبه فى الكثير من مقالاته وكتبه، كل ما هو «غير مفهوم» و«سطحى» «وجامد» باليهود: يقول «ستالين» فى مقال له فى علم اللغة، ردا على خولوبوف فى ٢٨ يوليه ١٩٥٠.

«وهكذا مال «الجامدون» مثلهم مثل «أهل التلمود» الذين لا يجشمون أنفسهم مشقة النفوذ إلى أعماق المشكلة، بل يكتفون (بمقتبسات معزولة) عن ظروفها التاريخية، فيجدون أنفسهم فى النهاية فى موقف محير مرتبك».

---

(١) ملحمة (حمزة البهلوان)

الوحدة العربية سلاح
والوطنية سلاح رهيب فى المعركة
والتفكير الهادئ سلاح
والتراث والاعتقاد بكل حقائقه سلاح
ونضال الاصدقاء فى كل أمم الأرض معنا سلاح
وأعداء اليهودية فى العالم معنا فى المعركة..

والمعركة، من أول، ومن بعد، ليست معركة دينية، لأن اليهود يعيشون بعد موسى، ونبيهم المال، أما نحن، فأنبياؤنا، موسى، وعيسى، ومحمد.

لقد آن ليسسيف[1] أن يترك الصخرة لأصحابها الاصليين

إنها صخرة يبوس. وليست صخرة صهيون، ولا صخرة أورشليم، إنها صخرة فلسطين.

لقد آن لسيسيف اليهودى أن يقتنع بأن مصرعه تحت الصخرة..!! ولن ينفعه - يومئذ - حليف..!

---

(١) أسطورة «سيسيف» تحكى بأنه حكم عليه بأن يدفع صخرة ثقيلة إلى قمة الجبل، وكلما تقدم خطوات، تدحرجت، فيعود إلى المحاولة، وتتدحرج،

أهم المراجع

● التوراة

● الكتاب المقدس

● الأدب المصرى القديم — الدكتور سليم حسن

أو (أدب الفراعنة)

● فى موكب الشمس — الدكتور أحمد بدوى

● حور محب (مخطوط) — الدكتور سليم حسن

● على هامش التاريخ المصرى القديم — عبد القادر حمزة

Peet: A Comparative study of the Literatures of Egypt.

Palestine and Mesopotamia

E.W. LANE: The Modern Egyptians.

M.MURRY: That Was Recorded Egypt.

FRUED : Mosos and Montheism.

BREASTED: Ancient Records of Egyt

● حملة لويس التاسع على مصر محمد مصطفى زيادة

● دولة الظاهر بيبرس فى مصر دكتور محمد جمال الدين سرور

● بروتوكولات حكماء صهيون ترجمة محمد سعيد التونسى

● المسألة اليهودية: كارل ماركس ـ ترجمة محمد عيتانى

- وفيات الأعيان
- بدائع الزهور فى وقائع الدهور.
- الديوان الشفاهى للأدب الملحمى (تحت الطبع) زكريا الحجاوى
- علاقات فرنسا بشمال أفريقية فى النصف.

الثانى للقرن التاسع عشر مقال - للدكتور محمد مصطفى صفوت بمجلة كلية الآداب - الأسكندرية.

مكتبة الدراسات الشعبية

من يناير ١٩٩٦ الى فبراير ١٩٩٧

١ - قصصنا الشعبى	د. فؤاد حسنين على
٢ - يا ليل يا عين	يحيى حقى
٣ - سيد درويش	محمد دواره
٤ - المجذوب	فاروق خورشيد
٥ - فن الحزن	كرم الأبنودى
٦ - المقومات الجمالية فى التعبير الشعبى	د. نبيلة ابراهيم
٧ - ابداعية الأداء جـ ١	د. محمد حافظ دياب
٨ - ابداعية الأداء جـ ٢	د. محمد حافظ دياب
٩ - أدبيات الفولكلور فى مولد السيد البدوى	ابراهيم حلمى
١٠ - موال ادهم الشرقاوى	د. يسرى العزب
١١ - الرقص الشعبى فى مصر	سعد الخادم
١٢ - المغازى	د. صلاح فضل
١٣ - بين التاريخ والفولكلور	د. قاسم عبده قاسم
١٤ - مملكة الأقطاب والدراويش	عرفة عبده على

مكتبة الدراسات الشعبية

من مارس ١٩٩٧ الى يونيه ١٩٩٨

١٥ - فلسفة المثل الشعبى — محمد ابراهيم أبو سنة

١٦ - الظاهر بيبرس — د. عبد الحميد يونس

١٧ - الحكاية الشعبية — د. عبد الحميد يونس

١٨ - خيال الظل — د. عبد الحميد يونس

١٩ - الأزياء الشعبية والفنون فى النوبة — سعد الخادم

٢٠ - الفن الإلهى — محمد فهمى عبد اللطيف

٢١ - النيل فى الأدب الشعبى — د. نعمات أحمد فؤاد

٢٢ - الفولكلور فى العهد القديم جـ١ تأليف : جيمس فريزر

ترجمة : د. نبيلة ابراهيم

٢٣ - الفولكلور فى العهد القديم جـ٢ تأليف : جيمس فريزر

ترجمة : د. نبيلة ابراهيم

٢٤ - الفولكلور فى العهد القديم جـ٣ تأليف : جيمس فريزر

ترجمة : د. نبيلة ابراهيم

٢٥ - حكاية اليهود — تأليف : زكريا الحجاوى

هـــــذا الكتـــاب
مـــلك الأستاذ الدكتـــور
رمـــزى زكـــى بطـــرس

الأعـــداد القـــادمـــة

- عجائب الهند
تقديم وتعليق : يوسف الشاروني
- خيال الظل

تأليف : د. ابراهيم حمادة

رقم الايداع : ٩٨/٧٠٥٠

شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: ٣٩٠٤٠٩٦

حكايـــة اليهـــود

★ " لو عقلوا لفطنوا
كيف يطرد واحد ألفا "

هكـذا تقول شريعـة اليهـود . وهكـذا يمضى عالمنا العظيـم زكـريا الحجاوى ليفتـت الأسطـورة اليهوديــة ويعـمر الذاكرة العربية بمدافع التذكر ومدفعية قـراءة الماضـى اليهــودى . ليكـشف الكثير عن نمط الشخص اليهودى .
طريقته فى السلوك قناعاته الهمجية اهتماماته التخريبية . ذاكرته المتآمرة على الجوييم (غير اليهودى)

★ " لو عقلوا لفطنوا
كيف يطرد واحد ألفا "

هكذا يقول التاريخ للعرب واليهود والمستهودين

فلننتبه لصرخة الماضى ★

جنيه

الأمل للطباعة والنشر

مكتبة الدراسات التاريخية الشعبية